مقررات الدبلوم العالي
لإعداد معلمي التَّدَبُّر

مقدمات التَّدَبُّر

١٤٣٨ – ١٤٣٩هـ









مقدمات التدبر

١٤٣٨ - ١٤٣٩ هـ







مشروع بناء مناهج الدبلوم العالي
لإعداد معلمي التَّدَبُّر

إحدى مبادرات



منشأة غير ربحية تعنى بتعزيز الصلة
بالقرآن الكريم وتعظيمه وتدبره

إعداد وإشراف



برعاية



مركز معاهد للاستشارات التربوية
والتعليمية
بيت خبرة في تأسيس المعاهد القرآنية وتطويرها
الرياض - الدائري الشرقي - بين مخرجي ١٣ ، ١٤ هاتف : ٠١١٤٥٥٤٠٤٩
فاكس تحويلة : ١٠٩ – ص.ب: ٢٣٦٤٦٥
الرياض ١١٣٣٢
info@m3ahed.net
www.m3ahed.net

ⓗ مركز معاهد للاستشارات التربوية والتعليمية،١٤٣٨ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
مركز معاهد للاستشارات التربوية والتعليمية
مقدمات التدبر. / مركز معاهد للاستشارات التربوية والتعليمية
.- الرياض ، ١٤٣٨ هـ
٣٦٤ ص ؛ ٢١ × ٢٥.٥سم
ردمك: ٠-٠٨-٨٢٢٥-٦٠٣-٩٧٨
١- القرآن – مباحث عامة أ.العنوان
ديوي ٢٢٩ ١٠٠٧٨ / ١٤٣٨

رقم الإيداع: ١٠٠٧٨ / ١٤٣٨
ردمك: ٠-٠٨-٨٢٢٥-٦٠٣-٩٧٨

تم إعداد المادة العلمية
ومراجعتها بواسطة
فريق من المتخصصين


بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير



الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحابته ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين؛ أما بعد:

فإن أعظم ما تحيا به الأمة وتستنير به في طريق نهضتها؛ هو كتاب الله تعالى كما قال عز وجل: ﴿... قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِين، يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم﴾ [المائدة:١٥، ١٦].

ولا شك في أن مفتاح أنوار هذا القرآن وهداياته هو التَّدَبُّر الذي يفتح آفاق القلب والفكر؛ ليحيا بهدايات القرآن ويستنير بنوره. والتَّدَبُّر المقصود هو الوقوف مع آيات القرآن للوصول إلى مقاصدها ودلالاتها وهداياتها وتزكية النفوس بها. وقد عُني العلماء بذلك؛ وبخاصة في سياق تعلُّم القرآن الكريم وتعليمه انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤]، وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَاب﴾ [ص:٢٩]، وغير ذلك من الآيات الكريمات في هذا المعنى، وعدّوا ذلك من النصح لكتاب الله تعالى الوارد في حديث أَبِيْ رُقَيَّةَ تَمِيْم بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ -رضي الله عنه- أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: **((الدِّيْنُ النَّصِيْحَة، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: للهِ، ولكتابه، ولِرَسُوْلِه، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِيْنَ، وَعَامَّتِهِمْ))** رواه مسلم. قال أبو عمرو بن الصلاح -رحمه الله-: والنصيحة لكتابه: الإيمان به، وتعظيمه، وتنزيهه، وتلاوته حق تلاوته، والوقوف مع أوامره ونواهيه، وتفهم علومه وأمثاله،

وتَدَبُّر آياته، والدعاء إليه.

واليوم نرى -بحمد الله تعالى- عودة صادقة للقرآن الكريم، وبخاصة في مجال التَّدَبُّر الذي بدأ يحيا في الأمة بمستويات مختلفة، حتى بدأت حلقات ومعاهد قرآنية تتبنى هذا المنهج بطرق مختلفة ومناهج متعددة، وهو ما يستدعي وجود مراجعات ودراسات لتقويم المسار وتطويره وفق الأسس العلمية والتربوية من خلال رصد الواقع واستخلاص نتائجه، ورسم رؤية لتقويمه وتطويره.

فكان من الأهمية بمكان مبادرة المتخصصين وأهل الريادة والمؤسسات ذات الاهتمام والتخصص لرسم المنهج الصحيح والخطوات المستقيمة لتسهم في سير الأمة في هذا الاتجاه على هدي مستقيم.

وكان لـ (معالم التَّدَبُّر) مبادرة تركز على أبرز عناصر العمل التربوي والتعليمي في مجال تعليم التَّدَبُّر وهو المعلم؛ من خلال طرح مشروع (بناء مناهج الدبلوم العالي لإعداد معلمي التَّدَبُّر)؛ الذي يسعى إلى رسم المنهجية الصحيحة لإعداد معلمين ذوي كفاءة عالية لتعليم التَّدَبُّر وإحياء مجالسه. وتستهدف هذه المبادرة التطبيق -بإذن الله- في المعاهد القرآنية (الرجالية والنسائية)، وما في حكمها من مشاريع وبرامج ومبادرات داخل المملكة وخارجها.

ولتحقيق ذلك بالجودة المطلوبة، عَقَدت الشركة شراكة مع (مركز معاهد للاستشارات التربوية والتعليمية) بالرياض؛ ليتولى إدارة المشروع والإشراف عليه بوصفه بيت خبرة في تأسيس المعاهد القرآنية وتطويرها، برعاية من (مؤسسة مُحَمَّد وعبدالله إبراهيم السبيعي الخيرية) جزاهم الله خيرًا، ومشاركة في التطبيق الأولي للمشروع من قِبَل المعاهد التالية:

١. معهد تَدَبُّر لمعلمات القرآن الكريم بالرياض.
٢. معهد الدراسات القرآنية للبنات بمكة المكرمة.
٣. معهد إعداد معلمات القرآن الكريم بغرب الرياض.
٤. معهد الإتقان لإعداد معلمات القرآن الكريم بالجوف (سكاكا).

٥. معهد حفصة بنت عمر لإعداد معلمات القرآن الكريم بالطائف.

وكانت أولى مراحل المشروع بناء (وثيقة منهج الدبلوم العالي لإعداد معلمي التَّدَبُّر)؛ حيث بُنيت وفق الطريقة العلمية لصناعة المنهج، ولها أهمية كبرى في عمليات التعلُّم بوصفها الخطوط العريضة لتطوير هذه العمليات وجميع العناصر المؤثرة فيها.

ثم تمت المرحلة الثانية وهي: مرحلة بناء المقررات التعليمية للدبلوم بناء على ما تم إقراره من محاور تعليمية في الوثيقة المشار إليها؛ حيث أكدت هذه المقررات الأهداف التي يسعى (الدبلوم العالي لإعداد معلمي التَّدَبُّر) إلى تحقيقها.

وستكون المرحلة الثالثة من المشروع -بإذن الله تعالى-: مرحلة التقويم والمتابعة لمنتجات المشروع؛ بغرض تحسينها بشكل مستمر.

ونُشير إلى أن مرحلة بناء المقررات التعليمية مرَّت بالإجراءات الآتية:

١. التخطيط لبناء المقررات.

٢. تشكيل الفريق العلمي لبناء المقررات ومراجعتها.

٣. إعداد المادة العلمية.

٤. التصميم التعليمي.

٥. المراجعة العلمية.

٦. المراجعة اللغوية.

٧. الإخراج الفني.

٨. الاعتماد النهائي للمقررات.

٩. طباعة المقررات.

ويأتي مقرر (**مقدمات التَّدَبُّر**) الذي بين أيدينا، بوصفه أحد المقررات التعليمية في الدبلوم؛ حيث يُعنى بتزويد الدارس بمقدمات التَّدَبُّر العلمية اللازمة للتدبر وتطبيقاتها.

مع التنبيه على أن جميع اقتباسات فريق إعداد المقررات، ليست إلا مجرد نقل لما يوضح موضوعات المقرر، وليست تزكية لأصحابها، ورحم الله الإمام مالك القائل: "كل يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب هذا القبر".

نسأل الله تعالى أن يُسهم هذا المقرر في تحقيق أهداف الدبلوم، كما نسأله تعالى أن يبارك بالجهود المبذولة في المشروع، ويُحقق الأمل المنشود، ويجعله انطلاقة مباركة لمشروع عالمي يهدف إلى نشر تَدَبُّر القرآن الكريم في الأمة.

وصلى الله على نبينا مُحَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والله الموفق.

إدارة المشروع

المحتويات

مقدمة المقرر



الحمد لله والصلاة والسلام على مُحَمَّد بن عبدالله، وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين؛ وبعد:

فالقرآن الكريم كتاب الله تعالى نزل به الروح الأمين على قلب محمّد ﷺ بلسان عربي مبين، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، تكفّل الله بحفظه، وتعبّدنا بتلاوته وتدبّر آياته ومعانيه؛ فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ٢٤﴾ [مُحَمَّد:٢٤]. جمع الله فيه خيري الدنيا والآخرة، مَن تمسك به نجا، ومَن أعرض عنه فقد ضل وخسر؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ١٢٥﴾ [طه:١٢٣-١٢٥].

وتدبّر القرآن الكريم، والوقوف عند معاني آياته وأحكامه؛ هو من الأمور المهمّات، وآثاره على جميع المستويات جليّات، على مستوى الأفراد وعلى مستوى المجتمعات، وذلك في جميع المجالات؛ **كإصلاح الاعتقاد، وتهذيب الأخلاق، وتشريع الأحكام، وتحديد سياسات الأمة، التي بها يتم صلاحها وحفظ نظامها، اقتصاديًّا، وثقافيًّا، وصحيًّا، وتعليميًّا، واجتماعيًّا**، وكلّ هذه المعاني وغيرها تدخل في تقويم حياة الناس إلى يوم الدين؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩].

ولا ريب أن قيمة القرآن وبركته؛ تكمل في **تلاوته، وتدبّره، والعمل به**، فما اللفظ وترتيله إلا وسيلةٌ في إدراك المعنى وتحصيلِه، وطلبِ الخشوع، والتأثّرِ به، وترجمةِ هذا التأثّر إلى عمل.

فما **مفهوم تدبّر القرآن الكريم**؟ وما **حقيقته وضوابطه ووسائله**؟ وما **مصادره وعلومه**؟ وما **أبرز مناهج المفسرين في الإفادة منه؟ وما أبرز الكتب المؤلفة فيه؟**

هذا مضمون المنهج العلمي لمقرر مقدمات تدبر القرآن؛ ليكون لبنة مُعِينة للدارس على تدبر المقاصد القرآنية، والموضوعات القرآنية؛ فيعين الدارس على تدبر القرآن الكريم، وعلى تعليم غيره تدبر القرآن، وتمكينه من الأدوات والمهارات اللازمة لذلك، مع تطبيقاتٍ لمجالس مدارسة القرآن وتدبره.

وبذا؛ يتحقق هدف البرنامج -بإذن الله تعالى-، وتتحصّل الفائدة من هذا الكتاب بفهْمه وتدبُّر معناه، كما أمر الله سبحانه وتعالى بذلك؛ فقال سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ [ص:٢٩]، وننشر نوره؛ اتباعًا لهدي المصطفى ﷺ؛ وتزكية للأمة وهداية لها؛ قال سبحانه: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران:١٦٤].

وندعو الله -العلي القدير- أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وخدمة لكتابه القويم، فإن أصبنا فمن الله بمنّه وفضله وتوفيقه، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان نعوذ بالله منه. والله من وراء القصد.

* * *

الأهداف العامة للمقرر:

١. يناقش الدارس مفهوم التَّدَبُّر والمفاهيم المرتبطة به.
٢. يناقش الدارس تأصيل مشروعية التَّدَبُّر.
٣. يشرح الدارس أسس التَّدَبُّر وضوابطه ووسائله.
٤. يناقش الدارس مراتب التَّدَبُّر ومناهجه وعلومه ومصادره.
٥. يحلل الدارس ويستخرج مناهج مؤلفي الدراسات القرآنية في تدبر القرآن.
٦. يطبق الدارس مهارات التفكير في تدبر القرآن الكريم.
٧. يطبق الدارس تدبر القرآن الكريم بصورة صحيحة.

الوحدات الرئيسة للمقرر:

الوحدة الأولى: مفهوم التَّدَبُّر والمفاهيم المرتبطة به.
الوحدة الثانية: تأصيل مشروعية التَّدَبُّر.
الوحدة الثالثة: أسس التَّدَبُّر وضوابطه ووسائله.
الوحدة الرابعة: مراتب التَّدَبُّر ومناهجه وعلومه ومصادره.
الوحدة الخامسة: مناهج أبرز المفسرين في التَّدَبُّر.

عدد المحاضرات:

٤٨ محاضرة.

الوحدة الأولى

مفهوم التدبر
والمفاهيم المرتبطة به

أهداف الوحدة:

يتوقع من الدارس بعد إنهائه هذه الوحدة أن:

(١) يبين مفهوم التَّدَبُّر في اللغة، والاستعمال الاصطلاحي المختلف، والعلاقة بينها.

(٢) يشرح المفاهيم المرتبطة بمفهوم التَّدَبُّر وهي: (التفسير، والتأويل، والاستنباط، والهداية، والتزكية، والتفكر، والتعقل، والتأمل، والتفهم).

(٣) يميز بين التَّدَبُّر وبين المفاهيم المرتبطة به.

(٤) يشرح صلة التَّدَبُّر بكل من: (التفسير، والتأويل، والاستنباط، والهداية، والتزكية، والتفكر، والتعقل، والتأمل، والتفهم).

مفردات الوحدة:

الموضوع الأول: مفهوم التَّدَبُّر.

الموضوع الثاني: مفهوم التفسير.

الموضوع الثالث: مفهوم التأويل.

الموضوع الرابع: مفهوم الاستنباط.

الموضوع الخامس: مفهوم الهداية.

الموضوع السادس: مفهوم التزكية.

الموضوع السابع: مفهوم التفكر.

الموضوع الثامن: مفهوم التعقل.

الموضوع التاسع: مفهوم التأمل.

الموضوع العاشر: مفهوم التفهم.

عدد المحاضرات:

١٠ محاضرات.

تمهيد:

إن تحرير الحقائق العلمية وضبطها؛ من أهم المسائل التي عُني بها العلماء لضبط العلوم.

والحقائق العلمية؛ منها: ما يكون متفقًا على مضمونه؛ كالمصطلحات الشرعية -في الغالب- من صلاة وزكاة وحج وإيمان وكفر وغيرها، ومنها ما يختلف العلماء فيه، فيقع لغير العارف بمرادهم الخلط والخطأ كما وقع ذلك في مصطلح النسخ والكراهة.

والكلمة التي ندرسها في هذه الوحدة هي من الحقائق التي يتفق العلماء على مضمونها، وإن اختلفت العبارات فيها.

وتحرير المصطلحات يفيد في أمور؛ منها:

أ . بيان المصطلح بذاته.

ب . عدم دخول ما ليس منه فيه .

ج . التفريق بين ما يظن أنه من المترادفات في المصطلحات.

والتَّدَبُّر من الكلمات الواردة في القرآن على أصل معناها اللغوي كحال أغلب كلمات القرآن.

وفي هذه الوحدة ستتناول تحرير مصطلح التَّدَبُّر؛ وذلك من خمسة جوانب:

١- في بيان أصل معنى التَّدَبُّر في كلام العرب.

٢- في بيان المعنى العام للتدبر (المعنى الاصطلاحي والعرفي).

٣- في معنى تدبر القرآن خاصة.

٤- في ذكر بعض عبارات المفسرين والعلماء في معنى التَّدَبُّر.

٥- في بيان المفاهيم ذات العلاقة بمفهوم التَّدَبُّر وعلاقتها به.

الموضوع الأول
مفهوم التَّدَبّر

ويتضمن مفهوم التَّدَبُّر تعريف التَّدَبُّر في اللغة والاصطلاح.

أولاً: مدلولات (التَّدَبُّر) ومشتقاته في اللغة:

إن تحرير المصطلحات العلمية وضبطها؛ من أهم المسائل التي عُني بها العلماء لضبط العلوم؛ حيث إنها عنوان ما يتميز به كل علم عما سواه، والحقائق العلمية منها ما يكون متفقًا على مضمونه؛ كالمصطلحات الشرعية -في الغالب-؛ من صلاة وزكاة وحج وإيمان وكفر وغيرها، ومنها ما يختلف العلماء فيه، فيقع لغير العارف بمرادهم الخلط والخطأ، والكلمة التي ندرسها في هذا البحث هي من الحقائق التي يتفق العلماء على مضمونها وإن اختلفت العبارات.

(ثم إن التَّدَبُّر قد أصبح حقيقة عرفية عند المفسرين، والمراد بها تدبر القرآن؛ فإذا أطلق التَّدَبُّر عندهم، فالمراد به أخص من المدلول العام للتدبر)[١].

فأصل كلمة التَّدَبُّر من الفعل الثلاثي (دبر) أو الرباعي (أدبر) وهذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ﴾ [المدثر:٣٣] بالفعل الرباعي على وزن (أكرم)؛ كما في رواية: حفص عن عاصم؛ وفي قراءة: نافع، وحمزة، ويعقوب، وخلف العاشر.

وقوله تعالى أيضًا: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا دَبَرَ﴾ بالفعل الثلاثي على وزن (كرم)؛ كما عند الباقين؛ في رواية: شعبة عن عاصم؛ وفي قراءة: ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو جعفر[٢].

---

(١) ينظر: تحرير معنى التَّدَبُّر عند المفسرين، بحث على موقع: ملتقى أهل التفسير، على الرابط:
http://www.tafsir.net/vb/tafsir

(٢) الغاية في القراءات العشر، النيسابوري (ص٢٨٢).

ومادة (دبر) في معاجم اللغة تدور حول معانٍ عديدة؛ أبرزها وأظهرها كما يلي:

أ- **مؤخرة الشيء ونهايته:**

وفي ذلك يقول ابن سيده: (ودُبُر كل شيء: عَقِبُه ومؤخِّره، ودُبُر الشهر: آخره، يقال: جئتك دُبُر الشهر، وفي دُبُره، وعلى دُبُره، والجمع من كل ذلك أدْبار. ودُبُر البيت: مؤخره وزاويته)(١).

ومن ذلك: الدُّبُر الذي يُكنى به عن مؤخرة الإنسان ونحوه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال:٥٠]، وذلك (حين يتوفى الملائكة أرواح الكفار، فتنزعها من أجسادهم، تضرب الوجوه منهم والأستاه)(٢).

وقال تعالى: ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾ [يوسف:٢٦-٢٧].

ويُذكر هذا المدلول مقابل (القُبُل) كثيرًا، ويُكنى بهما عن العضوَيْن المعروفَيْن، ويُطلق (الدُّبُر) على الظَّهْر أيضًا كما هو معلوم.

قال ابن فارس: (وهو آخِرُ الشَّيء، وخلفُه خلافُ قُبله ...، ودبَّرْتُ الحديثَ عن فُلانٍ، إذا حدَّثتَ به عنه، وهو من الباب؛ لأنَّ الآخِر المحدِّثَ يَدْبُر الأوّلَ يجيءُ خَلْفَه ...، وفي الحديث: **((ولا تَدَابَرُوا))**(٣)، وهو من الباب، وذلك أنْ يترُكَ كلُّ واحدٍ منهما الإقبالَ على صاحبه بوجْهه)(٤).

ب- **التولّي والذَّهَاب:**

ومن ذلك أنه (يُقال للقوم في الحرب إذا فرّوا: ولُّوهم الدُّبُر والأَدْبار، وأما الإِدْبار فالتولية نفسها،

(١) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده (٩/٣١٠) (دبر) بتصرف.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمَّد بن جرير الطبري (٣١٠ هـ) (١٥/١٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر (ح٢٥٥٨).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٣/٣٢٤).

﴿ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾ عند الصبح في آخر الليل إذا أدْبرَت مولية نحو المغرب)[١].

ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [الأنفال:١٦].

وكما ورد في قول الخليل بن أحمد الفراهيدي: (ويقال للقوم في الحرب: ولوهم الدبر والإدبار، والإدبار التولية نفسها)[٢]. ومنه أيضًا قولهم: (دَبَرَ بالشيء ذهب به، ودَبَرَ الرجلُ ولَّى وشَيَّخَ)[٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ﴾ [المدثر:٣٣] أي: ولّى وذهب.

ج- النّظر في عواقب الأمور:

يقول الخليل: (والتَّدْبير نظر في عواقب الأمور، وفلان يتَدَبَّر أعجاز أمور قد ولّت صدورها)[٤]؛ أي: يتأمل فيها وينظر في عواقبها.

ويقال: (استَدْبَر فلان من أمره ما لم يكن استقبل، أي نظر فيه مستدبرًا فعرف مِنْ عاقبته ما لم يعرف مِنْ صدره، ويقال: تَدَبَّرَ: نظر في أدباره أي في عواقبه)[٥].

وقال ابن منظور: (دَبَّرَ الأَمْرَ وتَدَبَّره أي: نظر في عاقبته، واسْتَدْبَرَه: رأَى في عاقبته ما لم ير في صدره، وعَرَفَ الأَمْرَ تَدَبُّرًا أَي بأَخَرَةٍ، قال جرير:

ولا تَتَّقُونَ الشَّرَّ حتى يُصِيبَكُمْ   ولا تَعْرِفُونَ الأَمرَ إلا تَدَبُّرَا[٦]

والتدبير في الأمر: أَن تنظر إِلى ما تَؤُول إِليه عاقبته، والتَّدَبُّرُ التفكر فيه، وفلان ما يَدْرِي قِبَالَ الأَمْرِ

---

(١) المصدر نفسه (٨/٣٢) (دبر) بتصرف.

(٢) العين، الخليل بن أحمد (٨/٣٣).

(٣) لسان العرب، ابن منظور (٢/١٣١٩) (دبر).

(٤) العين، الخليل بن أحمد (١٧٥هـ) (دبر) (٨/٣٣).

(٥) العين (٨/٣٣) (دبر) بتصرف.

(٦) الأغاني (٨/٣٠).

من دِباره، أَي: أَوَّله من آخره، ويقال: فلانًا لو استقبل من أَمره ما استدبره لَهُدِيَ لِوِجْهَةِ أَمْرِه، أَي: لو علم في بَدْءِ أَمره ما علمه في آخره لاسْتَرْشَدَ لأَمره[١].

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت»[٢]، فأضاف التَّدَبُّر إلى شأنه وأمره ﷺ.

د- التَّفكُّر والتَّفهُّم:

قال صاحب اللسان: والتَّدَبُّر التفكر فيه[٣]. وذكر صاحبا (البصائر والتاج) وغيرهما أن: التَّدَبُّر هو التفكُّر والتفهُّم فى دُبُر الأمور، ومما ورد في ذلك من الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٦٨]، أي: ألم يتفهموا ما خُوطبوا به في القرآن.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، أي: أفلا يتفكرون فيعتبروا[٤].

هـ- الهجر والمقاطعة:

وقال أَبو عُبَيْد (ت٢٢٤هـ): (والتدابر: المصَارمة والهِجْران، مأخوذ من أن يولّي الرجل صاحبه دبره وقفاه، ويعرض عنه بوجهه ويهجره)[٥].

وفي الحديث: «لا تَبَاغضوا ولا تَحَاسَدوا ولا تَدَابَروا ...»[٦] فالتدابر المعاداة، وقيل: المقاطعة؛ لأن كل واحد يولّي صاحبه دبره[٧]، وقيل: لا يذكر أَحدكم صاحبه مِنْ خَلْفه[١].

---

(١) لسان العرب (٤/٢٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التمني، باب قول النبي ﷺ: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت» (ح٧٢٢٦).

(٣) لسان العرب (٤/٢٦٨) (دبر).

(٤) تاج العروس للزَّبيدي (١١/٢٦٦) بتصرف. وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي (٢/٥٨٨).

(٥) العين للخليل (٨/٣٤) (دبر). وتاج العروس (١١/٢٦٥) بتصرف.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر (ح٢٥٥٨).

(٧) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي (١٦/١١٦).

إلى غير ذلك من المعاني والمدلولات المفصّلة في معاجم العربية وكتبها.

والخلاصة:

إنه من خلال النظر في هذه المدلولات السابقة -التي هي أبرز مدلولات مادة (دَبَرَ)-؛ نجد أن أقربها لما نحن بصدد الحديث عنه: الفكر والفهم والنظر في عواقب الأمور، وأن أصل المادة يدور حول معنى واحد، وهو: أواخر الأشياء وعواقبها والتفكّر فيها.

وعليه فالتَّدَبُّر (لغة) يعني: **(النظر في أواخر الأشياء والتأمّل في عواقبها)**.

وفي ذلك يقول ابن فارس: (الدال والباء والراء أصل هذا الباب أنَّ جُلّه في قياسٍ واحد، وهو آخِر الشَّيء، وخَلْفُه خلافُ قُبُلِه، وتشذّ عنه كلماتٌ يسيرة ...)[٢].

هذا؛ ويرى بعض العلماء أن المادة تدور حول معنى محوَريّ آخر؛ وهو: امتداد غائر إلى آخر الشيء أو خلفه بقوة ضغط أو اندفاع، فالدُّبُر أقصى جزء من قناة تخترق الجسم، ويجري فيها الطعام والشراب[٣] وهو أيضًا يمكن إرجاعه إلى المعنى السابق.

ثانيًا: التعريف الاصطلاحي للتدبر:

يجدر بالبحث قبل أن يتعرض للتعريف الاصطلاحي أن ينبّه على أن مصطلح "التَّدَبُّر" له مدلولان؛ مدلول عام: يفيد التفكر في عواقب الأمور كلّها. ومدلول خاص: يُفَسّر بما يُضاف إليه، كتدبّر القرآن ونحوه. ومرادنا النوع الثاني لا الأول.

وتعدد فهْم المفسرين (للتدبر)، ولكن مع تعدّده يقترب بعضه من ببعض؛ إذ تؤكد تعاريفهم كلها على تأمل المعاني وتبصّر الآيات والأحكام:

قال الطبري في قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩]

(١) بصائر ذوي التمييز (٢/٥٨٧) (دبر).

(٢) معجم مقاييس لابن فارس (٢/٣٢٤) (دبر).

(٣) يراجع: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، أ.د. مُحَمَّد حسن جبل (٢/٦٢٨) (دبر) بتصرف.

(أي: ليتدبّروا حجج الله التي فيه، وما شرع الله فيه من الشرائع، فيتعظوا ويعملوا به)[١].

وقال أبو بكر بن طاهر: (تدبّر في لطائف خطابه، وطالِب نفسك بالقيام بأحكامه، وقلبك بفهم معانيه، وسِرَّك بالإقبال عليه)[٢].

قال الهروي: (أبنية الذكر ثلاثة: الانتفاع بالعِظة، والاستبصار بالعبرة، والظفر بثمرة الفكرة)[٣].

وقال البغوي: (والتَّدَبُّر هو النظر في آخر الأمر، ودبر كلّ شيء آخره)[٤].

وقال ابن عطية: (التَّدَبُّر: النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء)[٥].

وقال الزمخشري: (تدبُّر الأمر: تأمُّله والنظر في إدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استُعمل في كل تأمل؛ فمعنى تدبر القرآن: تأمل معانيه وتبصر ما فيه)[٦].

وقال القرطبي: (التفكر فيه وفي معانيه)[٧].

وقال الخازن: (تأمل معانيه، وتفكر في حكمه، وتبصر ما فيه من الآيات)[١].

---

(١) جامع البيان (٢١/١٩٠).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٩/٣٨).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/١٨٣).

(٤) معالم التنزيل (١/٦٦٧).

(٥) ينظر: المحرر الوجيز (٢/١٦١).

(٦) الكشاف للزمخشري (١/٥٤٠).

تفسير الزمخشري الذي أسماه: "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل" هو تفسير زاخر بإبراز معالم القرآن الإعجازية والبلاغية، وقد حاز إعجاب المحققين من العلماء من هذه الناحية، حتى إن الإمام ابن تيمية قال عنه: «بصرف النظر عما فيه من الاعتزال فهو تفسير لم يسبق مؤلفه إليه، لما أبان فيه من وجوه جمال النظم القرآني وبلاغته. فقد برع في كثير من العلم» اهـ.

إلا أن أهل السنَّة لهم عليه ملاحظات كثيرة، أبرزها:

١. نشر عقائد المعتزلة من خلال التعسف في فهم الآيات القرآنية.

٢. إنكار قراءات صحيحة مشهورة.

٣. كثرة الأحاديث الموضوعة.

(٧) الجامع لأحكام القرآن (٥/٢٩٠).

وعند أبي حيان: (التفكر في الآيات، والتأمل الذي يفضي بصاحبه إلى النظر في عواقب الأشياء)[٢].

وعند ابن القيم: (تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبّره وتعقّله وهو المقصود بإنزاله لا مجرّد تلاوته بلا فهم ولا تدبّر)[٣].

وقال الزبيدي: (التَّدَبُّر: التَّفكُّر؛ أَي: تحصيل المعرفتين لتحصيل معرفةٍ ثالثة، ويقال عَرَف الأمر تدبُّرًا؛ أي: بأَخَرَةٍ)[٤].

وقال السيوطي: (وصفة ذلك أن يشغل قلبه بالتفكير في معنى ما يلفظ به؛ فيعرف معنى كل آية، ويتأمل الأوامر والنواهي، ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرَّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذ، أو تنزيه نزه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب)[٥].

وقال الألوسي: (وأصل التَّدَبُّر: التأمل في أدبار الأمور وعواقبها، ثم استعمل في كل تأملٍ؛ سواء كان نظرًا في حقيقة الشيء وأجزائه أو سوابقه وأسبابه أو لواحقه و أعقابه)[٦].

وقال الشيخ السعدي: (التأمل في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه)[٧].

وقال الشنقيطي: (تدبر آيات هذا القرآن العظيم؛ أي: تصفحها، وتفهمها، وإدراك معانيها، والعمل بها)[٨].

قال ابن عاشور: "والتَّدَبُّر: إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له، وأصله أنه من النظر في دُبُر الأمر، أي فيما لا يظهر منه للمتأمل بادئ ذي بدء)[٩].

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل (١/٥٦٣).

(٢) البحر المحيط (٧/٣٧٩).

(٣) مدارج السالكين (١/٣٦٣).

(٤) تاج العروس (١١/٢٦٥).

(٥) الإتقان في علوم القرآن (١/٣٠٠).

(٦) روح المعاني (٥/٩٢).

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص١٨٩).

(٨) أضواء البيان (٧/ ٢٥٧).

(٩) التحرير والتنوير (١٨/٨٧).

وقال أيضًا: (والتَّدَبُّر: التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أُودعت فيه؛ بحيث كلما ازداد المتدبر تدبرًا انكشفت له معانٍ لم تكن بادية له بادئ النظر)(١).

وقال سلمان السنيدي: (هو تفهم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقة، ودخل في ضمنها، وما لا يتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك؛ بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه)(٢).

وقيل هو: تفهّم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقة، وما دخل في ضمنها وما لا تتم تلك المعاني إلا به، مما لم يعرّج اللفظ على ذِكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك؛ بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه، وكلّ هذه المعاني حاضرة في أقوال أهل العلم.

وقيل التَّدَبُّر هو: تقليب النظر البصري والعيش الروحي؛ لتأمُّل جملة قرآنية بما فيها من معانٍ ودلالات قد لا تتبدَّى للناظر فيها من البداية، وتحقيق ذلك التأمُّل والتَّدَبُّر بالعمل.

وقيل التَّدَبُّر هو: التفكّر العميق والتأمل الشامل في الألفاظ والتراكيب اللغويّة، للوقوف على نهايات ما تحتمله من المعاني بقصد الفهم والتطبيق.

وقيل التَّدَبُّر هو: التفكر باستخدام وسائل التفكير والتساؤل المنطقي للوصول إلى معانٍ جديدة يحتملها النصّ القرآني، وفق قواعد اللغة العربية، وربط الجمل القرآنية ببعضها وربط الصورة القرآنية ببعضها أيضًا وإضفاء تساؤلات مختلفة حول هذا الربط أو ذاك.

وقيل التَّدَبُّر هو: (تفهّم معاني آيات القرآن، وإعمال النظر في دقائق وأسرار تعبيراتها المختلفة، وما فيها من الحِكَم والمعارف؛ ليخشع القلب بذلك ويتأثر، وتنساق الجوارح للعمل والتطبيق)(٣).

---

(١) التحرير والتنوير (٢٥٢/٢٣).

(٢) تدبر القرآن (ص١١).

(٣) استفدت هذه التعريفات من بحث: (مفهوم التَّدَبُّر– تحرير وتأصيل) (ص٩٣، ص٧٧). وتدبّر القرآن، د. سليمان السنيدي (ص١١).

فالتَّدَبُّر عند الألوسي لم يقتصر على عواقب الأمور فحسب؛ بل امتد ليشمل حقائقها، وأسبابها، ولواحقها، وغير ذلك على وجه الإطلاق، وعلى هذا التعريف الواسع يكون مصطلح (التَّدَبُّر) قد استُعمل في حقيقته اللغوية.

وإذا أردنا أن نحاول استخراج تعريف للتدبر من منظور قرآني، فإنه يمكن أن يقال:

التَّدَبُّر: **هو تأمل الآيات للاهتداء بما دلّت عليه علمًا أو عملاً.**

ولإيضاح هذا التعريف، يقال:

- قوله: (تأمل الآيات)؛ وهذا يعني أن التَّدَبُّر لا يتأتى في الواضح البيّن، بل لا بد أن يُسبق بشيء من النظر وإعمال الفكر والعقل؛ لاستنباط المراد.

- قوله: (للاهتداء بما دلّت عليه)؛ لأن هذه هي الغاية من التَّدَبُّر، ولأن الله –تعالى– وصف كتابه فقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩]، ولا يتأتى الوصول إلى جميع هذه الهدايات إلا بالتَّدَبُّر.

- قوله: (علمًا أو عملاً)؛ لأن التَّدَبُّر إذا خلا من إحدى هاتين الثمرتين فهو تدبر ناقص، وإنما عطفتُ بـ(أو)؛ لأن من الهدايات القرآنية ما يظهر فيه جانب العلم أكثر من ظهور العمل بمعناه الخاص؛ كالتَّدَبُّر في الآيات التي تفصّل في النعيم أو العذاب الأخروي، أو بعض الأحكام الفقهية، وكذلك وصف بعض الأمور الكونية[(١)].

ولا تخرج بقية التعاريف عن هذا الإطار –وإن اختلفت العبارة فيما بينها–.



من خلال العرض السابق لمعاني التَّدَبُّر لغةً واصطلاحًا؛ بيّن بأسلوبك مفهوم التَّدَبُّر في الأسطر التالية:

....

....

(١) وإن كان ينبغي أن تورث تلك الآيات إجلالاً وتعظيمًا لله –تعالى–، وهذا من أعمال القلوب، أ.د. عمر المقبل في بحث: قواعد وضوابط التَّدَبُّر، شارك به في الندوة التي نظمتها وزارة الشؤون الإسلامية في (١٤٣٢/٢/٥هـ) بالرياض.

....

....

....

وعلى هذا فإن (التَّدَبُّر) لا يخرج عن المعاني الآتية:

١- التأمل الذهني في معاني القرآن الكريم، وآياته، وأوامره، ونواهيه، ومبادئه، وعواقبه.

٢- نظر القلب وجمع الفكر فيه.

٣- إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نُصبت له.

ومن ثَمّ؛ فإن هذه الخصوصية في معنى (التَّدَبُّر) تكاد لا تبتعد عن معنى النظر أو التأمل القلبي أو العقلي، وجمع الفكر بهما، إذا خصّصنا هنا النظر العقلي بالجانب الذهني المحض، والنظر القلبي بالجانب الذهني والروحي معًا.

ومن خلال التأمل في مفهوم التَّدَبُّر؛ يتبن أنه ينبغي أن يتلبّس بعدة أمور:

الأول: القراءة نظرًا أو حفظًا أو الاستماع.

والثاني: معرفة المعاني والتفسير جملة.

والثالث: معرفة مراد الله -تعالى- ومقاصد الآيات.

والرابع: حضور القلب وتأثره وخشوعه.

والخامس: التطبيق وانسياق الجوارح للعمل.

والسادس: الوصول للمعاني الكلية واللطائف الدقيقة.

واجتماع هذه الأمور الستة؛ يمثل أعلى درجات التَّدَبُّر، وقد يتخلّف شيء منها؛ فيكون القارئ حينئذٍ متدبرًا ولكن على درجة ما، ولعله يرقى إلى الكمال بالدُّرْبة والمران -بإذن الله تعالى- ما صلحت نيته، وصفا قلبه، ورائده في ذلك ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ [الأنفال:٧٠].

فائدة في مجيء مصطلح التَّدَبُّر على صيغة التفعيل:

هذا؛ وإن مجيء مصطلح (التَّدَبُّر) على صيغة (التفعُّل)؛ يفيد عدّة فوائد أهمها:

- أولها: التكلُّف وبذل الجهد.
- ثانيها: التدُّرج والتمهُّل.
- ثالثها: التكثير والمبالغة، وحصول الفعل مرة بعد أخرى مع الصبر والتحمّل[(١)].

وهذه أمور تقتضيها عملية التَّدَبُّر أيضًا، فحتى يؤتي أكله وثماره الطيبة؛ ينبغي للمتدبر أن يبذل الجهد في التأمُّل والتفكُّر، ويتمهّل ولا يعجل، ويكرّر النظر مرة بعد مرة، ويتجلّد بالصبر ولا يملّ.

نشاط يستفاد من كلام العلماء في معنى التَّدَبُّر؛ أن التَّدَبُّر في القرآن يشمل الأمور التالية:

(١) ....

(٢) ....

(٣) ....

(٤) ....

تنبيه:

العلاقة بين التَّدَبُّر والتَّأثُّرِ البدني من سماع القرآن، كالقشعريرة التي تصيب الإنسان، والخشوع الذي يلحقُه، قد يكون بسبب تأثيرِ القرآنِ عليه وهو التَّدبُّر، وقد لا يكونُ، فالتَّدَبُّر عمليَّةٌ عقليَّةٌ تحدثُ في الذِّهنِ، والتَّأثُّرُ انفعالٌ في الجوارحِ والقلبِ، وقد يكونُ بسبب التَّدبُّر، وقد يكونُ بسببِ روعةِ القرآنِ ونظمه[(٢)].

---

(١) يراجع: شرح شافية ابن الحاجب للشيخ محمد بن الحسن الأستراباذي (١٠٢/١). والخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني (٢٦٤/٣). ومفهوم التَّدَبُّر عند اللغويين، د. عويض العطوي (ص٣٠).

(٢) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتَّدَبُّر والمفسر، مساعد بن سليمان بن ناصر الطَّيَّار (ص٢٠٤).

الموضوع الثاني
مفهوم التفسير

أولاً: تعريف التفسير:

التفسير مأخوذ من (الفَسْر) ويعني: البيان وكشْفُ ما غُطِّي، يقال: فَسَر الشيءَ يفسِرُه بالكسر، ويَفْسُرُه بالضم فَسْرًا وفَسَّرَهُ: أَبانه، والتَّشْديد أَعَمُّ، وبه جاء القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ [الفرقان:٣٣]؛ أي: بيانًا وتفصيلاً[١].

وعلى هذا؛ فالمادة تدور في اللغة حول معنى **(التوضيح والبيان)**. هذا؛ ويُعرَّف التفسير في أبسط تعاريفه بأنه: (علم يُعرف به فهْم كتاب الله المنزّل على نبيه مُحَمَّد ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكَمه)[٢].

ثانيًا: الفرق بين التَّدَبُّر والتفسير:

لا بد أن ندرك أن التَّدَبُّر غير التفسير، مع العلم أن بعض العلماء -المعاصرين منهم تحديدًا- قد استعملها على سبيل الترادف، وهذا غير صحيح؛ إذ التفسير شيء والتَّدَبُّر شيء آخر، وهذا يتضح من خلال النقاط التالية:

-**إنّ صناعة التفسير والاستنباط يخصّ فئة محصورة**؛ وهم أهل الاجتهاد من العلماء ممن يفتون ويقضون في النوازل، وفي ذلك نزل قول الله -تعالى-: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء:٨٣]، وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ

(١) يراجع: تهذيب اللغة (٢٨٣/١٢). ولسان العرب (٥٥/٥). وتاج العروس (٣٢٤/١٣) (فسر). وجامع البيان (٢٦٧/١٩).

(٢) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين مُحَمَّد بن عبدالله الزركشي (٧٩٤هـ) (١٣/١).

ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾ [التوبة:١٢٢].

أما التَّدَبُّر فهو لعامة المخاطبين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:١٧][١].

ومن هنا نخرج بخلاصة مفادها: أن المفسر عالم وفقيه مطلع على الحقائق القرآنية والأحكام الشرعية ووظيفته تبيينها للناس، بينما المتدبر لا يغدو كونه متعظًا وواعظًا، وقد يجمع الله بين الخيرين، على أن العالم الحق لا يصح له إلا أن يكون عالمًا ومفسرًا ومتدبرًا للقرآن، ومن هنا يمكن لنا أن نقول: كل مفسرٍ أو عالمٍ متدبر، وليس كل متدبر مفسر أو عالم.

- **التفسير ملازم للتدبر**: فلا يحصل التَّدَبُّر من غير معرفة المعنى، فهما متلازمان؛ حيث إن التفسير كشفٌ للمعنى، والتَّدَبُّر تأملٌ في أدبار معاني الآيات وعواقبها؛ وعليه: فالتفسير وسيلة، والتَّدَبُّر غاية.

فالتَّدَبُّر بعد فهم الآية، ويكون الفهم فيه كليًّا عامًّا بسيطًا؛ إذ لا يشترط فيه الوقوف على أقوال المفسرين والتحقق منها والغوص في دقائق كتب التفسير؛ أي: يمكن لأي شخص أن يتدبر القرآن بعد معرفة المعنى المشهور للآية.

- **دائرة التَّدَبُّر أوسع من دائرة التفسير**: حيث إن العلماء اشترطوا للمفسِّر شروطًا وعلومًا لا بد أن يحصِّلها[٢] حتى لا يُتقوّل على الله –تعالى- بغير علم. أما التَّدَبُّر فخوطب به الجميع، كلٌّ حسب طاقته،

---

(١) فخطاب المنافقين في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء:٨١]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤]، ومخاطبة المشركين والإنكار عليهم بترك التَّدَبُّر في قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [المؤمنون:٦٦-٧٠]، وخطاب عموم المؤمنين في قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:٢٩]، والله أعلم.

(٢) للوقوف على هذه العلوم يراجع: البرهان الزركشي (٢/ ١٦٨). والإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ) (٤/٢١٣)؛ وتجدر الإشارة هنا إلى أن السيوطي ذكر ستة وأربعين علمًا ينبغي للمفسر أن يحصّلها ويتقنها.

لكن ينبغي أن ينضبط ليكون في أعلى درجات الصحة والقبول؛ وبناءً على هذا يكون التَّدَبُّر أعم من التفسير.

- **لم يرد لفظ (التفسير) في القرآن إلا في موطن واحد** بصيغة التمييز المسبوق بـ(أفعل) التفضيل، في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣]، وذلك بخلاف (التَّدَبُّر)؛ فإنه ورد أربع مرات وبصيغة الفعل المسبوق بالاستفهام الإنكاري لترْك التَّدَبُّر في ثلاث آيات، وبالأمر الصريح في الآية الرابعة؛ وهذا للدلالة على أن **التَّدَبُّر فرضٌ واجب على المخاطَبين**. وصرح بعض العلماء فقالوا معلقين على آية التَّدَبُّر في سورة النساء: (ودلت هذه الآية وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] على وجوب التَّدَبُّر في القرآن ليُعرف معناه ...)[1]. ولعل في قول الرسول ﷺ: ((ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها))[2]؛ دليل على ذلك، فقوله ﷺ: ((ولم يتفكر فيها)) هو بمعنى **لم يتدبرها**؛ لأن تدبرها مفضٍ -بالضرورة- إلى التفكر في خلق السماوات والأرض؛ ولذلك؛ عبر عنها بالتفكر، وأما وعيده ﷺ للممتنع عن التفكر بالويل فهو دليل قوي على وجوب التفكر والتَّدَبُّر إجمالاً على جميع الناس -العالِم منهم والعامي-، ولكن كل حسب ما يسر الله له.

- **أن المقصود الأصلي للتفسير هو: بيان معاني كلام الله** -تعالى-، ومقصود التَّدَبُّر هو الاتعاظ والاعتبار[3].

- **التفسير: بيان كلام الله تعالى. والتَّدَبُّر: بيان النفس** عما مسّها من كلام الله -تعالى- وما أثار من كوامنها، وما تختاره بعد ذلك من التأثر والانقياد[4]، والله أعلم.

---

(١) الجامع لأحكام للقرطبي (٥/٢٩٠). ويراجع: التَّدَبُّر- حقيقته، أ.د. عبدالله سرحان (ص٢١٣) بتصرف.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب التوبة، باب ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات ... (ح٦٢٠). وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) التَّدَبُّر عند المفسرين، د. فهد الوهبي (ص١١١).

(٤) تحليل مناهج معاصرة للتدبر وتقويمها، د.نايف الزهراني (ص٦).

فالتفسير: شرح للمعاني وبيان لها. بينما التَّدَبُّر: اتعاظ بالمعنى؛ أي: أخذ الموعظة عن طريق فهم المعنى، واعتبار وتذكر، وهذا فرق كبير.

إن التفسير مأخوذ من الفسر وهو الكشف والبيان؛ ولذا سميت الكتب التي بينت كتاب الله تفسيرًا؛ لأنها تكشف عن المعاني اللغوية والسياقية والشرعية عن طريق الأخذ بقواعد التفسير المعروفة عند أهله(١)، وهذا ما يُعرف بعلم التفسير.

أما التَّدَبُّر من التفعُّل؛ فهو: النظر إلى دبر الشيء(٢)؛ أي: التأمل في عواقب الأمور المتوقعة ودوابرها، أي: النظر إلى عاقبتها، وما يمكن أن تصير إليه، كما يدخل فيه النظر في دوابر الأمور الواقعة من قبل؛ وذلك لمعرفة أسبابها ونتائجها ومقدماتها؛ لأن التَّدَبُّر هو عمل قلبيٌّ شخصيٌّ ونظر يجول في النفس، فلا ينوب فيه أحد عن أحد، فمثلاً لا يستطيع أحد أن ينوب عن غيره في التقوى والخشوع والخوف والرجاء، وهذا منتفٍ عقلاً وطبعًا وشرعًا.

والعلماء يقولون: الفهم نوعان؛ النوع الأول: فهمٌ ذهني معرفي. والنوع الثاني: فهمٌ قلبي إيماني.

فالنوع الأول: يدخل فيه تفسير الغريب، واستنباط الأحكام، وأنواع الدلالات، وهو الذي يختص بأهل العلم على تفاوت مراتبهم، وهم يغترفون من علومه على قدر ما آتاهم الله –تعالى– من العلم والفهم.

والنوع الثاني: هو الفهم الإيماني القلبي الذي ينتج عن تأملِ قارئ القرآن لما يمرُّ به من آيات كريمة، يعرف معانيها، ويفهم دلالاتها، فيتوقف عندها متأملاً؛ ليحرك بها قلبه، ويعرض نفسه وعمله عليها، فإن كان من أهلها حمد الله، وإن لم يكن من أهلها حاسب نفسه واستعتب. والفهم الثاني هو الغاية، والأول إنما هو وسيلة.

قال الحسن البصريّ: (والله ما تَدَبُّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إنّ أحدَهم ليقول: قرأتُ

---

(١) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص٢٦٠).

(٢) ينظر: معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص١٦٤). والتوقيف على مهمات التعاريف (ص١٦٤).

القرآن كلّه ما يُرى له القرآنُ في خُلقٍ ولا عمل)[١].

ويقول: (العلم علمان: فعلمٌ في القلب فذاك العلم النافع. وعلمٌ على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم)[٢].

ونقل ابن القيّم عنه قوله: (نزل القرآن ليتدبر ويعمل به فاتخذوا تلاوته عملاً)[٣].

ثمّ يُعقّب ابن القيّم على كلام الحسن فيقول: (فليس شيءٌ أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجمع الفكر على معاني آياته؛ فإنّها تُطلِعُ العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما)[٤].

رُوي عن ابن مسعود ﷺ: (إنّا صعب علينا حفظ ألفاظ القرآن، وسهل علينا العمل به، وإنّ مَنْ بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به)[٥].

ومن تأمل القرآن، وجد أن القضايا الكلية الكبرى واضحةٌ جدًّا؛ بحيث يفهمها عامة من يتكلمون اللغة العربية، كقضايا التوحيد، واليوم الآخر بوعده ووعيده وأهواله، وأصول الأخلاق الكريمة والرديئة، وكثير من أحكام الطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج والمعاملات والأنكحة والجنايات، وغير ذلك[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦٤/٧).

(٢) الدر المنثور (٢١/٧).

(٣) مدارج السالكين، ابن القيّم (٤٥١/١).

(٤) المصدر نفسه.

(٥) لم أقف عليه إلا عند القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٠/١).

(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن (١٨٣/٢).



من خلال ما سبق؛ قارن بين التَّدَبُّر والتفسير، وقم بتعبئة الجدول التالي:

وجه المقارنة	التَّدَبُّر	التفسير

نشاط

من خلال العرض السابق لمعاني التفسير؛ بيِّن بأسلوبك مفهوم التفسير، والفرق بينه وبين التَّدَبُّر في الأسطر التالية:

....

....

....

....

....

....

الموضوع الثالث

مفهوم التأويل

أولاً: تعريف التأويل:

مأخوذ من الأَوْل وهو الرجوع، يقال: آل الشيءُ يَؤُول أَوْلاً ومآلاً رَجَع، وأَوَّل إليه الشيءَ رَجَعَه، وأُلْتُ عن الشيء ارتددت عنه، ويقال أيضًا: وتَأَوَّله فَسَّره، وقوله عز وجل: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يونس:٣٩]؛ أَي:لم يكن معهم علم تأْويله؛ أي: تفسيره[١].

ومن خلال ما سبق يتبين أن التأويل يأتي في اللغة على معنيين:

أولهما: الرجوع إلى الشيء؛ المآل والمصير.

وثانيهما: التفسير.

والتأويل بمعناه الأول يلتقي مع التَّدَبُّر؛ حيث إنهما يجتمعان في دلالة المآل والعاقبة والمصير.

ثانيًا: الفرق بين التأويل والتَّدَبُّر:

ويفترق التأويل عن التَّدَبُّر من عدّة أوجه كما يلي:

الأول: أن التَّدَبُّر أعمّ من التأويل؛ وذلك لأن التَّدَبُّر يتعلّق بجميع القرآن الكريم محكمه ومتشابهه. وأما التأويل فيتعلق في القرآن بأمرين:

١- المتشابهات التي لا يعلمها إلا الله -تعالى-؛ مثل: الغيبيات، وحقيقة البعث، والجنة والنار، وغيرها.

٢- المتشابهات التي تحتمل أكثر من دلالة؛ لخفاء في اللفظ أو المعنى أو هما معًا، وهذا هو محل النظر

---

(١) لسان العرب (٣٢/١١) (أول).

دون الأول، كما أن المخاطَبين بالتَّدَبُّر جميع الطوائف من مؤمنين وكافرين ومنافقين، بخلاف التأويل فالمعنيّون به طائفة مخصوصة من العلماء الراسخين ومن كان في حكمهم، على نحو ما ورد في آية آل عمران[(١)].

الثاني: الذي يعلم المؤوَّل على الحقيقة هو الله -تعالى- وحده، فهو مختص بتأويل المتشابهات من الأمور الغيبية كالروح والقيامة والجنة والنار ونحوها.

أما نطاق التَّدَبُّر فأوسع لمخاطبة الجميع به؛ وعليه: فالمتدبِّرون أكثر من المتأوِّلين.

الثالث: التأويل قسمان: مذموم ومحمود، فالمذموم هو الذي يتتبع صاحبه الآيات المتشابهة، ويفسّرها على هواه، وهذا لا يقع إلا من الذين في قلوبهم زيغ.

والمحمود الذي يُعنى أصحابه -وهم الراسخون- بالمتشابهات التي تحتمل أكثر من معنى لخفاء في اللفظ أو المعنى أو هما معًا، فيتبعونه بغرض فهمه وتفسيره، وبيان الحكمة من وروده، بخلاف الزائغين.

وهذا التأويل المحمود يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتَّدَبُّر؛ فمن لا يتدبر الآية بقلبه فلن يفهم المراد منها، ولن يستطيع ردّ المتشابه إلى المحكم[(٢)]، والله أعلم.



قارن بين التأويل والتَّدَبُّر، وقم بتعبئة الجدول التالي:

التأويل	التَّدَبُّر	وجه المقارنة

(١) وهي قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:٧].

(٢) التَّدَبُّر، أ.د. عبدالله سرحان (ص٢٠٠) بتصرف.

الموضوع الرابع
مفهوم الاستنباط

أولاً: تعريف الاستنباط:

هو الاستخراج، مأخوذ من (نَبَط)، ومعناه: استخراج الخفيّ، يقال: نَبَطَ الشيء نَبَطًا ونُبُوطًا: ظهر بعد خفائه، واسْتنبط الفقيه: إذا استخرج الفِقه الباطن باجتهاده وفَهْمه.

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾ [النساء:٨٣]؛ أي: يستخرجونه، وأصله من النَّبَط، وهو الماء الذي يخرج من البئر أوّلَ ما تُحفر[١].

وفي ضوء ما سبق؛ يتبين أن الاستنباط يعني: استخراج المعاني الخفية التي تدِقّ على الأفهام من النصوص، بعد جهد وتأمُّل.

ثانيًا: العلاقة بين الاستنباط و التَّدَبُّر:

الاستنباط أخصّ من التَّدبُّر، وأدقّ منه، والتَّدَبُّر أصل للاستنباط.

فأما كونه أخصّ؛ فلأنه خاص بالعلماء والمتخصّصين، بخلاف التَّدبُّر فهو عام؛ بدليل مخاطبة الكفار والمنافقين وعموم المؤمنين به في آي القرآن[٢].

---

(١) مقاييس اللغة (٣٨١/٥). وتهذيب اللغة لأبي منصور مُحَّد بن أحمد الأزهري (٣٧٠ هـ) (٢٥٠/١٣). ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج إبراهيم بن السري (٣١١هـ) (٨٣/٢). والمعجم الوسيط (٨٩٧/٢) مادة (دبر).

(٢) فخطاب المنافقين في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [النساء:٨١]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [مُحَّد: ٢٤]، ومخاطبة المشركين والإنكار عليهم بترك التَّدبُّر في قوله تعالى: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ٦٦ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ٦٧ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٦٨ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٦٩ أَمۡ =

وأما كونه أدقّ؛ فلأنه يحتاج إلى جهد أكثر، وتكلّف ومعاناة فكرية أعظم؛ وذلك بناء على اشتقاقه واشتماله على (الألف والسين والتاء) الدالة على ذلك[١]، بخلاف التَّدَبُّر.

وأما كون التَّدَبُّر أصلاً؛ فلأنه متقدِّم عليه وسابق له، فلا يمكن الاستنباط من النص قبل تدبّره، والوقوف على معانيه ومراميه.

والناس في الفهم والاستنباط مراتب؛ وفي ذلك يقول الإمام ابن القيم: (والمقصود تفاوت الناس في مراتب الفهم في النصوص، وأن منهم من يفهم من الآية حُكمًا أو حُكمين، ومنهم من يفهم منها عشرة أحكام أو أكثر من ذلك، ومنهم من يقتصر في الفهم على مجرد اللفظ دون سياقه ودون إيمائه وإشارته ...، وأخصّ من هذا وألطف؛ ضمّه إلى نص آخر متعلّق به فيُفْهِم من اقترانه به قدرًا زائدًا على ذلك اللفظ بمفرده، وهذا باب عجيب مِن فَهْم القرآن لا يَتَنبّه له إلا النادر من أهل العلم)[٢].

نسأل الله –تعالى– أن نكون منهم أجمعين.

نشاط

الاستنباط باختصار هو:

....

....

وعلاقة التَّدَبُّر بالاستنباط تتلخص في:

....

....

= ﴿يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون:٦٦-٧٠]، وخطاب عموم المؤمنين في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، والله أعلم.

(١) يراجع: التَّدَبُّر– حقيقته وعلاقته بمصطلحات (التأويل، والاستنباط، والفهم، والتفسير)، أ.د. عبدالله سرحان (ص٢٠٥).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/٣٥٤). وتحرير مفهوم التَّدَبُّر، د. فهد الوهبي (ص١٠٢) بتصرف.

الموضوع الخامس
مفهوم الهداية

أولاً: تعريف الهداية:

الهدى لغةً:

الهدى والهداية مصدر: هدى يهدي، وهما من مادّة (هـ د ى) الّتي تدلّ على أصلين؛ أحدهما: التّقدّم للإرشاد والبيان. والآخر: بَعثة لَطَفٍ. فالأوّل قولهم: هديته الطّريق هداية؛ أي: تقدّمته لأرشده، وكلّ متقدّم لذلك هادٍ[1].

وقال الرّاغب: الهداية دلالة بلطف، من ذلك: هوادي الوحش؛ أي: متقدّماتها الهادية لغيرها، وخصّ الله -عزّ وجلّ- لفظة الهدى بما تولاه وأعطاه واختصّ هو به دون ما هو إلى الإنسان؛ نحو قوله تعالى: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة:٢]، وقوله -عزّ وجلّ-: ﴿ أُولَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [البقرة:٥]، والاهتداء يختصّ بما يتحرّاه الإنسان على طريق الاختيار إمّا في الأمور الدّنيويّة أو الأخرويّة كما في قوله سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا ﴾ [الأنعام:٩٧]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[البقرة:٥٣]، ويقال المهتدي لمن يقتدي بعالم كما في قوله سبحانه: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[المائدة:١٠٤] تنبيهًا إلى أنّهم لا يعلمون بأنفسهم ولا يقتدون بعالم[2].

وقال الجوهريّ: الهدى: الرّشاد والدّلالة؛ يؤنّث ويذكّر، يقال: هداه الله للدّين هدى، والهدى في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ ﴾ [السجدة:٢٦]؛ أي: لم يبيّن لهم[3].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٦/٢٤-٤٣) بتصرف.

(٢) انظر: المفردات للراغب (ص٥٤٠) وما بعدها.

(٣) الصحاح (٦/٢٥٣٣).

الهدى اصطلاحًا:

قال الرّاغب: الهداية دلالة بلطف، فإن قيل: كيف جعلت الهداية دلالة بلطف وقد قال تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٣]؟ قيل: استعمال اللّفظ في ذلك على سبيل التّهكّم مبالغة في المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران:٢١]، [التوبة:٣٤]، [الانشقاق:٢٤][١].

وقال الجرجانيّ: الهداية هي الدّلالة على ما يوصّل إلى المطلوب[٢]. وقيل: هي سلوك طريق يوصّل إلى المطلوب. والملاحظ هنا أنّه أضاف قيد (التّوصيل إلى المطلوب) وحذف قيد (كونها بلطف)، وقد جمع المناويّ بين تعريف كلّ من الرّاغب والجرجانيّ فقال: الهداية: دلالة بلطف إلى ما يوصّل إلى المطلوب[٣].

وقال الكفويّ: الهداية هي الدّلالة على طريق من شأنه الإيصال إلى المطلوب، سواء حصل الوصول بالفعل في وقت الاهتداء أو لم يحصل[٤].

وقال ابن القيّم: الهداية هي البيان والدّلالة، ثمّ التّوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدّلالة. ولا سبيل إلى البيان والدّلالة إلا من جهة الرّسل، فإذا حصل البيان والدّلالة والتّعريف ترتّب عليه هداية التّوفيق[٥].

وقال ابن كثير: الهداية: الإرشاد والتّوفيق، وقد تعدّى الهداية بنفسها كما في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]، فتضمّن معنى ألهمنا أو وفّقنا أو ارزقنا أو أعطنا. و﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠]؛ أي: بيّنّا له الخير والشّرّ. وقد تعدّى بـ(إلى) كما في قوله تعالى: ﴿ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:١٢١]، وذلك بمعنى الإرشاد والدّلالة. وقد تعدّى باللام كقول أهل الجنّة ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى

---

(١) المفردات للراغب (ص٥٤٠) وما بعدها.

(٢) التعريفات للجرجاني (ص٢٧٧).

(٣) التوقيف (ص٣٤٣).

(٤) الكليات (ص٩٥٢).

(٥) فتح الباري (٢١١/١).

﴿هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:٤٣]؛ أي: وفّقنا وجعلنا له أهلاً[١].

وقال البغويّ: اهدنا؛ أي: أرشدنا. وقال عليّ وأُبيّ بن كعب -رضي الله عنهما-: ثبّتنا[٢].

وقال البيضاوي: والهداية دلالة بلطف؛ ولذلك؛ تستعمل في الخير، وقوله تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٣] وارد على التهكم. ومنه الهداية وهوادي الوحش لمقدماتها، والفعل منه هدى، وأصله أن يعدى باللام، أو: إلى، فعومل معاملة اختار في قوله تعالى: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ [الأعراف:١٥٥]، وهداية الله -تعالى- تتنوع أنواعًا لا يحصيها عد؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل:١٨][٣].

نشاط

بيّن بأسلوبك مفهوم الهداية:

....

....

....

ثانيًا: العلاقة بين التَّدبُّر والهداية:

- **من ثمرات التَّدَبُّر تحصيل الهداية وتوابعها:**

فإن التَّدَبُّر يقود للمقصد العظيم من إنزاله؛ وهو هداية البشر إلى طريق الله المستقيم، وقيادتهم إلى جنته ورضوانه، وإنقاذهم من إبليس ومن المصير الذي يقودهم إليه؛ يقول تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ

(١) تفسير القرآن العظيم (١/٢٩).

(٢) معالم التنزيل (١/٤١).

(٣) تفسير البيضاوي (١/٧٠).

جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [المائدة:١٥-١٦]؛ إنه المصباح الذي اجتبى به سبحانه وتعالى هذه الأمة، فلا سبيل لهدايتها إلا به، قال تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ﴾ [فصلت:٤٤].

ومن عظيم الغايات والثمار التي يجنيها المتدبر من تدبره: تحصيل الهداية وتوابعها من الرحمة والبركة ...، وأي شيء يرجوه المسلم ويتمنى أن يُحقق له في الدنيا والآخرة أكبر من ذلك؟

فلا تتحقق هداية القرآن ولا يمكن معرفة مقدار عظمته إلا بتدبُّره ومعرفة معانيه.

ومن فوائد التَّدَبُّر لكتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله، لأنه يراه يصدق بعضه بعضًا، ويوافق بعضه بعضًا[(١)].

- **أن يكون هذا القرآن منهاجًا للعمل وهاديًا للسلوك:**

لأن مَن تدبَّر كلام الله؛ كان ذلك دافعًا له للعمل، ومَن أحسن العمل نال المنازل العالية في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا يحبه الله ويحبه الناس، وترتفع منزلته عندهم، قال ﷺ: **((إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع آخرين))**[(٢)].

وفي الآخرة له الدرجات العلى، قال ﷺ: **((يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة، وآل عمران كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق[(٣)]، أو كأنهما حزقان[(٤)] من طير صواف تحاجان عن صاحبهما))**[(٥)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص١٨٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم بالقرآن، ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها (ح٨١٧).

(٣) شرق: الضَّوءُ وهو الشمس، النهاية في غريب الحديث (١١٤٣/٢).

(٤) حِزقان: لِحِزْق؛ والحَزِيقَة: الجماعة من كل شيء، النهاية في غريب الحديث والأثر (٩٤٨/١).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (ح٨٠٥).

إن المتدبر يستجيب بعد الفكر والنظر، فيطيع الله ويغض البصر، ولسانه يلهج بالشكر؛ لأنه رُزِق الهداية ووُفّق إلى مرضاة الله -عز وجل-؛ يقول الإمام القرطبي: (فإنّ مَن أوتي علم القرآن فلم ينتفع، وزجرته نواهيه فلم يرتدع، وارتكب من الإثم قبيحًا، ومن الجرائم قصدًا، كان القرآن حجة عليه، وخصمًا لديه)[1] وجاء في الصحيح: ((القرآن حجة لك أو عليك))[2].

فأما **الهداية**؛ ففي مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾ [طه:١٢٣]؛ يقول ابن عباس -رضي الله عنهما-: (مَن قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة، ووقاه يوم القيامة سوء الحساب، فضمن الله لمن اتبع القرآن ألاَّ يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة)[3].

- **أن يكون هذا القرآن علاجًا وشفاءً للنفس:**

فالقرآن **شفاء ودواء** بلا شك ولا مراء؛ وهذا أمر محقق ومؤكد، فمَن تدبره وعاش معه نال المراد قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴾ [فصلت:٤٤].

وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [الجاثية:٢٠]؛ فمَن تدبر القرآن تفتحت بصيرته، واهتدى الى الحق، وتنزلت عليه الرحمة والسكينة كما جاء في حديث النبي ﷺ: ((وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده))[4].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي (٢/١).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (ح٢٢٣)

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٩/١).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (ح٢٦٩٩).

- **إزالة حُجب الهداية من الشبهات والشهوات:**

فإذا تدبّر المؤمن القرآن زالت عنه الشبهات والشهوات التي ترد على الإنسان فتصرفه عن الطاعات، أو تهوي به في المعاصي والظلمات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

قال ابن كثير: (أي: من الشُبَه والشكوك، وهو إزالة ما فيها من رجس ودَنَس، و﴿وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ﴾ أي: محصلٌ لها الهداية والرحمة من الله -تعالى-، وإنما ذلك للمؤمنين به والمصدقين الموقنين بما فيه)[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾[الإسراء:٨٢][(٢)]، قال الطبري: (يقول تعالى ذكره: وننزل عليك يا مُحَمَّد من القرآن ما هو شفاء يُستشفى به من الجهل من الضلالة، ويُبصر به من العمى للمؤمنين ورحمة لهم دون الكافرين به؛ لأن المؤمنين يعملون بما فيه من فرائض الله، ويُحلون حلاله، ويحرّمون حرامه؛ فيدخلهم بذلك الجنة، ويُنجيهم من عذابه، فهو لهم رحمة ونعمة من الله أنعم بها عليهم)[(٣)].

إنَّ كتاب الله تعالى **مصدر سعادة** لأرواح المؤمنين؛ فقد وصفه الله -تعالى- بقوله: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه:٢]، والكتب التي تناقضه لن يعيش أصحابها إلاَّ في شقاء وضيق في صدورهم، كما بيَّن تعالى: ﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٤-١٢٦].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٢٧٤).

(٢) تعليم تدبر القرآن الكريم، د. هاشم الأهدل (ص٢٣).

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن (١٧/٥٣٨).

الموضوع السادس
مفهوم التزكية

أولاً: تعريف التزكية:

التزكية لغةً بمعنى: الطهر؛ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس:٩-١٠].

وتأتي بمعنى: الزيادة، تقول: قد زكّى المال؛ أي: زادهُ ونمّاه[١].

والتزكية اصطلاحًا هي: تطهير النفس من الشر والإثم.

فتكون تزكية النفس بتطهيرها من الأدران والأوساخ، وتنميتها بزيادة الأوصاف الحميدة.

أهميّة تزكية النفس:

١- إنّ الله -عزّ وجل- قد أقسم على فلاح من زكّى عن نفسهِ بأحد عشر قسمًا فقال: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ ... إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس:١-١٠] والنفس هي أشد الأعداء على الإنسان؛ لأنّها تدعوهُ الى الطغيان والباطل وحب الدنيا، وقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من شرّها[٢].

٢- طريق إلى الجنّة: وتزكية النفس وطهارتها من شروط دخول الجنّة ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤].

٣- السّعادة: فعندما يزكي الشخص نفسهُ ويبتعد عن المعاصي، ويتقرّب إلى الله بالأخلاق الحميدة؛

---

(١) ينظر: معجم مقاييس لابن فارس (١٧/٣) (زكى).

(٢) جاءت الاستعاذة من شر النفس في عدد من الأحاديث؛ منها: قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ»؛ أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ح١٢٣٩) وهذا لفظه. وفي صحيح الأدب المفرد (ح٩١٤). وفي سنن الترمذي (ح٣٥٢٩). وفي صحيح سنن الترمذي (ح٢٧٨٩).

فهي بحد ذاتها سعادة، ولا يشعر بها إلاّ من جرّبها.

ومحل التزكية هو القلب، وهو موضع الإصلاح؛ فالقلوب ثلاثة أنواع؛ وهي: القلب السليم، والقلب المريض، والقلب الميت؛ إذ لا بد من إصلاح القلب، وتطهيره من الشرك، ثم من المعاصي- الكبائر منها والصغائر-؛ ليصل إلى التزكية.

وتزكية النفس قسمان:

التحلية: وهي أن تملأ النفس بالأخلاق الحميدة والصفات الحسنة.

التخلية: بمعنى تطهير النفس من أمراضها وأخلاقها الرذيلة.

وإنَّ من أعظم ثمرات تدبّر القرآن التزكية؛ ففي قراءة القرآن وتدبّر معانيه والعمل به تزكية للنفس؛ بالأخلاق الحميدة والصفات الحسنة، وتطهير من الشرور.

نشاط

من خلال العرض السابق لمعاني التزكية؛ بيّن بأسلوبك مفهوم التزكية:

....

....

....

ثانيًا: العلاقة بين التَّدَبُّر والتزكية:

إنَّ قراءة القرآن وتدبّر معانيه والعمل بما فيه مما يوصل إلى تزكية النفس وتطهيرها من الشرور، ومن صور ذلك:

١- **تدبره من أجل الاستغناء به:** قال ابن تيمية: (وَأَمَّا فِي بَابِ فَهْمِ الْقُرْآنِ فَهُوَ دائم التفكر والتَّدَبُّر لألفاظه، واستغنائه بمعاني القرآن وحِكَمِه عن غيره من كلام الناس، وإذا سمع شيئًا من كلام الناس وعلومهم عرضه على القرآن؛ فإن شهد له بالتزكية قبله وإلاّ رده، وَإِنْ لَمْ يَشْهَدْ لَهُ بِقَبُولٍ وَلا رَدٍّ وَقَفَهُ،

وَهِمَّتُهُ عَاكِفَةٌ عَلَى مُرَادِ رَبِّهِ مِنْ كَلامِهِ)[1].

٢- **تدبره من أجل تليين القلب به وترقيقه، وتحصيل الخشوع**؛ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:٢٣].

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر:٢١].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۩ (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩].

٣- **تدبره من أجل الامتثال والعمل بما فيه من الأوامر، واجتناب النواهي**؛ قال ابن مسعود - رضي الله عنه - في بيان المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٢١]: (والذين نفسي بيده؛ إن حق تلاوته أن يحل حلاله، ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله)[2]. وعن عكرمة قال: يتبعونه حق اتباعه باتباع الأمر والنهي؛ فيحلون حلاله ويحرمون حرامه، ويعملون بما تضمنه[3].

٤- **يزيل الأحزان، ويذهب الهموم والغموم، ويرزق الله به الناس من الخيرات ما لا يتوقَّعونه**؛ فهو القائل سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦].

إنَّ الأنفس المؤمنة تطمئن لذكر الله؛ فهو القائل سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٥٠).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٤٠٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٩٢).

﴿بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]؛ فتطمئن القلوب، وتبتهج الأنفس، ويزول الداء عن الفؤاد الصادي، ففي ذكر الله الدواء الشافي، والهدى الوافي، كما قال تعالى عن القرآن: ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞ﴾ [فصلت:٤٤].

وغير ذلك مما ذكره العلماء في تزكية النفس وتطهيرها[١].

ثالثًا: ومن التزكية الإصلاح:

والعلاقة بين التَّدَبُّر والإصلاح ظاهرةٌ؛ فقد استقرأ المفسّرون المقاصد الأصلية، والأبعاد المتعلّقة بمجالات الإصلاح التي جاءت في القرآن الكريم، ولخّصها ابن عاشور في مقدمة تفسيره[٢]، في ثمانية أمور:

١- **إصلاح الاعتقاد**: وهو أعظم سبب لإصلاح الخلق؛ لأنّ إصلاح الاعتقاد هو أصل الإصلاح، ومفتاح باب الصلاح في العاجل، والفلاح في الآجل:

- لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل.
- ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الشرك والشركيات.

٢- **إصلاح الأخلاق وتهذيبها**؛ وذلك بـ: التعليم الصحيح والآداب الإسلامية، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم:٤]، وعن **عائشة** -رضي الله عنها- لما سئلت عن خُلقه ﷺ قالت: «**كان خُلقه القرآن**»[٣]، وفي الحديث الذي رواه مالك في الموطأ بلاغًا أن رسول الله ﷺ قال: «**بُعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[٤].

---

(١) من أفضل الرسائل التطبيقية في ذلك رسالة ابن القيم: زاد المهاجر إلى ربه (المسماة بـ: الرسالة التبوكية).

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (١/٤١) بتصرّف.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٥٠/١١٦) (ح٢٣٤٦٠). وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٤) أخرجه مالك في الموطأ، باب ما جاء في حسن الخلق (٥/٣٨٦) (ح١٧٤٢). وأحمد في المسند (١٤/٥١٣) (ح٨٩٥٢). وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح، وهذا إسناد قوي. والحديث روي بألفاظ أخرى.

٣- **إصلاح التشريع:** والأعراف والقوانين المسيّرة للمؤسسات القضائية، والاقتصادية، والتعليمية، والصحّية، ...، بما يتماشى مع الشريعة الإسلامية. ولقد جمع القرآن جميع الأحكام جمعًا كليًّا في الغالب، وجزئيًّا في المهم؛ فقوله تعالى: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩]، وقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، المراد بهما إكمال الكليات التي منها الأمر بالاستنباط والقياس(١).

٤- **إصلاح سياسة الأمّة، وتدبير شؤونها** العامّة والخاصّة، في جميع المجالات الحيوية، وعلى جميع المستويات، وهو في حقيقة الأمر **باب عظيم** في القرآن الكريم، والقصد منه **صلاح الأمّة، أفرادًا وجماعات، وحفظ نظامها**. وذلك **بتدبّر الآيات** الخاصّة بهذا الشأن؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦](٢).

٥- **الإصلاح بالقصص** وأخبار الأمم السالفة:

- **للتأسّي بصالح أحوالهم**؛ وذلك **بتدبّر الآيات** الخاصّة بهذا الشأن، كما جاء في قوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٩٠].

- **وللتحذير من مساوئهم**؛ قال تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [إبراهيم:٤٥].

٦- **الإصلاح بالتربية والتعليم** مناهجها وطرقها وبرامجها، بما يناسب حالة عصر المخاطَبين، وما يؤهّلهم إلى تلقّي الشريعة ونشرها، وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار، وكان ذلك مبلغ علم مخالطي العرب

---

(١) التحرير والتنوير (٤١/١) بتصرّف.

(٢) المصدر السابق.

من أهل الكتاب[١].

٧- **الإصلاح بتدبّر** آيات **الوعد والوعيد**، المتضمِّنة **المواعظ والإنذار والتبشير**، وكذلك المحاجّة والمجادلة للمعاندين، وهذا باب الترغيب والترهيب.

٨- **الإصلاح بتدبّر الآيات** الخاصّة ببيان وجوه **الإعجاز في القرآن**؛ ليكون آية دالّة على صِدْق الرسول ﷺ؛ قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس:٣٨][٢].

ولذلك؛ يجب على المسلمين إدراك أهمية تدبّر القرآن الكريم، والبْحث عن الأسباب والوسائل المعينة على فهمه وتدبره.

* * *

(١) التحرير والتنوير (٤١/١) بتصرّف واختصار.

(٢) المصدر السابق بتصرّف.

الموضوع السابع
مفهوم التفكر

أولاً: مفهوم التفكر:

قال السيوطي: (وتسن القراءة بالتَّدَبُّر والتفهم ...، وصفة ذلك: أن يشغل قلبه بالتفكر في معنى ما يلفظ به، فيعرف معنى كل آية ويتأمل الأوامر والنواهي ويعتقد قبول ذلك، فإن كان مما قصر عنه فيما مضى اعتذر واستغفر، وإذا مرّ بآية رحمة استبشر وسأل، أو عذاب أشفق وتعوذّ، أو تنزيه نزّه وعظم، أو دعاء تضرع وطلب)[١].

فالتَّفَكُّر: التأمّل، يقال: فَكَرَ في الأمر فِكْرًا أي أعمل العقل فيه، ورتّب بعض ما يُعلم ليصل به إلى مجهول.

والاسم الفِكْرُ والفِكْرةُ، والمصدر الفَكْرُ بالفتح وبابه نَصَر، ورجل (فِكّير) بوزن (سِكِّيت) كثير التفكُّر، وفَكَّر في الأمر مبالغة، وهو أشيع في الاستعمال من فَكَر، وفكّر في المشكلة: أعمل عقله فيها ليتوصل إلى حلها[٢].

وردت مادة (فكر) في القرآن الكريم في ثمانية عشر موضعًا[٣]، ولم ترد بصيغة الاسم أو المصدر. وإنّما جاءت في صيَغ فعليّة، مثل: (فكَّر)، (يتفكرون)، (تتفكرون).

وقد يأتي التفكير في القرآن بمعنى النظر العقلي والتأمّل، والانتقال من المقدمات العلمية أو الظنية إلى ما يترتب عليها من نتيجة علمية أو ظنية.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/١٢٧).

(٢) ينظر: مختار الصحاح (ص٥١٧). ولسان العرب (٥/٦٥). والمعجم الوسيط (٢/٦٩٨) (فكر).

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن (ص٥٢٥) مادة (ف ك ر).

قال صاحب المنار: (وَاسْتِعْمَالُ الْقُرْآنِ لِلتَّفَكُّرِ وَالتَّفْكِيرِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا فِي العَقلِيّاتِ المحضَةِ أَو فِي الْعَقْلِيَّاتِ الَّتِي مَبَادِئُهَا حِسِّيَّاتٌ ...، وَأَكْثَرُ مَا اسْتَعْمَلَهُ التَّنْزِيلُ فِي آيَاتِ اللهِ وَدَلائِلِ وَجُودِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ)[١].

وعند الرازي؛ فإنّ الفكر والنظر مسميان لمسمّى واحد، فـ(النظر والفكر عبارة عن ترتيب مقدمات علمية أو ظنية؛ ليتوصل بها إلى تحصيل علم أو ظن)[٢].

وقال الراغب: (النَّظَرُ: تَقْلِيبُ البَصَرِ والبصيرةِ لإدرَاكِ الشيءِ ورؤيَتِهِ، وقد يُرادُ به التَّأَمُّلُ والفَحْصُ، وقد يراد به المعرفةُ الحاصلةُ بعد الفَحْصِ، وهو الرَّوِيَّةُ. يقال: نَظَرْتَ فلم تَنْظُرْ؛ أي: لم تَتَأَمَّلْ ولم تَتَرَوَّ، وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس:١٠١]؛ أي: تَأَمَّلُوا)[٣].

والقرآن الكريم يذكر التفكير ويعبر عنه بكلمات متعددة، تشترك في بعض المعنى من جهة وتنفرد بمعناها على حسب السياق من جهة أخرى، فهو الفكر والنظر والبصر والتَّدَبُّر والاعتبار والذكر والعلم،

---

(١) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (٩/٣٨٥).

تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، والذي أسماه (تفسير القرآن الحكيم) قد تعرّض إلى انتقادات كثيرة من قِبل فئات عدة، يأتي في مقدمتهم بعض علماء المدرسة السلفية الحديثة الذين رأوا فيه تساهل رشيد رضا في ذكر بعض التأويلات، وتأويل بعض المعجزات، وردّ بعض الأحاديث النبوية، وانفراده ببعض الآراء الفقهية، وقسوته أحياناً على بعض العلماء السابقين، وقد اتبع مُحَمَّد رشيد رضا في ذلك منهج شيخه مُحَمَّد عبده الذي أسرف في نظرهم في الاعتماد على العقل والرأي في التفسير. إلا أنه – إنصافًا – يحسب له أنه يعد محاولة للجمع بين صحيح المأثور، وصريح المعقول، وتحقيق الفروع والأصول.

(٢) معالم أصول الدين للرازي (ص٢٠).

ترك الرازي مؤلفات عديدة دافع فيها عن المذهب الأشعري بكل ما يملكه من حجج عقلية، كما أنه أفاض في بعضها في دراسة الفلسفة فوافق أصحابها حيناً وخالفهم حيناً آخر. وقد انتهى في آخر عمره إلى أن الحق في الرجوع إلى مذهب أهل الحديث وهو الاستدلال بالكتاب والسنة. ولكن بقيت المشكلة في مؤلفاته الكلامية والفلسفية التي انتشرت وتلقفها المهتمون بهذه الأمور.

(٣) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (ص٤٩٩).

وسائر هذه الملكات الذهنية التي تتفق أحيانًا في المدلول، ولكنها لا تستفاد من كلمة واحدة تغني عن سائر الكلمات الأخرى.

ومما سبق يتبين أن التفكّر:

يعني: إعمال العقل وتأمّله في أمرٍ ما ليُتوصل به إلى نتيجة ما، أو حل لمشكلة معينة.

أو هو: (جَوَلان القوّة المُطرِقة للعلم إلى المعلوم بحسب نظر العقل، **وقيل**: فَرْك معاني الأمور وبحثها طلبًا للوصول إلى حقيقتها)[(١)].

ثانيًا: العلاقة بين التَّدَبُّر والتفكّر:

الأول: أن التفكّر أعمّ من التَّدَبُّر؛ وذلك لأن متعلَّقه أوسع وأشمل من متعلَّق التَّدَبُّر، حيث يكون التفكر في الآيات المتلوّة والمشاهدة في الكون والنفس، ومن أمثلة ذلك:

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩١-١٩٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

أما التَّدَبُّر فمتعلَّقه في المقام الأول بالآيات المتلوة دون غيرها، فيختص التَّدَبُّر بتحصيل الذكرى عن

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص٦٤٣) (فكر) بتصرف.

طريق النظر في الآيات القرآنية، بينما يختص التفكر بتحصيل الذكرى بالآيات الكونية، هذا هو الغالب، ولكن مع هذا يؤول أحدهما إلى الآخر، أي إنه توجد علاقة جدلية بينهما؛ فتدبر القرآن يقودك إلى التفكر في الوجود، والتفكر في الوجود يعود بك إلى القرآن، وهما في جميع الأحوال يثمران تذكرًا للقلب وذكرى.

الثاني: مما يُفرّق به بينهما أن التفكُّر: (تصَرُّف القلب بالنظر في الدليل، والتَّدَبُّر تصَرُّفه بالنظر في العواقب)[١].

الثالث: التَّدَبُّر يتجاوز الحاضر إلى المستقبل؛ لأنه يعني النظر العقليَّ إلى عواقب الأمور، والتفكُّر جولان الفكر في الأمر الذي تكون له صورة عقليَّة عن طريق الدليل، فـ(التَّدَبُّر: هو النظر في عواقب الأمور، وهو قريب من التفكر، إلا أن التفكر تصرف القلب بالنظر في الدليل، والتَّدَبُّر تصرفه بالنظر في العواقب)[٢].

ومن ثَمّ؛ يكون للتدبر معانٍ فكرية وروحية، تتصل بمقامات التعبد، والتقرب إلى الله، واتصال أشواق الروح به سبحانه، بخلاف (التفكر) الذي يقترب في مهامه من مقاصد المعرفة واستكشاف الدلائل والأحكام، كما يمكننا أن نضيف هنا جانبين لمفهوم التَّدَبُّر:

جانب مباشر: وهو التحديد الذي بينته في الفقرة السابقة. فحينما يُذكر (التَّدَبُّر) في آية، أو مقام شرح، أو توضيح له في القرآن؛ فإنه لا يبتعد كثيرًا عن السابق.

وجانب غير مباشر: وهو عبارة عن ممارسات عملية تشمل أي مسلك تعبدي روحي، كالصلاة، أو الصوم، أو الزكاة، أو ...، وتشمل أيضًا القربات الأخرى التي يتقرب بها العبد إلى ربه، بتنفيذ الأوامر واجتناب النواهي؛ ومن ثَمَّ الأخذ بكل ما هو نافع ومفيد، كثمرة للتدبر، واستجابة من استجاباته.

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي (ص١٦٧) بتصرف. والتعريفات للجرجاني (ص٧٦).

(٢) التعريفات (ص٧٦).

الموضوع الثامن
مفهوم التعقل

أولاً: مفهوم التعقل:

العقل لغةً: هو الإمساك والاستمساك، وحَبْسَةٌ في الشيء؛ كَ: عَقَلَ البعيرَ بالعقال؛ إذا جَمَعْت قوائمه، وعَقَلَ الدواءُ البطنَ، وعَقَلَتِ المرأةُ شعرَها، وعَقَلَ لسانَه: كَفَّه[١]، وفي حديث محمود بن الربيع: (عَقَلْتُ من النبي ﷺ مَجَّةً مَجَّهَا في وجهي وأنا ابن خمس سنين من دلو)[٢]، وعرَّفه الأنصاري بالمنع[٣].

فالعَقْلُ: هو الحِجْر والنُّهى، ضدُّ الحُمْق، والرَّجُل العاقل: هو الجامع لأَمره ورَأْيه، وقيل: العاقلُ الذي يَحْبِس نفسه ويَرُدُّها عن هَواها.

والتعقُّل: هو التَّثَبُّت في الأُمور، وسُمِّي العَقل عَقلاً؛ لأَنه يَعْقِل صاحبه عن التَّوَرُّط في المهالِك أي يحبسه.

أو هو: القوّة المتهيّئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوّة عَقْلٌ[٤].

واصطلاحًا: أوضح تعريفاته أنه: (ما يقع به التمييز، ويمكن الاستدلال به على ما وراء المحسوس)[٥]؛ فهذا التعريف روعي فيه الدور الوظيفي للعقل في الاستفادة من معطيات الحواس والبناء عليها؛ لتحصيل

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٤/٦٩). وأساس البلاغة (ص٦٤٧-٦٤٨). والمفردات في غريب القرآن (ص١٠٠٢). والقاموس المحيط (٤/١٨)؛ وجميعها مادة (ع ق ل).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب متى يصح سماع الصغير؟ (ح٧٧)، وانظر (ح١٨٦، ح٥٩٩٣).

(٣) انظر: الغنية في الكلام (ل:٩٨ب).

(٤) ينظر: لسان العرب (١١/٤٥٨). ومفردات الراغب (ص٥٧٧) (عقل).

(٥) هذا التعريف محكي عن أبي العباس القلانسي، وأبي إسحاق الإسفراييني. انظر: الغنية في الكلام (ل:٣أ). والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/٤١١).

العلم بالمجهول.

ثانيًا: العلاقة بين التَّدَبُّر والتعقُّل:

يمكن إبراز العلاقة بين التَّدَبُّر والتعقُّل بأن التعقل قائم في أصله اللغوي على المنع، ففيه معنى يقضي بإدراك المعاني التي تَعْقل الإنسان وتمنعه من المخالفة، وهذا بخلاف التَّدَبُّر فهو كما مر تعقُّب للوصول إلى أدبار المعنى.

ثالثًا: الفرق بين التعقّل والتفكّر:

في ضوء استقراء وتدبّر الآيات القرآنيّة التي وردت فيها مشتقات (التعقّل، والتفكّر)، نستطيع أن نستنتج بعض الملاحظات التي تساعدنا على فهم العلاقة بين **التعقّل والتفكّر** في استعمال القرآن، ونجمل هذه الملاحظات بالآتي:

- الفرق الجوهري من حيث المعنى اللغوي بين التفكّر والتعقّل، هو أنّ التعقّل: ربط ومنع. والتفكّر: تقليب وترديد. فالقدرة التفكيرية تختلف عن القدرة العقلية.

- عمليّة التعقُّل خاصّة، يتّصف بها أهل العلم المنتج للإيمان الذين يتفكرون في الغاية من الأمثال القرآنية ويدركونها فقط، ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:٤٣]. أمّا الكفّار الذين لا يُدركون ذلك؛ فصفة التعقّل منفيّةٌ عنهم ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة:١٧١]؛ فعمليّة التفكّر عامّة يشترك بها جميع الناس الذين يملكون عوامل التفكير.

- عمليّة التفكّر قد تنتج حكمًا عقليًّا صائبًا، وقد تنتج فكرًا منحرفًا خاطئًا. ﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ [المدثر:١٨-٢٠]. أمّا التعقّل فلا ينتج إلا صوابًا وحكمة.

- إنّ التعقُّل ليس هو التفكّر، وإنّما نتيجة له. فقد يحصل تفكّر ولا يحصل منه تعقُّل، ولا تعقُّل بدون تفكير. فباستقراء الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر التفكّر والتعقُّل في سياقٍ واحد؛ يلاحظ أنّ

التعقُّل لا يُذكر إلا بعد التفكّر، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾[النحل:١١-١٢].

وفي هذا دلالةٌ على أنّ عمليّة عقل الشيء لا تتأتى إلا بعد تفكيرٍ شامل لذلك الشيء وما يتعلّق به. فالتفكير في الشيء مقدّمة ضروريّة ولازمة للوصول إلى الحكم العقلي الذي يُعدّ نتيجة لتلك العمليّة.

* * *

الموضوع التاسع

مفهوم التأمل[١]

أولاً: تعريف التأمل:

التَّأَمُّل: هو التَّثَبُّت، يقال: تأَمَّلت الشيءَ، أَي: نظرت إِليه مُستثْبِتًا له، ويقال: تَأَمّل الرجل، أي: تَثَبَّت في الأَمر وتحقَّق منه[٢].

وعليه فالتأمّل يعني: تدقيق النظر في الأمور بغرض التثبّت والتحقق، أو الاتعاظ والتذكّر.

ثانيًا: العلاقة بين التَّدَبُّر والتأمّل تتبين في أمور ثلاثة:

الأول: التأمّل أعم من التَّدَبُّر، حيث عرّفه ابن القيم -رحمه الله- بقوله: (هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبّره وتعقُّله)[٣] فجعله جامعًا للوقوف على المعاني، ثم تحديق النظر فيها، ثم جَمْع الفكر على تدبرها وتعقلها. بخلاف التَّدَبُّر فهو الفكر الواصل إلى أواخر دلالات الكلام وأدبارها.

الثاني: أن التَّدَبُّر من عمل القلب وحده، ولا يُشترط فيه الديمومة والاستمرار، بخلاف التأمّل فهو يحتاج إلى طول وقت وتأنٍّ وتثبّت في الأمور، ورُوعي فيه إدامة النظر؛ ومن ثَمَّ فلا تكون النظرة الواحدة تأمّلاً.

الثالث: أن التأمّل قد يحدث بالبصر وحده، أو بالبصر يعقبه التفكّر، أما التَّدَبُّر فيكون بالبصيرة وحدها؛ حيث إنه من أعمال القلب، والله أعلم.

---

(١) لم ترد صيغة (التأمل) في القرآن الكريم ولا مشتقاته، إلا لفظة (الأمل) فقد وردت في موضع واحد في سورة (الحجر) في الآية رقم (٣). ولفظة (أملاً) وردت أيضًا في موضع واحد في سورة (الكهف) في الآية رقم (٤٦).

(٢) لسان العرب (١١/٢٧) (أمل) بتصرف.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (١/٤٥١) بتصرف.

الموضوع العاشر
مفهوم التفهّم

أولاً: مفهوم التفهم:

التفهُّم أو الفَهْمُ: هو هيئة للإنسان بها يتحقّق معاني ما يحسن، أو هو معرفة المعْنَى من اللفظ بالقلب، يقال: فَهِمْتُ الشيء فَهْمًا أي علمته، وفلانٌ فَهِمٌ، وقد اسْتَفْهَمَني الشيء فأفْهَمْتُهُ، وفَهَّمْتُهُ تَفْهيمًا، وتَفَهَّمَ الكلامَ، إذا فَهِمَهُ شيئًا بعد شيء، وقوله تعالى: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٧٩] إمّا بأن جَعَل الله له من فضل قوّة الفهم ما أدرك به ذلك، وإمّا بأن ألقى ذلك في رَوْعه، أو بأن أوحى إليه وخصّه به[١].

وعليه **فالمراد بالفَهْم**: هيئة حاصلة للإنسان يدرك بها معاني الألفاظ وحقائق الأمور.

ثانيًا: العلاقة بين الفهْم والتَّدَبُّر في الأوجه التالية:

الأول: الفَهْم أصل للتدبّر ومقدَّم عليه، فلا يُتصوّر تدبر كلام من دون فهمه والوقوف على معانيه، فهو من هذه الجهة كالتفسير سواء بسواء.

الثاني: التَّدَبُّر أعمّ وأعمق من الفهم، فأما **كونه أعم**؛ فلأن التَّدَبُّر يشمل الفهم والتَّدَبُّر معًا فلا يُعقل تدبر من غير تفهُّم -كما سبق-، وأما **كونه أعمق**؛ فلأنه غوْص في الحِكَم والأسرار وما وراء النصوص ...، ونحو ذلك، بخلاف الفهم فيُكتفى فيه بالوقوف على المعاني الظاهرة دون تطلّب لما سواها.

الثالث: أن (الفَهْم) لم يرد في القرآن إلا بصيغة وحيدة فريدة، بخلاف التَّدَبُّر فإنه ورد أربع مرات مما يدل على أهميته والتأكيد على طلبه والحضّ عليه[٢].

---

(١) الصحاح للجوهري (٥/٢٠٠٥). ومفردات الراغب (ص٦٤٦). وتاج العروس (٢٢٤/٣٣).

(٢) التَّدَبُّر، أ.د. عبدالله سرحان (ص٢١٠) بتصرف.

الرابع: صيغة المضعّف التي ورد بها مصطلح (الفهم) في القرآن للدلالة على التكثير، أما صيغة (التَّدَبُّر) فهي للدلالة على التتبُّع والتدرُّج والتعقّب للوصول إلى أدبار المعاني[١]، والله أعلم.

وبعد؛ فإن هذه المصطلحات السابقة تُعدّ بمثابة درجات في فهم القرآن والتعامل معه، ولا بد أن نفهم أن الناس درجات ومستويات في: التَّدَبُّر، والاستنباط، والتفسير، والتأويل، والتفكّر، والتأمّل، والتعقُّل، والتذكُّر، والتفهم؛ ولن يُحرم أحدنا إحدى هذه الدرجات -بإذن الله- مع كلام الله تعالى، بل لا عُذر له ألبتة في تركها أو أيٍ منها، كما أنه من الواضح البيّن عدم ترادف هذه الألفاظ، وأن لكل منها معنى خاص بها يميزها عن غيرها، ولا أدل على ذلك من استعمال القرآن الكريم ما نقل منها على حدة في سياق مستقل، وإلا لعَبّر عن الجميع بلفظ واحد، والله أعلم.

* * *

---

(١) المصدر نفسه (ص٢١٠) بتصرف.



من خلال العرض السابق؛ تبين وجود علاقة تداخل وتكامل بين مفهوم التَّدَبُّر، ومفاهيم: (التفسير، والتأويل، والاستنباط، والهداية، والتزكية، والتفكر، والتعقل، والتأمل، والتفهم). والمطلوب من الدارس هو بيان هذه العلاقات من خلال النموذج التالي:

م	المفهوم	المعنى العام	العلاقة بينه وبين التَّدَبُّر
١	التفسير	....	....
٢	التأويل	....	....
٣	الاستنباط	....	....
٤	الهداية	....	....
٥	التزكية	....	....
٦	التفكر	....	....
٧	التعقل	....	....
٨	التأمل	....	....
٩	التفهم	....	....

جهد التعلم / ملف الإنجاز:

يقوم الدارس بالجهد التالي:

أ- تلخيص البحوث التي كتبت في تعريف التَّدَبُّر، وعلاقته بالمصطلحات والمفاهيم المقاربة له.

ب- متابعة ما يستجد من بحوث ومقالات ومؤتمرات ودراسات علمية في مفهوم التَّدَبُّر.

ج- إجراء حوار علمي مع زميل له في مفهوم التَّدَبُّر وعلاقته بالمفاهيم المرتبطة به.

مصادر التعلم:

- تدبر القرآن (مفهومه وأساليبه)، د. فهد بن مبارك الوهبي، بحث منشور بمجلة الدراسات القرآنية الصادرة عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه (تبيان)، جامعة الإمام مُحمَّد بن سعود بالرياض، العدد الثامن (١٤٣٢هـ).
- تدبّر القرآن، د. سليمان السنيدي، ط. الثانية، ضمن سلسلة المنتدى الإسلامي (٢٠٠٢م).
- التَّدَبُّر (أهميته، وفوائده، وأثر المصطلحات والدلالات اللغوية والبلاغية في تدبر معاني القرآن الكريم)، أشرف مُحمَّد زيدان، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة الجلفة (الجزائر)، عدد (١٢) (ذو القعدة ١٤٣٤هـ).
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام مُحمَّد هارون، طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة (١٩٧٠م).
- مفهوم التَّدَبُّر عند اللغويين، د. عويض العطوي (ص٣٠)، ورقة عمل مطبوعة ضمن كتاب: (مفهوم التَّدَبُّر: تحرير وتأصيل).
- مفهوم التَّدَبُّر في ضوء الدراسة التحليلية لآياته في القرآن، د. مُحمَّد بن زيلعي هندي، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى.
- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتَّدَبُّر والمفسر، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطَّيَّار، دار ابن

الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط. الثانية (١٤٢٧ هـ).

- مفهوم التلاوة والترتيل والتَّدَبُّر في القرآن، منظور بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد رمضان، مجلة جامعة أم القرى، عدد (٣٠) (جمادى الأولى ١٤٢٥هـ).

التقويم:

(١) اشرح مفهوم التَّدَبُّر في اللغة والاصطلاح.

(٢) وضح باختصار الفرق بين التَّدَبُّر وكل من: التفسير والتأويل.

(٣) وضح العلاقة بين التَّدَبُّر والهداية.

الوحدة الثانية

تأصيل مشروعية التدبر

أهداف الوحدة:

يتوقع من الدارس بعد إنهائه هذه الوحدة أن:

(١) يبين مشروعية التَّدَبُّر بالأدلة ودلالاتها.

(٢) يربط بين أدلة التَّدَبُّر، والتفكر، والتعقل، ويشرح دلالات ذلك.

(٣) يبين منهج النبي ﷺ والصحابة والسلف في تدبر القرآن.

(٤) يميز بين أقوال السلف في التَّدَبُّر وتطبيقاتهم له.

(٥) يشرح مشروعية التَّدَبُّر.

مفردات الوحدة:

الموضوع الأول: آيات التَّدَبُّر، ودلالاتها.

الموضوع الثاني: آيات العقل والتفكر، ودلالاتها.

الموضوع الثالث: الأحاديث الدالة على التَّدَبُّر، ودلالاتها.

الموضوع الرابع: آثار السلف الدالة على التَّدَبُّر، ودلالاتها.

الموضوع الخامس: أقوال العلماء حول أهمية التَّدَبُّر.

عدد المحاضرات:

١٠ محاضرات.

تمهيد:

إن الله جلَّ وعلا اختصَّ أمة الإسلام بكتابه الكريم، الذي هو أُسُّ الفضائل وعنوانها، وتاج المحاسن وبستانها؛ قد حوى في طيَّاته الدرر المصونة، وأهدى متدبريه نفائس الجواهر المكنونة، وهو مع ذلك باب الفلاح لطالبيه، ومفتاح النجاح لراغبيه، والشافع لقارئيه عندما تزلُّ الأقدام، ويقع بينهم التجادل والخصام؛ قال النبي ﷺ: **«اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»**(١).

وفي ذلك يقول الشاطبي رحمه الله:

وإن كتاب الله أوثقُ شافعٍ ... وأغنى غَناءٍ واهبًا متفضلا

وخيرُ جليسٍ لا يُملُّ حديثُهُ ... وترداده يزداد فيه تجمُّلا(٢)

فلمَّا كان كتاب الله تعالى بهذه المنزلة السَّنيَّة، والشرفِ العالي والمكانة البهيَّة؛ كان الاشتغال به من أوجب الواجبات، وأحسن الطاعات؛ لأنه اشتغالٌ بكلام رب الأرض والسموات، وإن أنفس ما يعمُرُ به العاقل وقته، ويقطع فيه سِنِي عمره، هو تدبر القرآن العزيز، والوقوف على مقاصده، وإدراك غاياته وحِكَمه، والعمل بما جاء به؛ فإن المرء إنما ينال من هذا الكتاب العزيز على قدر حظِّه من التوفيق.

ولقد جاء في القرآن الكريم الإخبارُ بأن الله عزَّ وجلَّ أنزل كتابه للتَّدبُّر وليتذكر أولو الألباب؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص:٢٩] فلا يقتصر العامل به على تلاوته ومعرفة معانيه فحسب، وإنما عليه أن يتدبَّره؛ لأنه إنما أنزل لهذا المطلب العالي.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب صلاة المسافرين (١/٥٥٣) (ح٨٠٤).

(٢) حرز الأماني ووجه التهاني (ص٢).

الموضوع الأول
آيات التَّدبُّر ودلالاتها

ورد الأمر في القرآن بالتَّدَبُّر في أربعة مواضع: موضعان لخطاب المنافقين في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨١]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤]، وموضع لخطاب المشركين في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون:٦٨]، والرابع لخطاب عموم المؤمنين في قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩].

ومن ثَمَّ؛ نبدأ -حسب الترتيب- بالحديث عن المنافقين في آيتَيْهما، ونثنّي بآية خطاب المشركين، ونختم مع آية خطاب المؤمنين.

(١) المنافقون:

فقد وردت **آيتان** تأمرهم بالتَّدَبُّر؛ وهما قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤]، وفي سياق هذه الآية يقول الطبري: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعظهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه -عليه الصلاة والسلام-، ويتفكرون في حُججه التي بيّنها لهم في تنزيله فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون؟! ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ يقول: أم أقفل الله على قلوبهم؛ فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر ...؟! إذ والله يجدون في القرآن زاجرًا عن معصية الله، لو تدبره القوم لعقلوه، ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك[١].

(١) جامع البيان (٢٢/١٧٩).

قال أبو حيان: وهذا استفهام معناه الإنكار؛ أي: أفلا يتأملون ما نزل عليك من الوحي ولا يعرضون عنه؟! فإنه في تدبره يظهر برهانه ويسطع نوره، ولا يظهر ذلك لمن أعرض عنه ولم يتأمله[(١)].

ومن يتأمل في دلالة هذا الاستفهام الإنكاري؛ يجد أنه جاء بتوبيخهم على عدم التَّدَبُّر، والتعجب من حالهم في استمرارهم على نفاقهم مع توفر أسباب الهداية؛ وهو القرآن الذي يردّده الرسول ﷺ على مسامعهم وبين ظهرانيهم ليل نهار، وهذا ما ذكره ابن عاشور فقال: والاستفهام إنكاري للتوبيخ، والتعجب منهم في استمرار جهلهم مع توفّر أسباب التَّدَبُّر لديهم[(٢)].

وقال السعدي: أي؛ فهلاّ يتدبر هؤلاء المعرضون لكتاب الله، ويتأملونه حق التأمل؛ فإنهم لو تدبروه لدلّهم على كل خير، ولحذَّرهم من كل شر، ولملأ قلوبهم من الإيمان، وأفئدتهم من الإيقان، ولأوصلهم إلى المطالب العالية، والمواهب الغالية، ولبيّن لهم الطريق الموصلة إلى الله، وإلى جنته ومكملاتها ومفسداتها، والطريق الموصلة إلى العذاب، وبأي شيء تحذر، ولعرّفهم بربهم، وأسمائه وصفاته وإحسانه، ولشوقهم إلى الثواب الجزيل، ورهبهم من العقاب الوبيل[(٣)].

ونخلص من ذلك: أن الله -تعالى- أنكر عليهم عزوفهم عن القرآن وعن قراءته بتدبر وأناة، وأنهم -أي: المنافقين- لو أعملوا أذهانهم، وأمعنوا النظر في القرآن، وتدبروه بحق؛ لوصلوا إلى نتيجة؛ إذ إن القرآن كلام الله ليس فيه اختلاف ألبتة؛ لأنه لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا، ولكن بسبب شكِّهم واضطرابهم وقلوبهم المغلَّفة القاسية التي كأنها مُكبَّلة بالأغلال لا ينفذ إليها نور القرآن؛ لم يتمكّنوا من تدبره، فمن أراد منهم أن يقف على تلك الحقيقة فعليه أن يقرأ القرآن كله بتدبر وتأمل، أما القراءة السريعة التي لا تأمل فيها فلن توصل إلى تلك النتيجة.

---

(١) البحر المحيط (٣/٣١٧).

(٢) التحرير والتنوير (٥/١٣٧).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٧٨٨).

وفي الآيتين من الأسرار التعبيرية والبلاغية ما يلي:

١- التعبير بالاستفهام الإنكاري في قوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ﴾ لتوبيخهم على عدم التَّدَبُّر، والتعجّب من حالهم في استمرارهم على النفاق، مع توفّر أسباب الهداية.

٢- مجيء التَّدَبُّر هنا على صيغة (التفعُّل)؛ للدلالة على التدرُّج والتّتَبُّع، وكون التَّدَبُّر مرة بعد مرة مع تكثيره وتعدّده، وفي ذلك يقول ابن القيم: (تدبَّر الكلام: أن ينظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مرة بعد مرة، ولهذا جاء على بناء التفعُّل كالتجَرُّع والتفَهُّم والتبَيُّن)[(١)].

٣- التعبير بالألوهية دون الربوبية في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾؛ أوفق بالمقام الذي يقتضي الرهبة والمهابة والخوف، دون الربوبية التي تقتضي الإحسان والإنعام والتفضل ...، وليس هذا محله.

٤- آثَرَ التعبير بالفعل ﴿ لَوَجَدُوا۟ ﴾ دون غيره؛ لأن في دلالته إشارة إلى أن هذا القرآن لو كان من عند غير الله لعثروا فيه بيسر وسهولة على تناقض واختلاف؛ لكونهم أرباب البلاغة والبيان، فلو كان من غير الله؛ لاتضح عند المتدبرين -ومِنْ دون عناء- ما فيه من اختلاف؛ فجاء الفعل **(وَجَدَ)** في مكانه تمامًا[(٢)].

٥- التنكير في كلمة ﴿ ٱخْتِلَٰفًا ﴾؛ للعموم، ونَفْي جميع أنواع الاختلاف الفاسد عنه، **والمعنى**: أنه لا يوجد فيه أدنى نوع من أنواع الاختلاف المعلومة، بل هو على نَسَق واحد من البلاغة والبيان[(٣)].

٦- التقييد بالكثير في قوله: ﴿ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾؛ للمبالغة في النفي والملازمة؛ أي: لو كان من عند غير الله؛ للزم أن يكون فيه اختلاف كثير فضلاً عن القليل، لكنه من عند الله، فليس فيه اختلاف لا كثير ولا قليل[(٤)].

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/١٨٣).

(٢) التَّدَبُّر، أ.د. عبدالله سرحان (ص٢٥) بتصرف.

(٣) المصدر نفسه (ص٢٨) بتصرف.

(٤) تفسير السراج المنير لشمس الدين محمد بن أحمد الشربيني (١/٣٦٧) بتصرف.

٧- التعبير بـ﴿ عَلَىٰ ﴾ التي للاستعلاء في قوله: ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ ﴾؛ للدلالة على استيلاء الأقفال على القلوب واستحواذها عليها، وتمكُّنها منها تمكُّنًا لا محيص عنه ولا مناص.

٨- آثَرَ التعبير بـ﴿ قُلُوبٍ ﴾ في قوله: ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ بدلاً من أفئدة وما شابهها؛ للدلالة على التقلُّب والتحوُّل، فما سُمِّي القلب قلْبًا إلا لتقلُّبه وتحوُّله؛ ولأن التعبير بالأفئدة يحمل معنى الرقة واللين، وهذا غير مراد هنا، بل المراد عكسه[(١)].

٩- في تنكير القلوب معنيان محتملان؛ قيل: يفيد تهويل حالها، وتفظيع شأنها بإبهام أمرها في القساوة والجهالة، كأنه قيل: على قلوب مُنَكَّرة لا يُعرف حالها، ولا يُقادر قدرها في القساوة[(٢)]. وقيل: للدلالة على التعميم بإرادة قلوب هؤلاء وقلوب من هم بهذه الصفة، ولو قال: أم على القلوب أقفالها؛ لَمَا دخلت قلوب غيرهم في الجملة[(٣)].

١٠- في تعريف كلمة ﴿ أَقْفَالُهَآ ﴾ بالإضافة إلى الضمير؛ نوع من التأكيد؛ فإنه لو قال: (أقفال) نكرة لذهب الوهم إلى ما يُعرف بهذا الاسم، فلما أضافها إلى القلوب عُلِم أن المراد بها: ما هو للقلب بمنزلة القُفل للباب، فكأنه أراد أقفالها المختصة بها التي لا تكون لغيرها[(٤)].

١١- جمع الأقفال؛ للدلالة على تعدُّدها وتنوُّعها، كالمعاصي والشهوات والذنوب والتعلّق بالدنيا، ...، ونحو ذلك، وعلى هذا فليحذر المتدبر أن يكون عنده شيء منها، وإلا حُرم الخير الكثير من التَّدَبُّر، والله أعلم.

(١) تهذيب اللغة (٩/١٤٣). والتَّدَبُّر، أ.د. عبدالله سرحان (ص٣٥، ص٣٤) بتصرف.

(٢) إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٦/١٥٩) بتصرف.

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم (ص٤٧٧).

(٤) المصدر نفسه (ص٤٧٧) بتصرف.



من خلال العرض السابق؛ قم بشرح دلالات الأمر بالتَّدَبُّر في الآيات التي تأمر المنافقين بتدبر القرآن.

من خلال العرض السابق؛ قم بشرح دلالات أمر المنافقين بتدبر القرآن.

....

....

....

....

....

(٢) الكفار:

كذلك وردت فيهم **آيتان**، تأمرهم بالتَّدَبُّر؛ وهما:

قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٦٨]، وقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩].

قال الطبري: أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه، فيعلموا ما فيه من العبر، ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليهم فيه؟! ﴿ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم، فاستكبروا ذلك وأعرضوا، فقد جاءت الرسل من قبلهم، وأُنزلت معهم الكتب؟![١].

وقال الألوسي: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾ الهمزة: لإنكار الواقع واستقباحه ...؛ أي: فعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر؛ فلم يتدبروا القرآن ليعلموا بما فيه من وجوه الإعجاز أنه الحق من ربهم فيؤمنوا به، وأم في قوله تعالى: ﴿ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ منقطعة، وما فيها من معنى للإضراب، والانتقال من التوبيخ بما

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٩/٥٦).

ذكر إلى التوبيخ بآخر، والهمزة لإنكار الوقوع لا لإنكار الواقع؛ أي: بل جاءهم من الكتاب مالم يأت آباءهم الأولين حتى استبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال[١].

وقال الشوكاني: بيّن سبحانه أن سبب إقدامهم على الكفر هو أحد هذه الأمور الأربعة؛ الأوّل: عدم التَّدَبُّر في القرآن؛ فإنهم لو تدّبروا معانيه؛ لظهر لهم صدقه وآمنوا به وبما فيه ...[٢].

وقال السعدي: أي؛ أفلا يتفكرن في القرآن ويتأملونه ويتدبرونه؟! فإنهم لو تدبروه؛ لأوجب لهم الإيمان ولمنعهم من الكفر، ولكن المصيبة التي أصابتهم بسبب إعراضهم عنه[٣].

ونخلص من هذا: أن كفار مكة لم يكونوا من المتدبرين للقرآن، ولم يعطوا لأنفسهم فرصة النظر فيه ليتبين لهم حقيقته؛ بل كانوا ينهون النَّاس عن الاستماع للقرآن الكريم، ويقولون: هذا أساطير الأولين، وإفك قديم من كلام الكهان، وإن هو إلا قول البشر، وإنْ هذا إلا سحر يؤثر؛ واستمروا في تكذيبهم به، ولو أنهم تدبروه لصدّقوا بما فيه، ولعلموا أنه كلام رب العالمين.

(وليس نزولُ الآيةِ في سياق غيرِ المؤمنينَ يعني أنَّ المؤمنينَ لا يُطلبُ منهم التَّدَبُّر؛ بل هم مأمورونَ به، وداخلونَ في الخطاب من باب أولى، لأنَّهم أهلُ الانتفاعِ بتدبُّرِ القرآنِ، وإنّما المرادُ هنا بيانُ من نزلت بشأنه الآياتُ، دون بيان صحَّةِ دخولِ المؤمنينَ في الخطابِ، والله أعلمُ)[٤].

وفي الآية من الأسرار التعبيرية والبلاغية ما يلي:

١- التعبير بالاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمۡ﴾؛ والغرض منه: الدلالة على (إنكار الواقع واستقباحه)[٥]، وتوبيخهم والتعجيب مِن حالهم في ترْك الإيمان مع وضوح الدلائل والبراهين.

---

(١) روح المعاني (١٨/٥٠).

(٢) فتح القدير (٣/٤٩٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٥٥٤).

(٤) مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتَّدَبُّر والمفسر (ص١٨٦).

(٥) ينظر: تفسير أبي السعود (٥/١١). وروح المعاني (٩/٢٠١).

٢- التعبير بأداة النفي (لم) الدالة على نفي الماضي دون الحاضر والمستقبل، دون (لا) الدالة على النفي في المستقبل؛ وهذا للدلالة على نفي تدبّرهم في الماضي، وحضِّهم عليه حالة نزول الآية ومستقبلاً، وفيه إشارة إلى أن أهل مكة منهم مَنْ سيُؤمن مستقبلاً، ويتدبر كلام الله -تعالى-[(١)]، والله أعلم.

٣- التعبير بالإدغام في ﴿يَدَّبَّرُوا۟﴾ وأصله (يتدبروا)؛ فأُدغمت التاء في الدال؛ لقرب مخرجيهما، وسر ذلك: الإشارة بأن على المشركين (أن ينظروا في أدباره وعواقبه ولو لم يبلغوا في نظرهم الغاية بما أشار إليه الإدغام؛ ليعلموا أنه موجب للإقبال والوصال، والوصف بأحسن المقال)[(٢)].

٤- التعبير عن القرآن بالقول في قوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ لعدة أمور:

فقيل: سُمي القرآن هنا قولاً؛ لأنهم خوطبوا به، فأنكروه وأعرضوا عنه[(٣)].

وقيل: للإشارة إلى أن من لم يتقبله ليس بأهلٍ لفهم شيء من القول، بل هو في عداد البهائم[(٤)].

وقيل: للإشارة إلى أنهم كانوا يجعلونه في منزلة بقية الأقوال التي يستمعون إليها من البشر، فلا يلتفتون لمعانيه، ولا يتأمّلون في أساليبه ومراميه.

وقيل: للإشارة إلى أنهم أمة القول بمختلف فنونه وألوانه: شعرًا ونثرًا ومثلاً وحكمةً، فكيف لم يتدبروا هذا الذي بلغ الذروة في البلاغة والبيان؟![(٥)].

ولا مانع من الحمل على جميع هذه الأقوال.

---

(١) التَّدَبُّر، أ.د. عبدالله سرحان (ص٤٢) بتصرف.

(٢) نظم الدرر للبقاعي (٥/٢١٢).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/١٣٩) بتصرف.

(٤) نظم الدرر (٥/٢١٢) بتصرف.

(٥) التَّدَبُّر، أ.د. عبدالله سرحان (ص٤٥) بتصرف.



من خلال العرض السابق؛ قم بشرح دلالات الأمر بالتَّدَبُّر في الآيات التي تأمر الكفار بتدبر القرآن.

من خلال العرض السابق؛ قم بشرح دلالات أمر الكفار بتدبر القرآن.

....

....

....

....

....

(٣) عموم المؤمنين:

فتدبر القرآن في حقهم واجب، وهم مأمورون به؛ لأنهم أهل الانتفاع، وكل واحد بحسب قدرته وطاقته الإدراكية القابلة للاكتساب والزيادة، فلا يُعذر أحد بترك التَّدَبُّر، وقد دل على ذلك سياق الآية الكريمة ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص:٢٩]، التي فيها قراءتان:

القراءة الأولى: ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ﴾ بالياء وتشديد الدال، وهي قراءة الجمهور[(١)]؛ ويكون الأمر بالتَّدَبُّر لعموم الناس، والأمر بالتَّدَبُّر موجه إليه ﷺ ابتداءً؛ إذ هو المبلِّغ لكلام الله، ولقد كان عليه الصلاة والسلام في غاية التَّدَبُّر والتفكر لكتاب الله -تعالى-[(٢)].

والقراءة الثانية: ﴿ لِتَدَبَّرُوا ﴾ بالتاء وتخفيف الدال، وهي قراءة أبي جعفر؛ بمعنى: لتتدبره أنت يا محمَّد وأتباعك[(٣)].

---

(١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري (٢/٣٦١).

(٢) نظم الدرر (٦/٣٨٢).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢١/١٩٠). والمبسوط في القراءات العشر (ص٣١٩).

فيكون الخطاب للمسلمين؛ قال ابن عاشور: (والخطاب للنبي ﷺ ومن معه من المسلمين)[١]. كما أن في هذه القراءة اشتراك الأمة بالتوجيه الرباني بأن تَتَدَبر كتاب ربها -سبحانه وتعالى-، فهي مقصودةٌ بالتَّدَبُّر مخاطبةٌ به.

وفي الآية من الأسرار التعبيرية والبلاغية ما يلي:

١- التعبير عن القرآن بالكتاب؛ وذلك لأنه يجمع أنواعًا من القصص والآيات والأحكام والأخبار، ...، على أوجه مخصوصة، واختير لفظ (الكتاب) دون غيره للدلالة على أن المؤمنين الموجّه إليهم الخطاب هنا هم المعنيون وحدهم بكتابته؛ ليظل محفوظًا في السطور على مرّ الدهور، كما هو محفوظ في الصدور[٢].

٢- تنكير لفظ ﴿كِتَٰبٌ﴾؛ لتعظيم شأن القرآن الكريم، كما أنه مفيد للنوعية؛ أي أنه كتاب من نوع لا نظير له بين الكتب السماوية أو الوضعية في صفة من الصفات[٣].

٣- التعبير بقوله تعالى: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾؛ فيه تعريض بأن الذين لم يتذكروا بالقرآن ليسوا من أهل العقول، وأن التذكر من شأن المسلمين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فهم ممن تدبروا آياته فاستنبطوا من المعاني ما لم يعلموا، ومن قرأه فتذكر به ما كان علمه وتذكر به حقًّا كان عليه أن يرعاه، والكافرون أعرضوا عن التَّدَبُّر؛ فلا جرم فاتهم التذكر[٤].

ومن خلال هذه الآيات المباركات وقفنا على مدى أهمية التَّدَبُّر بالنسبة للقرآن، وأنه منه بمنزلة الروح من الجسد، فإن خلت التلاوة من التَّدَبُّر كانت جسدًا لا روح فيه؛ وعلى هذا فإن: القارئ حين يتدبر؛

---

(١) التحرير والتنوير (٢٥٢/٢٣).

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢٧٦/١) بتصرف. والتَّدَبُّر، أ.د. عبدالله سرحان (ص٥٥) بتصرف.

(٣) التحرير والتنوير (١٤٨/٢٣) بتصرف. والتَّدَبُّر أ.د. عبدالله سرحان (ص٥٦) بتصرف.

(٤) التحرير والتنوير (١٤٩/٢٣) بتصرف.

تسري فيه هذه الروح القرآنية؛ فيحيا قلبه، وتسعد نفسه، وينشرح صدره، ويجد لذة وهناءة لا توصف، وصدق الله -تعالى- حين أشار إلى هذه الروح القرآنية في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى:٥٢].

نشاط

من خلال العرض السابق؛ قم بشرح دلالات الأمر بالتَّدَبُّر في الآيات التي تأمر المؤمنين بتدبر القرآن.

من خلال العرض السابق؛ قم بشرح دلالات أمر المؤمنين بتدبر القرآن.

....

....

....

....

....



أمر الله تعالى الثلاث فئات (المؤمنين، والكفار، والمنافقين) بتدبر القرآن، ولكل أمر دلالته في حق كل فئة. لخص ذلك خلال المقارنة التالية:

وجه المقارنة	المؤمنون	الكفار	المنافقون
الآية الآمرة بالتَّدَبُّر	....	....	....
حكم التَّدَبُّر	....	....	....
معنى التَّدَبُّر	....	....	....
الهدف من التَّدَبُّر	....	....	....
فوائد التَّدَبُّر	....	....	....
عاقبة ترك التَّدَبُّر	....	....	....

❊ ❊ ❊

الموضوع الثاني

آيات العقل والتفكر ودلالاتها

أولاً: أهمية العقل والتفكر:

إنّ القرآن مليء بالنصوص الآمرة بالنظر في الآيات بتعقلٍ وتفكر وتبصر مع التذكر، وقد تكررت هذه النصوص في مواضع كثيرة من القرآن؛ مما يؤكد أن الغرض هو الحث على الوقوف مع الآيات والتأمل، والتفكر، وإعمال العقل والبصر والسمع فيها، والنظر في دلالاتها وهداياتها، والانتفاع بها وامتثالها، وهذا هو التَّدَبُّر؛ ومن هذه النصوص ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرعد:٣].
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد:٤].
- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [يونس:٦٧].
- قوله تعالى: ....
- قوله تعالى: ....
- قوله تعالى: ....

وفي أسلوب استفهامي يدعو للوقوف مع الآيات والتأمل في مقاصدها:

- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤].
- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٥٠].
- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٨٠].
- قوله تعالى: ....

- قوله تعالى: ....
- قوله تعالى: ....

وإنَّ **تكرُّر الآيات في بعض السور**؛ يؤكد أنها للحث على الوقوف مع الآيات والتأمل فيها؛ ومن ذلك -مثلاً- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:١٧]؛ تكررت هذه الآية أربع مرات في السورة، وتكررها دالٌّ على أن المقصود هو الوقوف مع الآيات والقصص الواردة والتذكر بها؛ ولهذا قال: ﴿ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾، وهي آية دالة دلالة صريحة على الحث على التَّدَبُّر؛ ولهذا قال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾؛ أي: للتذكر والانتفاع.

وقوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ [الرحمن: ١٣]؛ تكررت هذه الآية إحدى وثلاثين مرة، وهي آية حاثَّة على الوقوف مع النعم والآلاء الواردة في السورة وتأملها؛ مما يبعث على الامتثال والإيمان.

وغالبيّة آيات التفكّر وردت في الآيات المكيّة، وهذه الكثرة تتوافق مع طبيعة وأهداف الدعوة المكية في التركيز على تقرير مسائل التوحيد والنبوة والبعث وحقائق الوجود الأخرى، وبالمقابل ضرب الأفكار السائدة في المجتمع الجاهلي آنذاك؛ ومن ثَمَّ تأسيس منهج فكْري منضبط صالح لبناء مقومات الشخصية الإنسانية وفق شريعة الخالق ﷻ.

فمن خلال إحصاء الآيات التي تدعو إلى التفكير بلفظه الصريح أو بواسطة نظائره؛ مثل: التَّدَبُّر، التبصّر، التعقّل، النظر، التذكّر، التفقّه على مستوى الجذور والمشتقات- يتبين أنّ مجموعها يساوي تقريبًا (٦٢٤) آية؛ أي: ما نسبته حوالي (١٠%) من العدد الكلّي لآيات القرآن[(١)].

وفي هذا دلالة على أهمية التفكير بالنسبة للإنسان، وخطورة دوره في تحديد معالم شخصيته في الدنيا، وتحديد مصيره في الآخرة.

لقد شرَّف الله الإنسان وكرمه على سائر المخلوقات بنعمة العقل، وجعل ذلك مناطًا للأمر والتكليف؛

---

(١) ينظر: تفاصيل الإحصائية المذكورة: علم التفكير، صلاح صالح معمار (ص١٨-٢٧).

ولذا؛ فليس غريبًا أن يوجد في كتاب الله -عز وجل- عشرات الآيات التي تدعو إلى التفكر والتعقل والنظر في ملكوت الله -سبحانه وتعالى-؛ من مثل قوله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾ [آل عمران:١٩٠].

ومن هدايات قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ١٣٨﴾ [الصافات:١٣٧-١٣٨]؛ وجوب التفكر والتعقل في الأحداث الكونية للاهتداء بذلك إلى معرفة سنن الله -تعالى- في الكون والحياة[١].

والفكر يُطلق على الأفكار الحاصلة من وظيفة التفكّر والتعقّل التي أودعها الله في قلوب العباد، فهو وظيفة بشرية، وعلى هذا فالعقيدة الإسلامية وشُعب الإيمان ليست فكرًا، وإنما هي وحي من عند الله، وهي غذاء الفكر الإسلامي وقاعدته، وقد بيّن الله -تعالى- أن من صفات المؤمنين التفكّر في الآيات الشرعية والكونية، وما فيهما من دلائل التوحيد، وما تشتمل عليه من العبر والمواعظ في نحو قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤﴾ [يونس:٢٤]، وقوله: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [الأعراف:١٧٦]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٣﴾ [الرعد:٣]، وغيرها.

والتفكير السديد؛ وظيفة أَمَرَ الله بها عباده المسلمين، وهم الجديرون بها، وما ينتج عنه من فكر هو فكر إسلامي، إذا قام به المسلم وِفْقَ الضوابط الشرعية، ومن منطلق العقيدة. فالفكر الإسلامي هو الذي يستند على العقيدة الإسلامية، وينطلق من نصوص الوحي في بحثه واجتهاده في مختلف مجالات الحياة؛ ومنه:

١- فهم نصوص الكتاب والسنة، واستنباط الأحكام والعبر والمواعظ.

٢- استنباط براهين الحق، ودلائل التوحيد، ومعجزات النبي ﷺ بالتَّدَبُّر للآيات، والتفكر في آيات الله الكونية.

---

(١) أيسر التفاسير، أبوبكر الجزائري (٤/٤٢٥).

٣- بيان محاسن الإسلام، وسلامة نُظُمه وتشريعاته من النقائص، وأنها هي المصلحة لحياة الناس.

٤- الدفاع عن الإسلام وتفنيد الشبهات المثارة حوله، وبيان بطلان الأفكار المنحرفة والأديان الضالة.

٥- استكشاف الأسرار التي وضعها الله في خلقه، وسخرها للإنسان، والانتفاع من ذلك في تسهيل حياة الناس، والرقي بها، وفي الإعداد لقوة المسلمين في كافة المجالات.

٦- البحث والدراسة للنشاط الإنساني، وإقامته على مبادئ الإسلام ومسلّماته، ويشمل علم النفس، وعلم الاجتماع وفروعها، والدراسات التاريخية، ونحوها.

٧- التفكر في الأمور الغيبية التي أخبر الله بها؛ كالموت وأحوال القبر، وما يجري يوم القيامة من أهوال، وصفات الجنة والنار؛ مما يفيد في إصلاح القلوب واندفاعها للخير، وارتداعها عن الشر، وعدم تماديها في الحرص على الدنيا[١].

ثانيًا: أمثال القرآن ودلالتها العقلية:

ومن ذلك؛ الدلالة على أهمية الأمثال المستفادة من قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الحشر:٢١]، وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [القصص:٥١]؛ وذلك بأنها بينت العلة التي من أجلها ضرب الله الأمثال للناس وصرَّفها لهم في كتابه العزيز؛ وهي: رجاء تفكرهم، وتعقلهم لها، ثم تذكرهم بمعرفة الحق الذي ضربت له والانتفاع به.

فالأمثال تسهل للناس التفكر والتعقل والتذكر بما تشتمل عليه من مقايسة الأمور وإلحاق النظير بنظيره، والمساواة بين المتشابهات في الأحكام، وتوضح الغامض أو المجهول بالمعلوم المحسوس أو المعقول، وهذا هو الاعتبار المؤدي إلى استخلاص العبر والحِكَم مما ورد في الكتاب الكريم من الأمثال، بمختلف أنواعها[٢].

(ونُور الهداية الذي يقذفه الله في قلب المؤمن؛ يُحدث أثرًا عظيمًا على وظائف القلب؛ أهمها: توجيه

(١) انظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبدالله الجربوع (ص٤٨٤) وما بعدها.

(٢) الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، عبدالله الجربوع (١/١٤٤).

وظيفة التعقل إلى الوجهة الصحيحة؛ حيث يركن إلى الوحي وحده يستقي منه العقائد والشرائع، فلا يزال القلب يتعقل المعارف والحِكَم من كتاب الله -تعالى- وسنة رسوله ﷺ؛ فتُبنى عقائده على أساس ثابت، وتُغذى عواطفه بمعين الخير الصافي، ويخرج ما يضاد ذلك من ظلمات الجاهلية، ويزداد ذلك بازدياد العلم الوارد إلى القلب، فلا يزال الخير إليه واصل، والشر عنه زائل، حتى يصلح القلب ويستنير؛ فتنبعث الجوارح بالعبودية لله عن علم به وبحقه سبحانه)[1].

وإنَّ إفادة المثَل حقائق علمية ثابتة في نفسها، وإن لم تكن مسلمة عند كل المشتغلين بتلك العلوم.

وهذا القِسم مداره على التفكر والتعقل؛ فهي أمور عقلية يبحثها النظّار.

إلا إنه لا يدركها إلا ذوو البصائر المستنيرة، الذين ينظرون نظرًا صحيحًا، ويحسنون استخلاص العبر والعواقب والعلل، الذين استنارت عقولهم واستلهموا الهدى من نور اللّه ووحيه.

فهذا القسم لا يدركه إلا أولو الألباب؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر:٩]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران:١٩٠].

أما الكفار؛ فإنهم لا يدركونها؛ لظلمة قلوبهم، وعمى بصائرهم، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج:٤٦][2].

أما آيات العقل في القرآن فأشهر من أن تُعَدّ، ولكن أذكر بعضها: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الروم:٢٨]، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت:٤٣]، ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾ [البقرة:٢٤٢]، ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، عبدالله الجربوع (ص٢٢٣).

(٢) الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله (٢/٧٤٩).

وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ [البقرة:٤٤]، ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:٣٢]، ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ [الأعراف:١٧٩]؛ فالقرآن يحث على تحقيق العقل والتفكير.

ثالثًا: مكانة العقل في الإسلام:

إنَّ أهل الحق ينظرون إلى العقل باتزان، بلا إفراط ولا تفريط؛ إذ إن أدلة في القرآن والسنة تبين مكانة العقل في الإسلام في آياتٍ وأحاديث كثيرة، فالله -عز وجل- يذكر نعمه، ويذكر آياته التي تدل على وجوده وعلى ضرورة عبادته، ثم يقول: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

ومن ذلك؛ أن الله -عز وجل- لما ذكر بعض المنن والنعم، قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾ [البقرة:٢٤٢]، وقال عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الروم: ٢٨].

وكذلك عاب عز وجل على الكفار عدم التعقل بقوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠]. فالإسلام كرَّم العقل غاية التكريم؛ فإن الله أكرم وميَّز به الإنسان، وجعله مناط التكليف، فكلف الإنسان أن يفكر، وأن ينظر، وأن يتدبر آيات الله.

والله -عز وجل- أمر بتدبر آياته المقروءة -وهي القرآن-، وأمر بالتفكر في الآيات الكونية كذلك.

والإسلام يحفظ العقل، ويحميه من غوائل التيه، وأسر الأوهام والخرافات، ويحميه أيضًا من أن يتجرأ على الله أو يتجرأ على الغيب الذي لا يعلمه إلا الله. وهذا غاية التكريم للعقل(١).

---

(١) انظر: الاتجاهات العقلانية المعاصرة- أصولها ومناهجها، ناصر عبدالكريم العقل، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.



يقوم الدارس باستخراج بعض الآيات التي تحدثت عن العقل والفكر والأمر بالتفكر، ويشرح دلالات هذه الآيات بالجدول التالي:

نص الآية	السورة ورقم الآية	دلالة الآية

* * *

الموضوع الثالث

الأحاديث الدالة على التَّدَبُّر ودلالاتها

النبي ﷺ أعرف الأمة بربه سبحانه وبكتابه العزيز، فهو المنزَّل عليه القرآن، وهو ﷺ مُخرِج البشرية – بإذن الله– من الظلمات إلى النور بهذا القرآن؛ ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم:١].

وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ بتلاوة القرآن وإنذار الناس به؛ فقال سبحانه: ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ [العنكبوت:٤٥]، وقال سبحانه: ﴿ كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ [الرعد:٣٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ [الشورى:٧].

كما أمره سبحانه وتعالى ببيان القرآن للناس؛ ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل:٤٤]؛ فهو المبيّن عن الله– تعالى–، ولا يكون البيان إلا من عارفٍ عالمٍ بما يبيّنه للناس.

وقد أمرنا الله –سبحانه وتعالى– باتباع رسوله ﷺ والاقتداء به والاهتداء بهديه؛ فقال عز وجل: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ﴾ [الحشر:٧]، وقال: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٨].

وقد كان النبي ﷺ أتقى الناس لله –تعالى– وأخشاهم له، ومن آثار ذلك بكاؤه عند تلاوة القرآن، وتأثُّره به. ومن المهم أن نقف على حال النبي ﷺ عند تلاوته القرآن؛ لنقتدي به في ذلك ونسير على نهجه، فخير الهدي هدي مُحَمَّد ﷺ. وقد ورد في فضل القرآن الكريم والحث على تلاوته وتدبره والتأثر به

أحاديث كثيرة نكتفي بذكر بعضها مما يؤدي الغرض المقصود.

أولاً: الأمر بالتَّدَبُّر والترغيب فيه في السنة النبوية:

- عن **أبي هريرة** ﷺ عن النبي ﷺ قال: «... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده ...»[١]؛ فأشار النبي ﷺ إلى تعلم القرآن الكريم، وبيّن ثماره، وأنَّ التلاوة والتدارس وسيلة لتدبر القرآن.

والمعنى أنهم يقرءون كتاب الله، سواءٌ أكانت هذه القراءة بأن يقوم شخص ويقرأ ويفسِّر أو غيره يفسِّر، أم أنهم يجتمعون بحيث يقرأ واحد منهم مقدارًا من القرآن ويستمع الباقون، ويكون هناك شخص يصوب قراءته ويبين ما عليه من ملاحظات، كل ذلك يدخل تحت التدارس، وكذلك **تأملُ ما فيه، ومعرفةُ ما فيه، وتدبرُ ما فيه**[٢]. ولا يشترط في حصول الأجر أن يكون المكان هو المسجد؛ بل قوله: (في بيت من بيوت الله) خرج على العادة.

- وقد بيّن **النبي** ﷺ أن المشتغلين بذلك هم **خير الناس**؛ كما ثبت عنه ﷺ من حديث عثمان ﷺ أنه قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلّمه»[٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾ [آل عمران:٧٩].

- وعن عقبة بن عامر قال: خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفة فقال: «أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان[٤]، أو إلى العقيق فيأتي منه بناقتين كوماوين[٥] في غير إثم ولا قطع رحم؟» فقلنا: يا رسول الله، نحب ذلك، قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله ﷻ خير له من ناقتين،

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الذكر والدعاء والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (ح٢٦٩٩).

(٢) تحفة الأحوذي، المباركفوري (٨/٢١٥-٢١٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (ح٥٠٢٧).

(٤) بُطحان: هو وَادٍ من أودية المدينة مَسِيلٌ للماء، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/٥٣٣).

(٥) كوماوين: تثنية كوماء؛ وهي من الإبل العظيمة السنام، كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/١١١٢).

وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل» [(١)].

– ولأهمية التَّدَبُّر وعظم شأنه؛ فقد نهى رسول الله ﷺ عن ختم القرآن في أقل من ثلاث ليالٍ؛ كما في حديث عبدالله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يفقه من قرأ القرآن في أقلَّ من ثلاث»**[(٢)]؛ فدل على أن فقه القرآن وفهمه هو المقصود بتلاوته لا مجرد التلاوة.

ومن حكمة هذا النهي: أن الختم في أقل من ثلاث؛ يضعف معه التَّدَبُّر ويقل، ويدل الحديث على أن فقه القرآن وفهمه والتفكر في معانيه ومراميه أفضل وأنفع من التلاوة بدون ذلك.

– وعن **جندب**، بلغه عن **حذيفة** أو سمعه عن **النبيّ** ﷺ: (ذكر ناسًا يقرءون القرآن، ينثرونه نثر الدقل[(٣)]، يتأولونه على غير تأويله)[(٤)]. قال **المباركفوري**: (أي: يرمون بكلماته من غير روية وتأمّل، كما يرمى الدَّقَل –بفتحتين–؛ وهو: رديء التمر؛ فإنه لرداءته لا يُحفظ، ويلقى منثورًا. وقال **النووي**: (معناه أن قومًا يقرأون وليس حظهم من القرآن إلا مروره على اللسان، فلا يجاوز تراقيهم ليصل قلوبهم، وليس ذلك هو المطلوب، **بل المطلوب تعقّله وتدبّره، بوقوعه في القلب)**[(٥)].

– والدليل على هذه المعاني؛ ما رواه أبو الدرداء –رضي الله عنه– قال: كنا مع رسول الله ﷺ فشخص ببصره إلى السماء، ثم قال: **«هذا أوان يختلس العلم من الناس حتى لا يقدروا منه على شيء»**، قال: فقال زياد ابن لبيد الأنصاري: يا رسول الله، وكيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن، فوالله لَنَقرَأَنَّه ولَنُقرِئَنّه نساءنا

---

(١) أخرجه مسلم (١/٥٥٣) (ح ٨٠٣).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن (ح١٣٩٤). والترمذي في الجامع، كتاب القراءات عن رسول الله ﷺ (ح٢٩٤٦)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) والدَّقَل: الرديء اليابس من التمر؛ والمراد أن القارئ يرمي بكلمات القرآن من غير رؤية وتأمل، كما يتساقط الدقل من العذق إذا هُزّ. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن مُحَمّد الجزري (٢/٢٩٩). واللسان لابن منظور (١١/٢٤٦).

(٤) الأحاديث المرفوعة من التاريخ الكبير للبخاري (٢/٢٥٦) (ح٧٥٤). وإتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٦/ ٣٤٥) (ح٥٩٩٠). قال أبو يعلى الموصلي فساقه.

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للمباركفوري (٣/١٧٨).

وأبناءنا، فقال: «**ثكلتك أمك يا زياد، إني كنت لأعدُّك من فقهاء أهل المدينة، هذا التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى فماذا يغني عنهم؟**»(١). فتأمل كيف أنّ قراءة القرآن وحفظه لا تغني دون تفهّم معانيه وتطبيقها في الحياة.

وأخبر أن ذلك سيقع؛ وصدق رسول الله فقد وقع في الخوارج؛ فعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن ناسًا من أمتي سيماهم التحليق، يقرأون القرآن لا يجاوز حلوقهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، هم شر الخلق والخليقة**»(٢).

نشاط

من خلال الأحاديث السابقة؛ نستطيع تلخيص دلالاتها على التَّدَبُّر فيما يلي:

م	صدر الحديث	دلالته على التَّدَبُّر
١	....	....
٢	....	....
٣	....	....
٤	....	....

(١) أخرجه الترمذي في السنن في كتاب أبواب العلم، باب ما جاء في ذهاب العلم (ح٢٦٥٣)، وقال: حسن غريب. وصححه الألباني. وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٧٩)، وقال: إسناده صحيح. وتابعه الذهبي.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه؛ للاستماع والبكاء عند القراءة والتَّدَبُّر (ح٨٠٠).

٥	....	....
٦	....	....

ثانيًا: الأحوال النبوية الدالة على التَّدَبُّر:

ولا شكّ أن النبيّ ﷺ، كانت له مع تدبّر القرآن الكريم أحوال عالية وراقية، سجّلتها سيرته العطرة وسنّته الطاهرة ﷺ، ولِمَ لا؟! وهو القدوة والأسوة الحسنة للبشرية قاطبةً، وإلى يوم الدين، في جميع حركاته وسكناته، وبالخصوص في تعامله مع القرآن، تلاوةً واستماعًا وتدبّرًا.

والأحاديث التي تدل على اهتمامه ﷺ بسماع القرآن الكريم وتأثره به وترديده الكثير من الآيات القرآنية– كثيرةٌ؛ ومنها:

ما رواه عَبْدُاللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ»، قُلْتُ: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي ...»[١] الحديث؛ ففيه بكاؤه ﷺ وهو علامة التَّدَبُّر والخشوع. قال ابن بطال –رحمه الله–: (يحتمل أن يكون كي يتدبّره ويفهمه؛ وذلك أن المستمع أقوى)[٢].

وما رواه أبو ذرّ رضي الله عنه؛ قال: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَصْبَحَ، بِآيَةٍ، والآية ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾[٣] [المائدة:١١٨]. فهذا رسول الله ﷺ يقدم التَّدَبُّر على كثرة التلاوة، فيقرأ آية واحدة فقط في ليلة كاملة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا﴾ (ح٤٥٨٣). ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه؛ للاستماع والبكاء عند القراءة والتَّدَبُّر (ح٨٠٠).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢٧٧/١٠).

(٣) رواه في السنن: ابن ماجة، (ح١٣٤٠)، والنسائي (ح١٠٠٠). وأحمد في مسنده (ح٢٠٣٦٥/٤٣/٣٣١). والحاكم في المستدرك (ح٨٤٥/٢/٤٠١) وقال: صحيح ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في مشكاة المصابيح (ح١٢٠٥).

وعن عائشة؛ أنه ذُكر لها أن ناسًا يقرأون القرآن في الليل مرة أو مرتين؛ فقالت: (أولئك قرأوا ولم يقرأوا؛ كنت أقوم مع النبي ﷺ ليلة التمام، فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء، فلا يمرّ بآية فيها تخوّف إلا دعا الله واستعاذ، ولا يمرّ بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغّب إليه)[(١)].

وروى حذيفة -رضي الله عنه-: (أنه صلى مع النبي ﷺ ذات ليلة، فكان يقرأ مترسلاً؛ إذا مر بآية فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ)[(٢)]. فهذا تطبيق نبوي عملي للتدبر ظهر أثره بالتسبيح والسؤال والتعوذ.

قال الصنعاني: الحديث دليل على أنه ينبغي للقارئ في الصلاة تدبّر ما يقرأه، وسؤال رحمته والاستعاذة من عذابه)[(٣)]. والسؤال والاستعاذة دليل على التَّدَبُّر وحسن التفاعل مع المعاني.

وعن أبي وَائِلٍ؛ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: قَرَأْتُ الْمُفَصَّلَ اللَّيْلَةَ فِي رَكْعَةٍ، فَقَالَ: هَذًّا[(٤)] كَهَذِّ الشِّعْرِ، لَقَدْ عَرَفْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرُنُ بَيْنَهُنَّ، فَذَكَرَ عِشْرِينَ سُورَةً مِنْ الْمُفَصَّلِ، سُورَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ[(٥)].

قال النووي: إن هذا كان قدر قراءته ﷺ غالبًا، وأن تطويله الوارد؛ إنما كان في التَّدَبُّر والترتيل[(٦)]. وقال العيني: ويستفاد منه النهي عن الهذّ، وفيه الحثُّ على الترسّل والتَّدَبُّر، وبه قال جمهور العلماء[(٧)].

وقال الحافظ ابن حجر: وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ، كَرَاهَةُ الإِفْرَاطِ فِي سُرْعَةِ التِّلاوَةِ؛ لأَنَّهُ يُنَافِي الْمَطْلُوبَ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (ح٢٣٤٦٨) (١٢٤/٥٠). وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل (ح٧٧٢).

(٣) سبل السلام للصنعاني (٣٦٥/١).

(٤) وقوله (هذّا): بفَتْحِ الْهَاءِ وَتَشْدِيدِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ؛ أَيْ: سَرْدًا وَإِفْرَاطًا فِي السُّرْعَةِ. انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر (١٥١/٣).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة (ح٧٧٥). ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة، واجتناب الهذ، وهو الإفراط في السرعة، وإباحة سورتين فأكثر في ركعة (ح٨٢٢).

(٦) شرح صحيح مسلم، النووي (١٠٥/٦).

(٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني الحنفي (٢١٦/٩).

مِنْ التَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ فِي مَعَانِي الْقُرْآنِ، وفيه أن التّرتيل أفضل من الهذّ؛ إذ لا يصحّ التَّدَبُّر مع الهذِّ(١).

وعن أنس ﷺ؛ أَنَّهُ سُئل عن قِرَاءَةُ النَّبِي ﷺ، فَقَالَ: كَانَ يمدّ مَدًّا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ يَمُدُّ بِبِسْمِ اللَّهِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ(٢). قال ابن بطّال: فكان يقرأه على مهل؛ ليبيّن لأمته كيف يقرأون، وكيف يمكنهم تدبّر القرآن وفهمه(٣).

وَعن أَبِي عَبْدِالرَّحْمَنِ السلمي قال: (حَدَّثَنَا الَّذِينَ كَانُوا يُقْرِئُونَنَا الْقُرْآنَ: عُثْمَانُ بْنُ عفان وَعَبْدُاللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ؛ أَنَّهُمْ قَالُوا: كُنَّا إِذَا تَعَلَّمْنَا مِنْ النَّبِيِّ ﷺ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ نُجَاوِزْهَا حَتَّى نَتَعَلَّمَ مَا فِيهَا مِنْ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، قَالُوا: فَتَعَلَّمْنَا الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا)(٤)؛ أي: أنهم كانوا يتعلّمون العلم والعمل جميعًا؛ فيكونون بذلك قد جمعوا بين العلم والفقه، وبين معرفة أحكامه وما اشتمل عليه؛ فيجمعون العلم والعمل، ولا شكّ أن ذلك لا يكون إلا بالتَّدَبُّر والتأمّل والفهم(٥).

وفي الأحاديث دليل على وجوب ترتيل القراءة والترسل فيها من غير هَذْرَمة ولا سرعة مفرطة، بل بتأمل وتفكر وتدبّر؛ قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩](٦).

نشاط

من خلال الاستعراض السابق لهدي النبي ﷺ في التَّدَبُّر؛ اكتب بعض التوجيهات المستفادة لقارئي القرآن مما يعينهم على التَّدَبُّر.

(١) ....

(٢) ....

(٣) ....

---

(١) فتح الباري، الحافظ ابن حجر (١٥١/٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة (ح٥٠٤٥).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٦١/١٩).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٤٦٦/٣٨) (ح٢٣٤٨٢). وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

(٥) شرح سنن أبي داود، عبدالمحسن العباد (١٠٧/١٧).

(٦) تفسير ابن كثير (٧٧/١).

(٤) ....

(٥) ....

(٦) ....

ثالثًا: نماذج من تدبر النبي ﷺ:

سأل عبيد الله بن عمير عائشة -رضي الله عنها-؛ فقال: أخبرينا بأعجب شيء رأيتِه من رسول الله ﷺ، قال: فسكتت، ثم قالت: لما كانت ليلة من الليالي قال ﷺ: **«ياعائشة، ذريني أتعبد الليلة لربي»**. قلت: والله إني لأحب قربك وأحب ما سرك. قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بَلَّ حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بَل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بَلَّ الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي قال: يا رسول الله، لِمَ تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟! قال: **«أفلا أكون عبدًا شكورًا، لقد نزلت عليَّ الليلة آيةٌ ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها:** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠إلى آخر السورة]»[1].

فلا شكّ أن التفكر هنا بمعنى التَّدَبُّر، وهكذا بكى النبي ﷺ في صلاته من تدبره وتفكره، ولِمَ لا؟! وقد أراه الله -سبحانه وتعالى- سرًّا من أسرار ملكوته، حتى بكت الأرض من بكائه ﷺ.

وقال رسول الله ﷺ في جزءٍ من حديث عائشة رضي الله عنها السابق: **«لقد نزلت عليَّ الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها:** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾».

ولقد بين ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه عنه النواس بن سمعان؛ قال: (ضرب الله -تعالى- مثلاً صراطًا مستقيمًا، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داعٍ، يقول: يا أيها الناس، ادخلوا الصراط جميعًا ولا تتعوجوا، وداعٍ يدعو من فوق الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال: ويحك! لا تفتحه؛ فإنك إن تفتحه

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب التوبة، باب ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات ... (ح٦٢٠). وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

تلجه، فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله –تعالى–، والأبواب المفتحة محارم الله –تعالى–، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق واعظُ الله في قلب كل مسلم)[(١)].

وقال ﷺ: «**أبشروا أبشروا! أليس تشهدون أن لا إله إلا الله و أني رسول الله؟ قالوا: نعم، قال: فإن هذا القرآن سبب؛ طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به؛ فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدًا**»[(٢)]. فإنه ﷺ أراد ترغيبهم في الباقيات وتزهيدهم عن الفانيات، فذِكرُه هذا على سبيل التمثيل والتقريب إلى فهم العليل، وإلا فجميع الدنيا أحقر من أن يقابل بمعرفة آية من كتاب الله —تعالى–، أو بثوابها من الدرجات العلى[(٣)].

ويبيّن ابن القيم بُعد الناس عن هذا المعنى وأنه أحد الأسباب في عدم فهم القرآن؛ فيقول: ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته، وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن[(٤)].



ناقش:

في ضوء معرفتك بأحوال النبي في تدبر القرآن؛ كيف يمكنك الاهتداء بهديه؟ وضح ذلك بصورة عملية أثناء تلاوتك للقرآن.

---

(١) رواه أحمد (١٨٢/٤، ١٨٣). والترمذي في كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الله لعباده (٢٨٥٩) وقال: هذا حديث غريب. والحاكم (٣٧/١). والطحاوي في مشكل الآثار (٥٣/٣، ٣٦). وابن أبي عاصم (١٨، ١٩) من حديث النواس بن سمعان. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولا أعرف له علة ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع (ح٣٨٨٧).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٦٥/١٢). وعبد بن حميد في المنتخب من المسند (٥٨/١). وابن نصر في قيام الليل (ح٧٤). وقال الألباني: صحيح (السلسلة الصحيحة/ح٧١٣).

(٣) عون المعبود شرح سنن أبي داود (٢٣١/٤).

(٤) مدارج السالكين (٣٥١/١).

الموضوع الرابع
آثار السلف الدالة على التَّدَبُّر ودلالاتها

كان السلف -رحمهم الله تعالى- يأخذون هذا القرآن بقوة، يطلبون المعنى الذي أراده الله ﷻ، وكانوا في غاية الدقة، والحرص، وفي غاية التحرج وهم يفسرون الآيات، ومن شدة اعتنائهم بالفهم والتَّدَبُّر؛ إذا تعلَّم الواحد منهم عَشْر آياتٍ لم يجاوزهُنّ حتى يعرف معانيهنَّ، والعملَ بهنَّ، كما رُوي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه[1].

أولاً: أمر السلف بالتَّدَبُّر والترغيب فيه:

حديث أبي جُحيفة؛ أنه لما سأل عليًّا رضي الله عنه: هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء؟ قال له علي -رضي الله عنه-: لا والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في كتاب الله، وما في هذه الصحيفة ...[2] الحديث.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ قال: ألا لا خير في عبادةٍ ليس فيها تفقّه، ولا خير في فقه ليس فيه تَفَهّم، ولا خير في قراءةٍ ليس فيها تَدَبُّر[3].

وقال **عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما-**: لقد عشنا دهرًا طويلاً، وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، فتنزل السورة على مُحَمَّد ﷺ؛ فنتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها، ثم لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان، فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته، لا

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري (١/٨٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فكر الأسير (ح٣٠٤٧).

(٣) أخرجه أبو داود في (الزهد) (ح١١١). وابن بشران في (الأمالي) (ح٨٨٢). والآجري في (أخلاق العلماء) (ص ٧٢، ص٧٣ (ح١٠٥٦). وأبو نعيم في (الحلية) (١/٧٧) بإسناد حسن.

يدري ما آمره ولا زاجره وما ينبغي أن يقف عنده منه، ينثره نثر الدقل[١].

وعن **أبي حمزة** -رحمه الله-: قلت لابن عباس رضي الله عنه: إني سريع القراءة، أقرأ القرآن في مقام، فقال **ابن عباس** -رضي الله عنهما-: لأن أقرأ البقرة فأرتّلها **وأتدبَّرها**؛ أحبّ إليّ من أن أقرأ القرآن كما تقول. وفي رواية: لأن أقرأ البقرة في ليلة **أتدبّرها وأفكّر** فيها؛ أحبّ إليّ من أن أقرأ القرآن كلّه في ليلة[٢].

وعن **أبي وائل -رحمه الله-** قال: جاء رجل إلى **عبدالله** رضي الله عنه؛ فقال: إني قرأت المفصل البارحة، فقال **عبدالله**: هذًّا كهذّ الشِّعر، ونثرًا كنثر الدقل، إني **أفصِّل لتفصِّلوه**، ولقد علمت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرأ بهن سورتين في ركعة[٣].

ورُوي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: لأن أقرأ البقرة وآل عمران وأرتلهما وأتدبرهما؛ أحَب إليّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة -أي: بسرعة-[٤].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قفوا على عجائبه وحركوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة[٥].

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: سيبلى القرآن في صدور أقوام كما يبلى الثوب فيتهافت، يقرأونه لا يجدون له شهوة ولا لذة، يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، أعمالهم طمع لا يخالطه خوف، إن قصروا، قالوا: سنبلغ، وإن أساءوا، قالوا: سيُغفر لنا، إنا لا نشرك بالله شيئًا[٦]. فكيف يبلى وهم يقرأونه إلا إذا كانت قراءتهم قراءةً عابرةً دون استخراج كنوز المعاني ومهمات المعارف من هذا الكتاب العزيز!

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٩١/١) (ح١٠١). والبيهقي في السنن الكبرى (١٢٠/٣) (ح٥٠٧٣).

(٢) أخرجه المروزي في مختصر قيام الليل (٢١٥/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة (ح٧٧٥). ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة، واجتناب الهذ، وهو الإفراط في السرعة، وإباحة سورتين فأكثر في ركعة (ح٨٢٢).

(٤) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة (ص٥٢). ولم أجده بسنده إلى ابن عباس.

(٥) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٤٠/١). ولم أقف عليه بسنده إلى ابن مسعود.

(٦) أخرجه الدارمي في السنن، باب في تعاهد القرآن (٢١٠٧/٤). قال المحقق (حسين سليم أسد): إسناده صحيح إلى معاذ، وهو موقوف عليه.

وروي عن **محمد بن كعب القرظي** ﷺ قال: لأن أقرأ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ و﴿الْقَارِعَةُ﴾ ليلة أرددهما وأتفكر فيهما، أحبّ إليَّ من أن أبيت أهذُّ القرآن[١].

وقال **الحسن بن علي** -رضي الله عنهما-: إن مَن كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل، ويتفقدونها في النهار[٢].

وعن قتادة قال: إذن؛ واللهِ يجدون في القرآن زاجرًا عن معصية الله لو تدبّره القومُ وعقلوه، ولكنّهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا عند ذلك[٣].

وسئل **مجاهد** -رحمه الله- عن رجلين قرأ أحدهما البقرة، وقرأ الآخر البقرة وآل عمران، فكان ركوعهما وسجودهما وجلوسهما سواءً؛ أيهما أفضل؟ قال: الذي قرأ البقرة، ثم قرأ مجاهد: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء:١٠٦][٤].

وعن الحسن البصري -رحمه الله- قال: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ قَدْ قَرَأَهُ عَبِيدٌ وَصِبْيَانٌ، لا عِلْمَ لَهُمْ بِتَأْوِيلِهِ، وَلَمْ يَتَأَوَّلُوا الأَمْرَ مِنْ قِبَلِ أَوَّلِهِ؛ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩]، وَمَا تَدَبُّرُ آيَاتِهِ إلا اتِّبَاعُهُ، وَاللهُ يَعْلَمُ، أَمَا وَاللهِ مَا هُوَ بِحِفْظِ حُرُوفِهِ وَإِضَاعَةِ حُدُودِهِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ، فَمَا أَسْقَطْتُ مِنْهُ حَرْفًا، وَقَدْ وَاللهِ أَسْقَطَهُ كُلَّهُ، مَا يُرَى لَهُ الْقُرْآنُ فِي خُلُقٍ وَلا عَمَلٍ[٥].

وقال أيضًا: ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يُعلم فيما أنزلت وما أراد بها[١].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/٢٥٦) (ح٨٧٣٢). وإسناده ضعيف؛ لضعف عبيدالله بن عبدالرحمن. تقريب التهذيب (ص٣٧٣).

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي (١/٢٧٥).

(٣) أخرجه الطبري في (جامع البيان) (٢١/٢١٦). والسيوطي في (الدر المنثور) (١٣/٤٤٧).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ح١٢) (٢/٤٠٣).

(٥) أخرجه عبدالرزاق في المصنف (٣/٣٦٤). وابن المبارك في الزهد (ح٧٩٣). والآجري في أخلاق حملة القرآن (ح٣٤).

(١) أورده ابن عطية في المحرر الوجيز (١/٢٦). وابن الجوزي في زاد المسير (١/٤). والقرطبي في الجامع (١/٢٦). والشاطبي في



من خلال الآثار السابقة؛ نستطيع تلخيص دلالاتها على التَّدَبُّر فيما يلي:

م	الشاهد في الأثر	صاحب الأثر	دلالته على التَّدَبُّر
١	....	....	....
٢	....	....	....
٣	....	....	....
٤	....	....	....
٥	....	....	....
٦	....	....	....

الموافقات (٣/٣٥٠). والقاسمي في محاسن التأويل (١/٢٣).

ثانيًا: بعض أخبار السّلف وأحوالهم مع تدبّر القرآن:

(١) أحوال السلف مع التَّدَبُّر:

كما سجّل لنا المحدثون تدبر النبي ﷺ **القرآن**، وسجّلوا لنا أخبار **سلفنا الصالح**، مع **تدبّر القرآن**؛ ومنها:

ما رُوي عن **مسروق** قال: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح، أو قَرُبَ أن يصبح يقرأ بآية من القرآن يركع فيها ويسجد ويبكي ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثية:٢١][١].

وعن ابن أبي مليكة -رحمه الله- قال: صحبت ابن عباس -رضي الله عنهما- من مكة إلى المدينة فكان إذا نزل قام شطر الليل، فسُئل كيف كانت قراءته؟ قال: قرأ: ﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ ﴾ [ق:١٩] فجعل يرتل ويكبر في ذلك النشيج[٢]. والنشيج: شدّة البكاء إذا هاج على صاحبه، فبكى بصوت مخنوق في صدره؛ فصار له أزيز كأزيز القدر.

فهذا التكرار في الآية تقليب وتفكر فيها؛ وثمرته تهييج النفس على العمل، وتنشيط القلب على السير، وتوثيق إرادة النفس على عزائم الأعمال، فهذا هو التَّدَبُّر والتفكر فيها والعبرة منها.

وعن سعيد بن عبيد رحمه الله قال: رأيت **سعيد بن جبير** رحمه الله، وهو يؤمّهم في رمضان، يردِّد هذه الآية: ﴿ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ [غافر:٧١] و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾ [الانفطار:٦]، يردِّدها مرتين أو ثلاثًا[٣].

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (ح١١٨٣٣) (٤٠٠/١٠). والطبراني في المعجم الكبير (ح١٢٣٦) (٤١/٢). وأبو داود في الزهد (ح٣٧٩) (٤١٧/١).

(٢) نشج: غَصَّ بالبُكاءِ في حَلْقهِ من غير انتحاب. معجم مقاييس اللغة (٤٢٩/٥).

(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (ح٤١٩٦) (٤٩٢/٢).

وجملة القول: فهذه **الآيات القرآنية، والنصوص الحديثية**، وما ثبت من ذلك في وقائع **وسير السّلف الصالح**؛ يدلّ على أن **تدبّر القرآن**، وتفهمّه، وتعلّمه، والعمل به؛ أمر استُقرّ عليه في **القرون الثلاثة الأولى** المشهود لها بالخيرية، **وهو لا بدّ منه للمسلمين** في كلّ زمان ومكان، وأن ثواب قراءة الترتيل **والتَّدَبُّر** أجلُّ وأرفعُ قدرًا.

فإعراض كثير من الناس عن **التَّدَبُّر في كتاب الله تعالى**، والنّظر فيه، وتفهّمه، والعمل به، وبالسنّة الثابتة المبيّنة له، في جميع المجالات الحيوية، اجتماعيًّا، واقتصاديًّا، وتربويًّا، وثقافيًّا، وسياسيًّا، وما إلى ذلك من الأمور التي تحتاج إليها الأمّة، أفرادًا وجماعات، هو من أعظمِ المناكر وأشنعِها، وإن ظنّ فاعلوه أنهم على هدى، باتباعهم مناهج غربية علمانية مستوردة، والله المستعان[١].

نشاط من خلال الاستعراض السابق لهدي السلف الصالح في التَّدَبُّر اكتب بعض التوجيهات المستفادة لقارئي القرآن مما يعينهم على التَّدَبُّر.

(١) ....

(٢) ....

(٣) ....

(٤) ....

(٥) ....

(٦) ....

(١) انظر: أضواء البيان (٣٥٨/٧).

(٢) نماذج من تدبر السلف:

(أ) نماذج من تدبر الصحابة:

- نزلت الآية ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:١]، وأبو بكر الصدّيقُ ﷺ قاعدٌ؛ فبكى أبو بكر؛ فقال له رسول الله ﷺ: «**ما يُبْكيك يا أبا بكر؟**» قال: أبكاني هذه السورةُ[١].

- ذُكر أن ابْن عمرَ شرب مَاءً بَارِدًا؛ فَبكى؛ فَقيل لَهُ: مَا يبكيك؟ فَقَالَ: ذكرت آيَة فِي كتاب الله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ:٥٤]؛ فَعرفت أَن أهل النَّار لَا يشتهون إِلا المَاء الْبَارِد، وَقد قَالَ الله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:٥٠][٢].

- وكان أبو بكر الصديق ﷺ ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه، فلما قال مسطح ما قال في عائشة ﵂ في حادثة الإفك، قال أبو بكر: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد الذي قال في عائشة ما قال؛ فأنزل الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور:٢٢] قال أبو بكر: بلى والله؛ إني أحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها أبدًا[٣].

- وعن عبدالله بن شداد بن الهاد قال: سمعت عمر يقرأ في صلاة الصبح سورة يوسف، فسمعت نشيجه[٤]، وإني لفي آخر الصفوف، وهو يقرأ: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (٣/٢٧٠). والبيهقي في الشعب (٩/٣١٢) (ح٦٧٠١).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٠/٣١٦٩) (ح١٧٩٠٩). والسيوطي في الدر المنثور (٣/٤٦٩). والبيهقي في الشعب (٦/٣٣٨) (ح٤٢٩٤).

(٣) جزء من حديث الإفك عند البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا (ح٢٦٦١). ومسلم في صحيحه في كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (ح٢٧٧٠).

(٤) النشيج: تردد البكاء في الصدر من غير انتحاب. المعجم الوجيز (ص٦١٥).

تَعۡلَمُونَ ﴾ [يوسف:٨٦][1].

● وكان عبّاد بن بشر يقوم بحراسة المسلمين بعد أن عسكروا في مكان، وأخلدوا للنوم وهم في طريق عودتهم من غزوة ذات الرقاع، ولما وجد الجو هادئًا بدأ في الصلاة وقراءة القرآن، وفي أثناء ذلك لمحه أحد المشركين فأصابه بسهم فلم يتحرك من مكانه، بل نزعه وأكمل صلاته، ثم رماه بسهم ثانٍ فنزعه وأكمل صلاته، ثم رماه بثالث فنزعه وركع وسجد وسلَّم، وأيقظ صاحبه عمار بن ياسر، فلما رأى ما به من الدماء قال له: لِمَ لا أنبهتني أول ما رمى؟ قال له: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها، فلما تابع عليَّ الرمي ركعتُ فآذنتك، وايم الله؛ لولا أن أُضيّع ثغرًا أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفذها[2]. لقد كان شعوره رضي الله عنه بلذة القراءة، أشد بكثير من شعوره بالألم!

● كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيْرُحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما أُنزلت هذه الآية: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران:٩٢]؛ قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيْرُحاء، وإنها صدقة لله، أرجو بِرّها وذُخرها عند الله، فضعْها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: **«بخٍ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلتَ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»**، فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه[3].

(ب) نماذج من تدبر التابعين ومن بعدهم:

– عن ميمون بن مهران قرأ قول الله تعالى: ﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٥٩ ﴾ [يس:٥٩]؛ فبكى

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (ح٢٧٠٣) (١١١/٢). وذكره ابن الجوزي في مناقب عمر (ص١٥٩).

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣٧٩/٣). وينظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢٠٨/٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب (ح١٤٦١).

طويلاً، ثم قال: ما سمع الخلائق بعتب قط أشد منه[١].

- وقال زائدة: صليت مع أبي حنيفة في مسجده عشاء الآخرة، وخرج الناس، ولم يعلم أني في المسجد، وأردت أن أسأله عن مسألة من حيث لا يراني أحد، قال: فقام فقرأ، وقد افتتح الصلاة حتى بلغ إلى هذه الآية: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور:٢٧]، فأقمت في المسجد أنتظر فراغه، فلم يزل يرددها حتى أذن المؤذن لصلاة الفجر[٢].

- وعن مَالِك بنَ دِينَارٍ، قَرَأَ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر:٢١]؛ فبكى، وقَالَ: أُقْسِمُ لَكُمْ؛ لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ بِهَذَا الْقُرْآنِ إِلاّ صُدِعَ قَلْبُهُ[٣].

- وعن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام؛ قال: سمعت عبدالله بن حنظلة يومًا وهو على فراشه، وعُدتُّه من عِلته، فتلا رجل عنده هذه الآية: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف:٤١]؛ فبكى حتى ظننت أن نفسَه ستخرج، وقال: صاروا بين أطباق النار، ثم قام على رجليه، فقال قائل: يا أبا عبدالرحمن اقعد، قال: منعني القعودَ ذكرُ جهنم، ولا أدري لعلي أحدهم[٤].

- قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت فضيلاً ليلة وهو يقرأ سورة مُحَمَّد ﷺ ويبكي ويردد هذه الآية: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد:٣١]، وجعل يقول: ونبلو أخباركم! ويردّد ويقول: وتبلو أخبارنا، إن بلوتَ أخبارنا فضحتنا، وهتكتَ أستارنا، إن بلوتَ أخبارنا أهلكتَنا وعذّبتنا[٥].

هذه الآثار وغيرها الكثير تبيّن لنا أن سلفنا (ذاقوا حلاوة الإيمان من خلال القرآن، وأدركوا قيمته

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٤/٩٢).

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية ببيروت، (١٣/٣٥٧).

(٣) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٣٧٨).

(٤) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار لابن رجب الحنبلي (ص٣١-٣٢).

(٥) ينظر: التوابين لابن قدامة (ص١٢٧).

وقدرته الفذّة على التغيير وبثّ الروح، فأقبلوا عليه، وانشغلوا به، وأعطَوه الكثير من أوقاتهم، وانجذبت مشاعرهم نحوه عند لقائهم به لدرجة الاستغراق والهيمنة)[(١)].

نشاط

ناقش:

في ضوء معرفتك بأحوال الصحابة والتابعين في تدبر القرآن؛ كيف يمكنك الاهتداء بهديهم بصورة عملية أثناء تلاوتك للقرآن؟

ثالثًا: منهج السلف الصالح في تلقّي القرآن وتدبّره:

إن من تأمّل حياة سلفنا الصالح مع القرآن، وجد لهم منهجًا في تلقّي القرآن وتدبّره، وحقيقٌ على مَن يريد سلوك طريقهم أن يتعرّف على منهجهم في تلقّي القرآن وتدبّره، ويمكن تحديد معالم هذا المنهج فيما يلي:

(١) يقينهم بمنزلة القرآن، وإيمانهم بقيمته:

فمَن عرف قيمة الشيء اعتنى به، والقلب إذا أحب شيئًا تعلّق به واشتاق إليه، فإذا أحب القلب القرآن؛ تلذّذ بقراءته، واجتمع على فهمه؛ فيصل بذلك إلى مقصوده وهو التَّدَبُّر والعمل بالقرآن.

والرعيل الأول؛ هم أكثر الأجيال إيمانًا بالقرآن، وبالثقة الكبيرة فيه كمصدر للهداية. وقد ظهر ذلك من خلال آثارهم المنقولة في بيان عظمة القرآن وقيمته.

يقول ابن مسعود رضي الله عنه: مَن أحب أن يعلم أنه يحب الله ورسوله؛ فلينظر: فإن كان يحب القرآن؛ فهو يحب الله وَرَسُولَهُ[(٢)].

وقال ابن عباس –رضي الله عنهما–: ضمن الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه ألاَّ يضل ولا يشقى، ثم تلا: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه:١٢٣][(١)].

---

(١) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د. مجدي الهلالي (ص٨١).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (ح٨٦٥٧) (١٣٢/٩). والبيهقي في شعب الإيمان (ح١٨٦١) (٣٩٤/٣).

(١) قيام الليل للمروزي (ص١٧٣).

ويقول البخاري: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن، ولا يحمله بحقّه إلا الموقن[(١)].

ولما قدم خَراج العراق إلى عمر ﷺ، خرج عمر ﷺ ومولى له، فجعل يعدّ الإبل، فإذا هو أكثر من ذلك، فجعل عمر ﷺ يقول: الحمد لله، وجعل مولاه يقول: هذا والله من فضل الله ورحمته، فقال عمر ﷺ: كذبتَ؛ ليس هذا، هو الذي يقول الله: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [يونس:٥٨]، وهذا مما يجمعون[(٢)].

فسلفنا الصالح كانوا يعدّون الفضل الأول والرحمة الأولى هي ما جاءهم من الله من موعظة وهدى، وأما المال والثراء الذي يأتيهم من الله فهو دون ذلك بكثير.

(٢) تعلّمهم الإيمان قبل القرآن:

فالرعيل الأول من الأمة المحمدية غُرِسَ في قلوبِهم تعظيمُ الله، وتعظيمُ أمره ونهيه، فسَهُلَ عليهم بعد ذلك تلقِّي الأحكامِ الشرعية.

وهذا المنهج قد اتخذهَ القرآنُ في تربيتِهِ للصحابةِ أوّل الإسلام؛ حيث كان أوَّل نزولِ القرآنِ تَرْبِيةً على الإيمانِ في السُّور المكية -وخاصّةً المفصَّل منها- فكلُه في تَرسِيخِ الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخر؛ فأَوْرَثَ في نفوسِهم الإيمانَ الصحيحَ والتعظيمَ للقرآن، وهَيَّأَ نفوسَهم لِتَلَقِّي تَوجيهاتِه.

وقد ورد في هذا المعنى آثار تبيّن أن النبي ﷺ اتبع هذا المنهج مع صحابته، ونقلوه لمن بعدهم؛ فكان له عظيم الأثر في انتفاعهم بالقرآن.

وسبق قول عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما-: (لقد عشنا بُرْهة من دهرنا وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمّد ﷺ فيتعلّم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يُوقف عنده فيها كما تعلّمون أنتم القرآن، ثم قال: لقد رأيت رجالاً يؤتى أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته ما يدري ما آمره ولا زاجره، ولا ما ينبغي أن يُوقف عنده منه، ينثره نثْر الدَّقَل).

---

(١) البخاري عند باب قوله تعالى: {قل فأتوا بالتوراة فاتلوها}، في كتاب التوحيد.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢٧٥). وانظر: كنز العمال (٢/٤٣٢) (ح٤٤٢٢).

ويؤكد على هذا المعنى جُندب بن عبدالله رضي الله عنه بقوله: كنا مع النبي ﷺ ونحن غلمان حَزَاوِرة[١] فتعلّمنا الإيمان قبل القرآن، ثم تعلّمنا القرآن فازددنا إيمانًا[٢].

(٣) مداومة التلاوة اليومية للقرآن:

إن ملازمة القرآن تيسّر للمسلم باب التَّدَبُّر، ومن أكثر الطُّرُق قارب الدخول، وعلى قدر ما يعطي الإنسان للقرآن سيعطيه القرآن، ومن هنا تأتي أهمية التلاوة اليومية للقرآن.

وكان النبي ﷺ كما رُوِيَ حريصًا على قراءة القرآن كل يوم، فلما جاء وفد ثقيف إلى المدينة أنزلهم رسول الله ﷺ في قُبّة بين المسجد وبين أهله، فكان يأتيهم ويُحدِّثهم بعد العشاء، وفي ليلة من الليالي تأخر عليهم ثم أتاهم فقالوا له: يا رسول الله، لبثتَ عنا الليلة أكثر مما كنت تلبث؛ فقال: **«نعم؛ طرأ عليّ حِزْبي من القرآن، فكرهت أن أخرج من المسجد حتى أقضيه»**[٣].

وحِرصُ صحابة النبي ﷺ على مداومة التلاوة كان مشهورًا بينهم، لا يتهاونون فيه.

قال الأوزاعي: كان يقال: خمسٌ كان عليها أصحاب محمَّد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله[٤].

وقد قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: لو أن قلوبنا طهرت؛ ما شبعنا من كلام ربنا، وإني لأكره أن يأتي عليَّ يوم لا أنظر في المصحف، وما مات عثمان حتى خُرق مصحفه من كثرة ما كان يديم النظر فيه[١].

---

(١) حزاورة: جمع الحزور؛ وهو الغلام إذا اشتد وقوي. ينظر: النهاية (ح ز و ر).

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه في كتاب المقدمة، باب في الإيمان (ح٦١). والطبراني في المعجم الكبير (ح١٦٧٨) (٢/١٦٥). وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجة (ح٦١).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن (ح١٣٩٣). وابن ماجة في سننه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يُختم القرآن (ح١٣٤٥). وأحمد في مسنده (ح١٦١٦٦) (٢٦/٨٨-٨٩). وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف؛ لضعف عبدالله بن عبدالرحمن الطائفي، وعثمان ابن عبدالله بن أوس الثقفي روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في (الثقات). وقال الذهبي في (الميزان): محله الصدق. وقال ابن حجر في (التقريب): مقبول.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم (٦/١٤٢).

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (ح٢٠٣٠) (٣/٥٠٩).

وقد كان للسلف وِرد يومي من القرآن لا يتكاسلون عن القيام به، ويحاسبون أنفسهم على ذلك؛ فمن ذلك:

أن رجلاً استأذن على عمر ﷺ بالهاجرة، فحجبه طويلاً ثم أذن له؛ فقال: إني كنت نمتُ عن حزبي فكنت أقضيه[1].

وعن القاسم بن مُحَمَّد بن أبي بكر قال: كنا نأتي عائشة ﷺ قبل صلاة الفجر، فأتيناها ذات يوم فإذا هي تصلي، فقالت: نمتُ عن حزبي في هذه الليلة فلم أكن لأدعه[2].

وما ورد عن عروة بن الزبير أنه: كان يقرأ ربع القرآن كل يوم في المصحف نظرًا، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قُطعت رِجْله، ثم عاود حِزبه من الليلة المقبلة[3].

إنه الحرص على عدم ترْك هذا الورد اليومي مهما حالت دونه الحوائل، أو اعترضته العوارض؛ لأنهم يعلمون يقينًا أن هذا هو غذاء القلب الذي لا يحيا بدونه.

والمقصود من المداومة اليومية على تلاوة القرآن: (أن الإنسان من طبيعته النسيان، وكذلك لتعرّضه المستمر للمغريات والملهيات خلال يومه وليلته؛ كان من الأهمية بمكان أن يداوم على قراءة القرآن لتُحدث له دوام التذكرة والتبصرة، وليُعَوّض بالقرآن ما فقده من إيمان، وليس ذلك فحسب؛ بل ليغذي قلبه بالروح التي تجعله دومًا في إقبال على الله؛ فإنَّ دوام التلاوة يعين على التَّدَبُّر ويرسخه.

من هنا كانت التوجيهات النبوية المتعددة بكثرة تلاوة القرآن وتعاهده وحتى لا تملّ النفس؛ كان الأجر العظيم لكل من قرأ حرفًا من القرآن ليستمر الحافز والدافع لديها للقراءة؛ كل ذلك ليتحقق المقصود من اللقاء بالقرآن[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ح٤٧٨٢) (١/٤١٦).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ح٤٧٨٤) (١/٤١٦).

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/١٧٨). وسير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٤٢٦).

(١) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د. مجدي الهلالي (ص١٣٤).

(٤) عنايتهم بترتيل القرآن:

أمر الله رسوله ﷺ بترتيل القرآن، مؤكّدًا هذا الأمر بمصدر الفعل؛ فقال: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل:٤]، وقال سبحانه: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء:١٠٦]؛ لأن الترتيل له وظيفة كبيرة في الطَّرْق على المشاعر؛ ومن ثَمَّ استثارتها وتجاوبها مع الفهم الذي سيولّده التَّدَبُّر؛ لينشأ بذلك الإيمان حينما يتعانق الفهم مع التأثر، ومن هنا تأتي أهمية الترتيل؛ فهو مفتاح من مفاتيح التَّدَبُّر التي حرص عليها سلفنا الصالح.

وقد امتثل نبينا ﷺ أمر ربه في ترتيل القرآن، فكانت قراءته هادئة، مترسّلة، حزينة كما أمره ربه فكان يرتّل السورة حتى تبدو وكأنها أطول من أطول منها.

وكان يمدّ الحروف في نهاية الآية ليسمح للعقل بتفهم الخطاب الإلهي، وللقلب بالتجاوب معه، والاتعاظ به.

ولقد وصفت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله ﷺ؛ فقالت: **«قراءة مفسّرة حرفًا حرفًا»**[(١)].

وفي حديث حفصة رضي الله عنها؛ قالت: (إن النبي ﷺ كان يقرأ بالسورة فيرتّلها حتى تكون أطول من أطول منها)[(٢)].

وقد اعتنى الصحابة رضي الله عنهم بالترتيل، ووجّهوا نظر مَن بعدهم إليه؛ لأن القراءة المتأنية أدعى لحسن الفهم، ولأن الترتيل معناه التمهل والتأمل والتَّدَبُّر، وذلك معين على الفهم والعمل، والمعرفة والامتثال.

فقد أنكر عبدالله بن مسعود رضي الله عنه على نهيك بن سنان سرعته في القراءة لما قال له: إني لأقرأ المفصّل في

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه في كتاب أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي ﷺ (ح٢٩٢٣). وأحمد في مسنده (ح٢٦٥٢٦) (١٤٧/٤٤). والنسائي في سننه في كتاب الافتتاح، باب تزيين القرآن بالصوت (ح١٠٢٢). وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا (ح٧٣٣).

ركعة. فقال عبدالله: هذًّا كهذِّ الشِّعر[(١)]؟ إن أقوامًا يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه؛ نفع[(٢)].

وسئل مجاهد بن جبر عن رجل قرأ البقرة وآل عمران، ورجل قرأ البقرة، قيامهما واحد، وركوعهما واحد، وسجودهما واحد، وجلوسهما واحد، أيهما أفضل؟ فقال: الذي قرأ البقرة، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦][(٣)].

وقال مُحَمَّد القرظي: لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ(إذا زُلزلت)، و(القارعة) لا أزيد عليهما، وأتردد فيهما وأتفكر؛ أحب إليَّ من أن أهذّ القرآن ليلتي هذًّا، أو قال: أنثره نثرًا[(٤)].

(٥) قيامهم الليل بالقرآن:

إن قراءة القرآن والقيام به في الليل من أعظم الوسائل المساعدة على تدبر القرآن، وتذكّر معانيه، وتثبيتها في القلب.

وقد أكد القرآن والسنة النبوية على هذه المعاني:

فقال ربنا: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء:٧٩] (فدلت الآية على أن التهجد بالقرآن طريق للوصول إلى المقامات العالية في الآخرة)[(٥)].

فعن الحسن بن علي –رضي الله عنهما– قال: إن مَن كان قبلكم رأوا القرآن رسائل من ربهم فكانوا

---

(١) الهذّ: سرعة القطع. أراد أتهذ القرآن هذا فتسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر؟ النهاية (هـ ذ ذ).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة، واجتناب الهذ، وهو الإفراط في السرعة، وإباحة سورتين فأكثر في ركعة (ح٨٢٢).

(٣) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (ح٤١٨٨) (٢/٤٨٩). وابن المبارك في الزهد (١/١٥٥).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/٢٥٦) (ح٨٧٣٢). وإسناده ضعيف؛ لضعف عبيدالله بن عبدالرحمن، تقريب التهذيب (ص٣٧٣).

(٥) مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، د. خالد اللاحم (ص٦١).

يتدبّرونها بالليل، ويتفقّدونها في النهار)[١].

وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل:١-٥]؛ (فدلت الآية على أن القيام بالقرآن هو السبيل لتحمّل الأحمال الثقيلة سواء في ذلك الدينية أو الدنيوية، فهو الطريق لمواجهة وحل مشاكل وصعوبات الحياة كلها)[٢].

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: «**إذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار ذكره، وإذا لم يقم به نسيه**»[٣].

ويقول ابن حجر رحمه الله عن مدارسة جبريل لرسول الله ﷺ في كل ليلة من رمضان: المقصود من التلاوة الحضور والفهم؛ لأن الليل مظنة ذلك، لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية"[٤].

وهناك شواهد كثيرة تدل على اقتران قراءة القرآن بالليل؛ فقد أدرك سلفنا الصالح قيمة وأهمية قيام الليل بالقرآن فحرصوا عليه، وربّوا عليه أنفسهم ومَن بعدهم، وكان هذا شعارهم رجالاً ونساءً، والذي كان يسير في طرقات المدينة ليلاً فلن تخطئ أذناه آيات القرآن وهي تنساب من كل بيت، فالجميع يقرأ ويترنم ويبكي، ويستشعر حلاوة الإيمان، فيدفعه ذلك إلى مزيد من القراءة بتدبر وترتيل، حتى في أصعب أوقاتهم -أوقات الجهاد-؛ لم يتركوا قيام الليل؛ لعلمهم بقيمته وأهميته.

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال: النبي ﷺ: «**إني لأعرف أصوات رُفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار**»[١].

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (ص٥٤).

(٢) مفاتيح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، د. خالد اللاحم (ص٦١).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين، باب الأمر بتعهد القرآن (ح٧٨٩).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٩/٤٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (ح٤٢٣٢). ومسلم في صحيحه في كتاب الفضائل، باب من فضائل الأشعريين (ح٢٤٩٩).

ورُوِيَ أن النبي ﷺ مر على امرأة تقرأ: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴾ [الغاشية:١]؛ فقام يستمع ويقول: «نعم، قد جاءني»[(١)].

وتصف هند بنت عتبة – قبل إسلامها – لأبي سفيان حال الصحابة بعد دخولهم مكة فتقول: أريد أن أبايع محمدًا، قال أبو سفيان: قد رأيتك تكفرين؟ قالت: إي والله؛ والله ما رأيت الله تعالى عُبد حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، والله إن باتوا إلا مصلِّين قيامًا وركوعًا وسجودًا[(٢)].

بعد انتهاء معركة القادسية وانتصار المسلمين كتب سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتابًا يخبره فيه بالفتح، فكان مما فيه: (... وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القاري، وفلان، وفلان، ورجال من المسلمين لا يعلمهم إلا الله؛ فإنه بهم عالم ...، كانوا يُدوّون بالقرآن إذا جنّ عليهم الليل كدوي النحل، وهم آساد في النهار لا تشبههم الأسود[(٣)].

وقد نعى سلفنا على من نام عن قيام الليل بالقرآن، وعدّوا ذلك ذمًّا في حق المسلم؛ فعن أبي رجاء قلت: للحسن رحمه الله: ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به، إنما يصلي المكتوبة؟ قال: لعمر الله؛ ذاك إنما يتوسد القرآن[(٤)(٥)].

(٦) ترديد الآيات حتى تؤثّر في القلب:

إن من منهج السلف الصالح في تدبر القرآن: ترديد الآية – أو الآيات – وهو سبب مهم لتجاوب القلب وتأثره، وقد نصّ العلماء على أن هذا كان دأب السلف الصالح.

قال النووي رحمه الله: وقد بات جماعة من السلف يتلون آية واحدة يتدبرونها، ويردّدونها إلى الصباح[(١)].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير (١٠/٣٤١٤) (١٩٢١٠). وابن كثير في التفسير (٨/٣٨٤).

(٢) البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار في الشرح الكبير (٨/٥٩٥)، ولم أقف عليه إلا في هذا الموضع.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير (٩/٦٣٦).

(٤) يتوسد القرآن: لا ينام الليل عن القرآن ولم يتهجد به فيكون القرآن متوسدًا معه، بل هو يداوم قراءته ويحافظ عليها. النهاية (و س د).

(٥) قيام الليل للمروزي (ص٢٥).

(١) التبيان في آداب حملة القرآن للنووي (ص٨٣).

وقال ابن القيم رحمه الله: وَهَذِهِ كَانَت عَادَة السّلف؛ يردد أحدهم الآية إلى الصَّباح[١].

وهذه نماذج تدل على ثبات هذا المنهج عندهم:

قال أبو ذر ﵁: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات ليلة العشاء، ثم رجع إلى أهله، فلما تكفأت عنه العيون، رجع إلى مقامه، فجئت فقمت خلفه قبل أن يركع، فأومأ إليَّ بيده فقمتُ عن يمينه، ثم جاء عبدالله بن مسعود ﵁، فقام خلفنا فأومأ إليه بيده فقام عن شماله، فقام رسول الله ﷺ حتى أصبح يتلو آية واحدة من كتاب الله بها، ويركع بها ويسجد بها يدعو حتى أصبح: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [المائدة:١١٨][٢].

وعن ابن مسعود ﵁ أنه ردّد قول الله: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه:١١٤][٣].

وعن مسروق؛ قال: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري ﵁؛ لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح - أو كاد أن يصبح - يقرأ آية من كتاب الله، يركع ويسجد، ويبكي: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الجاثية:٢١][١].

وعن القاسم بن أبي أيوب أن سعيد بن جبير ردّد هذه الآية: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٨١] بضعًا وعشرين مرة[٢].

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم (١٨٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٥٦/٥). والنسائي في الكبرى (٣٣٩/٦) (ح١١١٦١). والحاكم في المستدرك (٣٦٧/١) (ح٨٧٩). وابن ماجه في السنن (٤٢٩/١) (ح١٣٥٠). وقال النووي: رواه النسائي وابن ماجه بإسناد حسن، خلاصة الأحكام (٥٩٥/١).

(٣) ذكره النووي في التبيان في آداب حملة القرآن (ص٨٦).

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ح٣٥٣٥١) (٢٠٣/٧).

(قام عمرو بن عتبة بن فرقد ذات ليلة فاستفتح سورة حم، فلما أتى على هذه الآية: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴾ [غافر:١٨]؛ فما جاوزها حتى أصبح)[١].

وقال زيد بن الكميت: كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله، فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة في عشاء الآخرة: ﴿إذا زلزلت﴾، وأبو حنيفة خلفه، فظل قائمًا إلى الصباح وهو يقول: يا من يجزي مثقال ذرة خير خيرًا، ويا من يجزي مثقال ذرة شر شرًا، أجِر النعمان عبدك من النار، وما يقرّب منها من السوء، وأدخِله في سعة رحمتك[٢].

وأوصى العلماء بالحرص عليه؛ فقال ابن القيم رحمه الله: فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتَّدَبُّر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكّر حتى مرّ بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كرّرها، ولو مائة مرة ولو ليلة، فقراءة آية بتفكّر وتفهّم خيرٌ من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان، وذوْق حلاوة القرآن[٣].

(٧) مُدارسة القرآن:

مدارسة القرآن؛ صورة من صور الرغبة في تفهّم القرآن، والوقوف على حروفه وحدوده، واستنباط حِكَمه ومعانيه، فالمدارسة تعين على توقّد الذهن، وحضور العقل، وتكامل الفكر، حتى يفيد المتدارسون للقرآن أكبر فائدة.

ومن أبلغ الدلائل على فضيلة مدارسة القرآن؛ ما ثبت عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده. ومن بطّأ به عمله؛ لم يُسرِع به نسبه»**[١].

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (١٥٨/٤).

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٤٨٧/١٥).

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم (١٨٧).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (ح٢٦٩٩).

وقد قدّم لنا نبينا ﷺ نموذجًا عمليًّا لمدارسة القرآن؛ فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: (كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فَلَرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة)(١).

وقد استقر هذا المبدأ عند سلفنا الصالح، فعلى الرغم من أنهم كانوا أقرب الناس إلى القرآن معايشة ولغةً وفهمًا؛ فإنهم كانوا حريصين على مدارسة القرآن، وقد ورد عنهم ما يدل على أهميتها:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (الدراسة صلاة)(٢). وقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (تذاكر العلم بعض ليلة أحب إليّ من إحيائها)(٣).

وعن ابن أبي مليكة، أن عائشة رضي الله عنها كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه؛ إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: «من حُوسب عُذِّب»، قالت عائشة: فقلت: أَوَليس يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[الانشقاق:٨]، قالت: فقال: «إنما ذلك العرض، ولكن؛ من نُوقش الحساب يهلك»(٤).

وعن عبيد بن عمير، قال: قال عمر رضي الله عنه يومًا لأصحاب النبي ﷺ: فيمَ ترون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾ [البقرة:٢٦٦]؟ قالوا: الله أعلم؛ فغضب عمر، فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي قُل ولا تحقر نفسك. قال ابن عباس: ضُربت مثلاً لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قلت: شيء ألقي في روعي فقلته. فتركني وأقبل وهو يفسّرها: صدقت يا ابن أخي، عُني بها العمل؛ ابن آدم أفقر ما يكون إلى جنته إذا كبرت سنه وكثر

(١) أخرجه البخاري، باب بدء الوحي (ح٦). ومسلم في كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة (ح٢٣٠٨).

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (١٠٤/١).

(٣) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (١١٧/١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم، باب من سمع شيئًا فلم يفهمه فراجع فيه حتى يعرفه (ح١٠٣).

عياله، وابن آدم أفقر ما يكون إلى عمله يوم القيامة، صدقت يا ابن أخي[1].

(٨) حرصهم على الفهم والعمل:

بيّن لنا ربنا الهدف الأسمى من نزول القرآن؛ ألا وهو تدبّره والعمل به؛ فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

وحرص نبينا ﷺ على بيان هذا الهدف لأمته، فعندما سأله عبدالله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما- عن ختم القرآن في أقل من ثلاثة أيام قال له: **«لا يفقهه من يقرأه في أقل من ثلاث»**[2].

وكان ﷺ دائم التحذير لصحابته ولأمته من بعده من أن يتحوّل القرآن من وسيلة عظيمة لإحياء القلب وبثِّ الروح فيه إلى قراءة حنجرية فقط، طلبًا للأجر والثواب دون الانتفاع الحقيقي به[3].

ووعى الصحابة توجيهات القرآن ونبيهم ﷺ حول فهم القرآن والعمل به، فاستقر هذا منهجًا عندهم يتمثل فيما يلي:

أ- التمهل وعدم الإسراع في حفظ القرآن:

وليس أدل على ذلك من قول أبي عبدالرحمن السُّلمي: حدّثنا مَن كان يقرئنا من أصحاب النبي ﷺ، أنهم كانوا (يقترئون من رسول الله ﷺ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل)[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب تفسير القرآن، باب قولِهِ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ (ح٤٥٣٨) (٣١/٦) بنحوه. وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٧/٢).

(٢) سنن ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يختم القرآن (ح١٣٤٧). والترمذي في الجامع، كتاب القراءات، باب في كم يختم القرآن (ح٢٩٤٧)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د. مجدي الهلالي (ص٧٣).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١١٧/٦). والإمام أحمد في مسنده (٤٦٦/٣٨)، وصحَّحه محققو المسند. وابن جرير الطبري في تفسيره (٧٤/١). قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: وهذا أمر مشهور رواه الناس عن عامة أهل الحديث والتفسير، وله إسناد معروف (٤٠٨/١٧).

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: (تعلم عمر بن الخطاب ﷺ البقرة في اثنتي عشرة سنة، فلما أتمها نحر جزورًا)[١].

وهذه المدة الطويلة التي استغرقها في الحفظ ليس عجزًا من عمر ﷺ ولا انشغالاً عن القرآن؛ ولكن تدل على مدى التَّدَبُّر والتفكر لما في السورة من أحكام وواجبات ونواهٍ.

وذكر الإمام مالك في الموطأ: أنه بلغه أن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- مكث على سورة البقرة ثماني سنين يتعلمها[٢].

(إن حفظ سورة البقرة لا يستغرق عدة أسابيع أو شهور يسيرة إن كان الأمر يقتصر على حفظ ألفاظها فقط، أما إذا كان الأمر مرتبطًا بتفسيرها وأحكامها وما يتبع ذلك، فالأمر -بلا شك- سيختلف، وسيحتاج إلى سنين كما فعل عمر بن الخطاب وابنه عبدالله -رضي الله عنهما-)[٣].

ب- الوقوف عند المعاني:

والمقصود من ذلك: (أن يقف القارئ عند المعنى فلا يتجاوزه إلى غيره، متأملاً له، ومعتبرًا به؛ وهو المقصود من حُسن الاستماع والتلاوة، ومن ترتيل القرآن والتغني به)[٤].

وهذا المبدأ كان دأب السلف مع القرآن، وإمامهم في ذلك سيد المتدبرين ﷺ؛ فعن حذيفة ابن اليمان ﷺ قال: (صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسّلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ، ثم ركع)[١].

وعن ابن أبي مليكة قال: سافرت مع ابن عباس ﷺ، من مكة إلى المدينة، وهم يسيرون إليها وينزلون

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٣٣١) (ح١٩٥٧)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (ح٦٩٥) (٢/٢٨٧).

(٣) العودة إلى القرآن، د. مجدي الهلالي (ص٨٤).

(٤) تدبر القرآن للسنيدي (ص١٢٤).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل (ح٧٧٢).

بالليل، فكان ابن عباس رضي الله عنه يقوم نصف الليل فيقرأ القرآن حرفًا حرفًا، ثم حكى قراءته، قال: ثم يبكي حتى تسمع له نشيجًا[1].

يقول إسحاق بن إبراهيم الطبري عن الفضيل بن عياض: كانت قراءته حزينة، شهيّة، بطيئة، مترسّلة، كأنه يخاطب إنسانًا، وكان إذا مر بآية فيها ذكر الجنة، يردّد فيها، وسأل[2].

ج- حرصهم على تعليم غيرهم القرآن بطريقة تربط بين اللفظ والمعنى:

كان الصحابة يجتهدون في تعليم مَن بعدهم القرآن بطريقة تربط بين اللفظ والمعنى، وتحقّق مفهوم التعليم، وكانوا يقتصرون في الجلسة الواحدة على آية أو بضع آيات حتى يتم الانتفاع بها[3].

قال أبو رجاء العطاردي: كان أبو موسى رضي الله عنه يعلّمنا القرآن خمس آيات خمس آيات[4].

وقال أبو العالية: تعلّموا القرآن خمس آيات خمس آيات؛ إنه أحفظ لكم، وإن جبريل -صلوات الله عليه- كان ينزل بخمس آيات متواليات[5].

د- كثرة النصائح والوصايا بوجوب فهم القرآن والعمل به، والتحذير من عدم العمل:

أوصى جُندب بن عبدالله رضي الله عنه أهل البصرة بوصية؛ فقال فيها: وعليكم بالقرآن، فإنه هُدى النهار، ونور الليل المظلم، فاعملوا به على ما كان من جَهد وفاقة[1].

أما الحسن بن علي -رضي الله عنهما-؛ فيوصى وصية مهمة وضابطة لقراءة القرآن فيقول: (اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم ينهَكَ؛ فلستَ تقرأه)[2].

---

(١) مختصر قيام الليل للمروزي (ص١٣١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/٤٢٧) (ح٤٢٨).

(٣) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د. مجدي الهلالي (ص٩٤).

(٤) معرفة القراء الكبار للذهبي (ص٣١).

(٥) فضائل القرآن للمستغفري (١/٣٢٠).

(١) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص٧٧).

(٢) فضائل القرآن لأبي عبيد (ص٧٨).

(لذلك؛ لما بدأ المسلمون في عصر التابعين يُقبلون على حفظ القرآن بشكل مختلف عما كان يفعله الصحابة؛ ازداد تحذير الصحابة لهم وتخويفهم من خطورة حمْل ألفاظ القرآن دون إدراك معانيه، ومعرفة أحكامه، والعمل بما تدل عليه آياته)[١].

فقد جمع أبو موسى الأشعري ﷺ الذين حفظوا القرآن في الكوفة، وكان عددهم يبلغ قرابة الثلاثمائة، فعظَّم القرآن، وقال: إن هذا القرآن كائن لكم ذُخرًا، وكائن عليكم وزرًا، فاتبعوا القرآن ولا يتبعكم، فإنه من اتبع القرآن هبط به على رياض الجنة، ومن اتبعه القرآن زجَّ به في قفاه فقذفه في النار[٢].

وقد وعى التابعون توجيهات الصحابة بضرورة فهم القرآن والعمل به، فأثّرت فيهم هذه التوجيهات، قال الحسن البصري: إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، ولم يتأولوا الأمر من قِبَل أوله، وقال سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [ص:٢٩]، وما تدبر آياته إلا اتباعه لعلمه، والله يعلمه، أمَا والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفًا، وقد والله أسقطه كله، ما يُرى له القرآن في خُلق، ولا عمل، حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نفَس، والله ما هؤلاء بالقراء، ولا العلماء، ولا الحكماء، ولا الورعة، متى كانت القراء مثل هذا؟! لا كثّر الله في الناس مثل هؤلاء[٣].

(٩) عدم قصرهم معاني الآيات على أحوال خاصة:

ينبغي لمن أراد الانتفاع بالقرآن أن يجعل القرآن خطابًا موجّهًا إليه، وأن (يقدّر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن، فإن سمع أمرًا أو نهيًا قدّر أنه المنهي والمأمور، وإن سمع وعدًا ووعيدًا فكذلك)[١].

وهكذا كان سلفنا الصالح يتلقون القرآن على أنه موجّه لهم في كل شيء، فلا يقصرونه على أوضاع

---

(١) تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د. مجدي الهلالي (ص٩٣).

(٢) فضائل القرآن للفريابي (ص١٢٨).

(٣) الزهد والرقائق لابن المبارك (ص٢٧٤).

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (١/٢٨٥).

مضت، أو أحوال خاصة لغيرهم.

يقول مُحَمَّد بن كعب القرظي: (من بلغه القرآن؛ فكأنما كلّمه الله)[(١)].

وعن عبدالله بن عمر أن عمر ﷺ رأى في يد جابر بن عبدالله ﷺ درهمًا فقال: ما هذا الدرهم؟ قال: أريد أن أشتري به لحمًا لأهلي، قرموا إليه[(٢)]. فقال: أكلّما اشتهيتم شيئًا اشتريتموه؟! أين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾ [الأحقاف:٢٠]؟[(٣)].

فعمر ﷺ لم يقصر معنى الآية على الكافرين، وإنما رأى أنها صالحة لأن تكون في حق غيرهم؛ وبهذا كان سلفنا الصالح يحسنون التعامل مع القرآن في أوامره ونواهيه.

ومن هذا تفسير السلف لآيات في اليهود والنصارى وحملها على المسلمين إذا شابهوهم، وآيات أخرى حملوها على المبتدعة كالمرجئة والخوارج وغيرهم وهي في الكفار؛ ومن أمثلته:

عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: لو حدثتكم بكل ما أعلم؛ لرميتموني بالقشْع، ولكن الله الموعد، ولولا آية في كتاب الله ﷻ ما حدثتكم شيئًا؛ إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة:١٥٩][(٤)].

فسياق الآية في الحديث عن اليهود حين كتموا خبرًا أنزله الله في كتابه، ككتمانهم نبوة مُحَمَّد ﷺ، فنقلها أبو هريرة ﷺ إلى المسلم لو كتم شيئًا مما علِمه من الوحي.

ومن ذلك إنزال نصوص من القرآن الكريم على الخوارج، وتنوعت أقوال السلف في ذلك، ولا تعارض إن تعددت صفات الخوارج، فذكر كل صحابي صفة من الصفات، كل هذا تحذير من مسلكهم وذم لفعالهم؛ فالخوارج هم كما في هذا الأثر:

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (١/٢٨٥).

(٢) قرموا إليه: اشتهوه. ينظر: اللسان (ق ر م).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/٤٥٥). والبيهقي في شعب الإيمان (ح٥٦٧٢).

(٤) أخرجه علي بن حجر السعدي في جزئه (ح١٩١).

أ- ذكره أبو أمامة ﷺ أنهم: مَن تسود وجوههم يوم القيامة؛ كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران:١٠٦-١٠٧][1].

ب- وذكر سعد بن أبي وقاص ﷺ أنهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [البقرة:٢٧][2].

ج- وذكر أبو هريرة، وأبو أمامة -رضي الله عنهما- أنهم: ﴿ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ﴾ [الأنعام:١٥٩][3].

د- وذكر علي بن أبي طالب ﷺ أنهم: الأخسرون أعمالاً؛ كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤][4].

هـ- وذكر أبو أمامة، وسعد بن أبي وقاص أنهم: مَن زاغت قلوبهم ومالت عن اتباع الحق؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾﴾ [الصف:٥] [5].

و- ذكر أبو أمامة، وسعد بن أبي وقاص أنهم: المتبعون للشبهات؛ كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٧] [1].

وهذه الآيات لا تخص الخوارج؛ بل تعم كل من اتصف بتلك الأوصاف، والصحابة ﷺ أنزلوها على

(١) أخرجه المروزي في السنة (ح٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب {قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً} (٤٢٥/٨)، فتح الباري.

(٣) انظر الاعتصام للشاطبي (ص٤٤). وزاد المسير لابن الجوزي (٤٣٥/٢).

(٤) أخرجه عبدالله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة (٦٣٦/٢). وانظر: فتح الباري (٤٢٥/٨).

(٥) أخرجه عبدالله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة (٦٤١/٢). والمروزي في السنة (ص٧٥). وانظر: الاعتصام (ص٤٦، ص٤٨).

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة (٦٤١/٢). والمروزي في السنة (ص٧٥). وانظر: الاعتصام (ص٤٦، ص٤٨).

الحرورية؛ (إما لأنهم سئلوا عنها على الخصوص، وهل الآية تشملهم؟ فأجابوا عن السؤال؛ وإما لأن الخوارج هم أول من ابتدعوا في دين الله، وخرجوا على جماعة المسلمين بالسيف، وكان المقصود التحذير منهم). ومن مواقف الصحابة مع الخوارج تحذير الناس منهم، وتنبيههم على عدم الاغترار بما يظهر عليهم من الزهد والعبادة وقراءة القرآن؛ فقد ذُكر لعبدالله بن عباس -رضي الله عنهما- الخوارج وما يصيبهم عند قراءة القرآن؛ فقال: يؤمنون بمحكمه، ويضلون عند متشابهه؛ وقرأ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران:٧](١).

وهذا يؤكد لنا: (أن التَّدَبُّر عند سلفنا لم يكن درسًا يُسمع أو كتابًا يُتلى، بقدر ما كان شعورًا ينبض في قلب القارئ وهو يتجه لقراءة القرآن، وثمرة يقصدها حين تلاوة الآيات، وموردًا ينهل منه القلب حين تدارسه)(٢).

نشاط من خلال قراءتك الوحدة السابقة الخاصة بمنهج السلف الصالح في تلقي القرآن وتدبره، ومن خلال اطلاعك وبحثك الفردي؛ يمكنك استنباط بعض أحوال السلف الأخرى التي تدل على عنايتهم بتدبر القرآن وتدوينها في الجدول التالي:

الأثر	صاحب الأثر	المستفاد منه
....	....	....
....	....	....

(١) انظر كتاب: موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام (٦٠/٥)، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبدالقادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت: dorar.net.

(٢) تدبر القرآن للسنيدي (ص٨).

....	....	....
....	....	....
....	....	....
....	....	....

*　　*　　*

الموضوع الخامس

أقوال العلماء حول أهمية التَّدَبّر

إن طريقة تلاوة القرآن لم تُوكَل إلينا، بل جاء وصفها في كتاب الله تعالى؛ فقال جلّ وعلا: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء:١٠٦]؛ قال ابن جرير الطبري رحمه الله: (وقوله: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾؛ يقول: لتقرأه على الناس على تُؤَدة، فترتله وتبينه، ولا تعجل في تلاوته، فلا يفهم عنك)[1].

وقال الله جلّ وعلا: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤] قال القرطبي رحمه الله: (أي لا تعجل بقراءة القرآن بل اقرأه في مَهَل وبيان، مع تدبر المعاني)[2].

ويقول مُحَمَّد بن الحسين الآجرّي رحمه الله: (إنّ الله عزّ وجل حثّ خلقه على أن يتدبّروا القرآن؛ فقال عزّ وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [مُحَمَّد:٢٤]، وقال عزّ وجلّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]؛ ألا ترون -رحمكم الله- إلى مولاكم الكريم؛ كيف يحث خلقه على أن يتدبروا كلامه؟ ومن تدبّر كلامه عرف الرّب عزّ وجلّ، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضله على المؤمنين، وعرف ما عليه من فرض عبادته فألزم نفسه الواجب، فحذر مما حذره مولاه الكريم، ورغب فيما رغبه فيه، ومن كانت هذه صفته عند تلاوته للقرآن وعند استماعه من غيره؛ كان القرآن له شفاءً؛ فاستغنى بلا مال، وعزّ بلا عشيرة، وأنس بما يستوحش منه غيره، وكان همُّه عند التلاوة للسّورة إذا افتتحها متى أتعظ بما أتلو؟ ولم يكن مراده متى أختم السّورة؟ وإنما مراده

(١) جامع البيان (١٥/١١٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢١/٣٢٢).

متى أعقل عن الله الخطاب؟ متى أزدجر؟ متى أعتبر؟ لأن تلاوته للقرآن عبادة، والعبادة لا تكون بغفلة، والله الموفق)[(١)].

وقال الزركشي رحمه الله: (فالقرآن كله لم يُنزله تعالى إلا لِيُفهِمَه ويُعلَم ويُفهَم؛ ولذلك؛ خاطب به أولي الألباب الذين يعقلون والذين يفهمون، والذين يتفكرون).

قال النووي رحمه الله: (فإذا شَرع في القراءة؛ فليكن شأنه الخشوع والتَّدَبُّر عند القراءة، والدلائل عليه أكثر من أن تُحصر، وأشهر وأظهر من أن تُذكر، فهو المقصود والمطلوب، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب)[(٢)].

يقول أبو حامد الغزاليّ رحمه الله: (كثر الحثّ في كتاب الله تعالى على التَّدَبُّر والاعتبار والنّظر والافتكار، ولا يخفى أنّ الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار، وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر النّاس قد عرفوا فضله ورتبته، لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره)[(٣)].

ويقول ابن القيم رحمه الله: (فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبّر القرآن، وإطالة التّأمّل، وجمع الفكر على معاني آياته؛ فإنّها تطلع العبد على معالم الخير والشّرّ بحذافيرها، وتضع في يده مفاتيح كنوز السّعادة والعلوم النّافعة، وتثبّت قواعد الإيمان في قلبه، وتريه صورة الدّنيا والآخرة، والجنّة والنّار في قلبه، وتحضره بين الأمم وتريه أيّام الله فيهم، وتبصّره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله، وتعرّفه طريق أهل الجنّة وأهل النّار وأعمالهم، ومراتب أهل السّعادة وأهل الشّقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه، وافتراقهم فيما يفترقون فيه، وتعرّفه ما يدعو إليه الشّيطان، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه؛ فهذه أمور ضروريّ للعبد معرفتها، ومشاهدتها ومطالعتها، فتشهده الآخرة حتّى كأنّه فيها، وتغيّبه عن الدّنيا حتّى كأنّه ليس فيها، وتعطيه فرقانًا ونورًا

---

(١) أخلاق حملة القرآن (ص٢).

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن (ص٨١).

(٣) إحياء علوم الدين، مُحَمَّد بن مُحَمَّد أبو حامد الغزالي (٤/٤٢٣).

يفرّق به بين الهدى والضّلال، والغيّ والرّشاد، وتعطيه قوّة في قلبه، وحياة واسعة وانشراحًا وبهجة وسرورًا، فيصير في شأن والنّاس في شأن آخر)[1].

وقد ذم ابن القيم رحمه الله الذين لا يتدبرون القرآن الكريم؛ فقال: (لِلَّه ما يفوت المعرضين عن تدَبُّر القرآن المتعوّضين عنه بِزُبالةِ الأَذهان ونُخَالَةِ الأَفكار)[2].

قال جلّ شأنه: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥ ﴾ [الجمعة:٥]؛ (فقاس مَن حمّله اللهُ كتابه ليؤمن به، ويتدبره، ويعمل به، ويدعو إليه، ثم خالف ذلك ولم يحمله إلا على ظهرِ قلب، فقراءتهُ بغير تَدبُّر، ولا تفهُّم، ولا اتّباعٍ، ولا تحكيم له وعمل بموجبه- كحمارٍ على ظهره زامِلة أسفارٍ لا يدري ما فيها، وحظه منها حملُها على ظهره ليس إلا؛ فحظه من كتاب الله كحظ هذا الحمار من الكُتُب الَتي على ظهره)[3].

والحال التي أمر الله عز وجل بقراءة القرآن عليها في قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل:٤]؛ أي: بتمهل وترسل. قال ابن كثير رحمه الله: (فإنه يكون عونًا على فهم القرآن وتدبره)[4]؛ فجعل الفهم والتَّدَبُّر علة للأمر بقراءته مرتلاً.

وقال الشوكاني رحمه الله: (أي: اقرأه على مهل مع تدبر)[5]؛ فجعل التَّدَبُّر داخلاً في معنى الترتيل، ويُخشى أن تكون حال من يقرأ ويحفظ دون تدبر، كحال من سبقنا من الأمم التي عاب الله عليها مثل ذلك؛ كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ [سورة البقرة:٧٨]؛ قال ابن عاشور رحمه الله: (قيل: الأماني القراءة؛ أي: لا يعلمون الكتاب إلا كلمات يحفظونها ويدرسونها لا

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (٤٨٥/١-٤٨٦) بتصرف.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١١٢/١).

(٣) المصدر السابق (١٢٧/١).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٥٠/٨).

(٥) فتح القدير (٣٣٦/٧).

يفقهون منها معنى، كما هو عادة الأمم الضالة؛ إذ تقتصر من الكتب على السرد دون فهم)[(١)].

وَوَصْفُ القرآن بالبركة مرتبط بالتَّدَبُّر في قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩]؛ وإن تدبرَ هذا الكتاب يظهرُ خيره ونفعه وبركته للأفراد والأمم.

وقد أشار الشعراوي رحمه الله إلى هذا المعنى؛ فقال: (فكل يوم يعطي القرآن عطاءه الجديد، ولا تنقضي عجائبه، ويقرأه واحد فيفهم منه معنى، ويقرأه آخر فيفهم منه معنى جديدًا؛ وهذا دليل على أن قائله حكيم، وضع في الشيء القليل الفائدة الكثيرة، وهذا هو معنى ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ ﴾؛ فكل كتاب له زمن محدود وعصر محدود وأمة محدودة، أما القرآن فهو يعالج من يوم أن أنزله الله إلى أن تقوم الساعة قضايا متجددة ويضع لها حلولاً، ويعالج كل المسائل التي تطمح لها البشرية في حضاراتها وارتقاءاتها في العقول معالجةً تجعل له السبق دائمًا، ولا يكون ذلك إلا إذا كانت فيه البركة)[(٢)].

* * *

(١) التحرير والتنوير (١/٣٥٨).

(٢) تفسير الشعراوي (٧/٤٠٠٨).



استنبط من النقول السابقة عن أهل العلم؛ أهم الفوائد التي ذكرها العلماء حول أهمية التَّدَبُّر في الجدول التالي:

الفائدة	اسم العالم
....	....
....	....
....	....
....	....
....	....
....	....
....	....

*　　*　　*

جهد التعلم / ملف الإنجاز:

أ- اكتب مقالاً علميًا، أو خطبة عن مشروعية التَّدَبُّر في الكتاب والسنة وأقوال السلف والأئمة.

ب-اجمع أقوال السلف حول تدبر القرآن من خلال كتاب آثار؛ مثل: حلية الأولياء، سير أعلام النبلاء، كتب المصنفات والسنن، ... إلخ.

ج-استمع لمادة مسجلة أو مرئية (خطبة أو محاضرة أو درس علمي أو ...) عن تدبر القرآن، وحرر ملخصًا عنها، وما تقترحه لتحسينها.

مصادر التعلم:

- تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، رقية طه جابر العلواني، (بدون)، الطبعة الخامسة (٢٠٠٨م)، عبر الموقع: www.drrugaia.com.
- تدبر القرآن فريضة الأمة، مقال على موقع طريق الإسلام، انظر: http://ar.islamway.net/article/
- تدبر القرآن: الحكم والحكمة، د. أحمد بن عبدالله الفريح، مجلة الأزهر (١٤٣٠هـ).
- دعوة إلى تدبر القرآن الكريم، مختار شاكر كمال، ط. دار البشير، عمان، ط. الأولى (١٤١٥هـ).
- الفوائد، ابن القيم الجوزية، تحقيق مُحَّد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الثالثة (١٤١٥هـ).
- الفوز الكبير في أصول التفسير، أحمد بن عبدالرحيم المعروف بـ(ولي لله الدهلوي) (١١٧٦هـ)، عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، نشر: دار الصحوة، القاهرة، ط. الثانية (١٤٠٧ هـ)/(١٩٨٦م).
- مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر لأبي عبدالله مُحَّد بن نصر المرْوَزِيّ، اختصره: أحمد ابن علي المقريزي، ط. فيصل آباد، باكستان (١٤٠٨ هـ).
- مختصر منهاج القاصدين لأبي العباس أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي (ت٦٨٩هـ)، تحقيق:

عبدالحميد مُحمَّد الدرويش، ط. الأولى، (١٤١٩هـ)/(١٩٩٩م).:

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم الجوزية، تحقيق: الشيخ مُحمَّد حامد الفقي، ط. دار الكتاب العربي، بيروت (١٣٩٣هـ).
- مشروع الحياة من جديد (دعوة لتدبر القرآن)، د. أسماء الرويشد، ط. مدار الوطن بالرياض.
- المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد بن أحمد مكي، نشر: دار نوادر المكتبات للنشر والتوزيع، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، (١٤٣١هـ)/(٢٠١٠م).
- مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، د. خالد بن عبدالكريم اللاحم، ط. الثانية، سفير بالرياض (١٤٢٨هـ).
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، للإمام مُحمَّد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، ط العلمية، بيروت.
- المنهج النبوي في التعليم القرآني، د. عبدالسلام المجيدي، ط. جمعية المحافظة على القرآن، الأردن، ط. الأولى (٢٠٠٥ هـ).

التقويم:

(١) (ورد الأمر بتدبر القرآن موجهًا للناس كافة) وضح دلالة ذلك.

(٢) دلل على مكانة العقل في الإسلام.

(٣) اذكر حديثا يوضح عناية السنة بالحث على تدبر القرآن.

(٤) اكتب مقالاً يبين عناية السنة والسلف الصالح بتدبر القرآن، موضحًا منهج السلف في ذلك.

* * *

الوحدة الثالثة

أسس التَّدَبُّر وضوابطه ووسائله

أهداف الوحدة:

يتوقع من الدارس بعد إنهائه هذه الوحدة أن:

(١) يبين أسس التَّدَبُّر وضوابطه.

(٢) يبين المنهج الصحيح لتدبر القرآن.

(٣) يميز بين التَّدَبُّر الصحيح والخاطئ.

(٤) يعدد وسائل التَّدَبُّر المختلفة، ويحدد العلاقة بينها.

(٥) يشرح وسائل التَّدَبُّر، ويدلل عليها.

مفردات الوحدة:

أسس التَّدَبُّر وضوابطه ووسائله:

الموضوع الأول: أسس التَّدَبُّر.

الموضوع الثاني: ضوابط التَّدَبُّر.

الموضوع الثالث: وسائل التَّدَبُّر.

عدد المحاضرات:

١٠ محاضرات.

تمهيد:

إن الله ﷻ أنزل كتابًا من السماء وهو القرآن الكريم، وأمرنا بتدبره والتعبد به وتطبيق أحكامه وشرائعه؛ ليكون لنا نبراسًا يضيء لنا الطريق، فبيّن لنا فضله وفضل تدبره وقراءته وعاقبة هجره، لكنَّ مسألة التَّدَبُّر والتأمل في القرآن وإرادة معرفة المعاني وما اشتمل عليه من الفوائد والحِكم والأحكام- مسألة لا بد لها من ضوابط من الشريعة الإسلامية، وإلا فإن الإنسان المسلم ينحرف بدونها.

وتدبُّر القرآن الكريم له وسائل ومعينات متنوعة ينبغي الاجتهاد في تحصيلها؛ لكي تتحقّق هذه العبادةُ الشريفة.

وهذه الوحدة فيها بيان أسس وضوابط الفهم الصحيح في التَّدَبُّر ووسائل ذلك، والوقاية من الفهم الخاطئ لآيات القرآن الكريم. نسأل الله أن يرزقنا تدبُّرَ كتابه العزيز، وفهمه والعمل به، وأن يجعله شافعًا لنا يوم القيامة، إنه قريب مجيب.

الموضوع الأول
أسس التَّدَبُّر

أولاً: تعظيم القرآن الكريم:

إنَّ الرعيل الأول من الأمة المحمدية؛ غُرِسَ في قلوبِهم تعظيمُ الله، وتعظيمُ أمره ونهيه؛ فسَهُلَ عليهم بعد ذلك تلقِّي الأحكامِ الشرعية؛ فاعتبروا مآلات الآيات وتدبروها حق التَّدَبُّر علمًا وعملاً.

وهذا المنهج قد اتخذهَ القرآنُ في تربيتِهِ الصحابةِ أوّل الإسلام؛ حيث كان أوّل نزولِ القرآنِ تَرْبِيةً على الإيمانِ؛ في السور المكية -وخاصّة المفصّل منها-؛ فكلُه في تَرسِيخِ الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخر، فأَوْرَثَ في نفوسِهم الإيمانَ الصحيحَ والتعظيمَ للقرآن، وهَيَّأَ نفوسَهم لِتَلَقِّي تَوجيهاتِه. ومن تعظيم القرآن العناية بالأمور التالية:

(١) استشعار عظمة الله:

استشعار عظمة الله، وأنه يكلمك بهذا القرآن، حتى كأنك تسمعه منه الآن.

وبهذا يتأكد دور تهيئة الأجواء الإيمانية قبل البدء في التلاوة، فهي من أقوى المعينات على التَّدَبُّر بعد الله عز وجل؛ أما الذي لا يعطي القرآن إلا فضول الأوقات، ولحظات الترقُّب والانتظار، فجدير ألاّ تخلص إلى قلبه كثير من معانيه، نسأل الله معافاته ومغفرته.

استحضار عظمة كلام الله -سبحانه-: وذلك باستشعار عظمته وقدرته وهيمنته، وعلّوه وكبريائه، وأسمائه وصفاته ... قبل التلاوة؛ ليدرك القلب عظمة الله تعالى، فإذا امتلأ القلب مهابةً وتعظيمًا لربه سبحانه؛ عظّم كلامه، وأقبل عليه مُصغيًا متأمّلاً متدبِّرًا.

(٢) تهيئة الجو المناسب للتدبُّر:

يُعد من أهم عوامل التَّدَبُّر؛ كوْن المكان والزمان والأعضاء والجوارح مهيأة؛ (فَلِكي يقوم القرآنُ بعمله

في التغيير؛ لا بد من تهيئة الظروف المناسبة لاستقباله؛ ومن ذلك وجودُ مكان هادئ، بعيد عن الضوضاء، يتمُّ فيه التلاوة، فالمكان الهادئ يعين على التركيز وحسن الفهم وسرعة التجاوب مع القراءة، ويسمح لنا كذلك بالتعبير عن مشاعرنا إذا ما اسْتُثِيرت بالبكاء والدعاء.

ومع وجود المكان الهادئ؛ علينا أن يكون لقاؤنا بالقرآن في وقت النشاط والتركيز، لا في وقت التعب والرغبة في النوم، ولا ننسَ الوضوء والسواك ...)[١].

والليل من أفضل الأوقات للتدبر؛ فهو موضع الثناء المتكرر في القرآن على قُرّاء القرآن؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴾ [سورة المزمل:٦]، وقال سبحانه: ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [سورة الزمر:٩].

ومع مزية الليل الشرعية؛ فإن هذه المزية لا تتحقق إلا لمن أخذ ما يكفيه من النوم؛ إذ لا يُتصور التعقل لمن كان يغالب عينيه النوم؛ ولهذا؛ فإن من أحسن الأوقات للقراءة والتَّدَبُّر وحفظ ما يرغبه الإنسان من العلم هو الوقت الذي يلي النوم الكافي، سواءً أفي الليل أم النهار، فإذا كان هذا في الليل، فقد اجتمع في حقه الفضلان[٢].

(٣) معرفة أن خطاب القرآن موجه إلى القلب:

لقد جاء تعظيم هذه الجارحة في شريعتنا كثيرًا؛ فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«ألا وإن في الجسد مضغة؛ إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهي القلب»**[٣].

---

(١) كيف ننتفع بالقرآن، د. مجدي الهلالي، بحث منشور بمنتديات (مكتوب) بشبكة المعلومات الدولية على الرابط التالي: (http://majdah.maktoob.com/vb/majdah١٢٥٨١).

(٢) ينظر: قواعد وضوابط التَّدَبُّر، د. عمر المقبل بتصرف: http://www.almoslim.net/node/139579

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (ص٥٢). ومسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (ح١٥٩٩).

فالقلوب أوعية، فإذا امتلأت من الحق؛ أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح، وإذا امتلأت من الباطل؛ أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح. وما يؤكد أن القلب هو المخاطب أمور منها:

أ- **أن القرآن نزل أولاً على القلب:**

يقول الله -تعالى-: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٤]، ويقول تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٩٧]؛ فأول جارحة تخاطب بهذا القرآن: هي القلب؛ فإن استجاب القلب؛ استجابت له بقية الجوارح، وإن أعرض؛ كانت كالرعية بلا راعٍ.

ولذا؛ هُيِّئ قلبُ النبي ﷺ لتلقي القرآن قبل نزوله عليه؛ فعن أنس بن مالك -رضي الله عنه-: أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل -عليه السلام- وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة؛ فقال: هذا حظ الشيطان منك[(١)].

وقد وصف الصحابة حال قلوبهم عند أول سماعهم القرآن؛ فهذا جبير بن مطعم -رضي الله عنه- يقول عند سماعه قوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الطور:٣٥-٣٦]: كاد قلبي أن يطير[(٢)].

ب- **كثرة تكرار لفظ القلب في القرآن:**

فقد أسند إليه في الآيات ما لم يسند إلى غيره من الجوارح؛ فلفظ (القلب، والصدر، والفؤاد) تكررت كثيرًا، فهناك ما يصل إلى أربعين وصفًا جاء في القرآن مسندًا إلى القلب، وهي أوصاف جليلة الأثر جدًا؛ منها: التقوى، الخشوع، الهداية، الرأفة، والرحمة، الألفة، الانشراح، السلامة، الإنابة، الطهارة، الإخبات، الختم، الرعب، العمى، الزيغ، القسوة، النفاق، التقلب.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان، باب الإسراء بالرسول ﷺ إلى السماوات وفرض الصلاة (ح٢٦١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب سورة الطور (ح٤٨٥٤).

ج- أن أعظم أثر للقرآن إنما هو في القلب:

فأعظم ما يحدثه الإقبال على القرآن هو حياة القلب وصلاحه، وأعظم داء يصاب به المعرض عن القرآن هو موت القلب وقسوته؛ ولذا؛ قصرت الذكرى على مَن كان له قلب أو اجتهد في إحضار قلبه مع القرآن؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[ق:٣٧].

وفي قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]؛ تنبيه على عظم أثر الإعراض عن القرآن، فإنّ القلب يحرم من أنوار الوحي بحسب إعراضه.

د- المقصود الأعظم من القرآن هو تدبر القلب له:

قال الإمام السيوطي -في الإتقان-: (وتسن القراءة بالتَّدَبُّر والفهم؛ فهو المقصود الأعظم، والمطلوب الأهم، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب)[(١)].

وقد أبان المولى -عز وجل- عن الحكمة من تنزيل هذا الكتاب؛ فقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩]، واللام في قوله ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ هي لام العلة؛ أي: لن يكون مباركًا مباركة تامة إلا بالتَّدَبُّر. ويقول تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]؛ أي: إمَّا التَّدَبُّر أو الأقفال على القلب!

ولذا؛ ذم النبي ﷺ مَن قرأ بعض الآيات ولم يتفكر فيها بقلبه؛ إذ قال: «**ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها**»[(٢)]، وقال عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه-: (قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكون هم أحدكم آخر السورة)[(٣)].

---

(١) ينظر: الإتقان للسيوطي (٢/٢٣٩).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب التوبة، باب ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات (ح٦٢٠). وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٣) هذا من كلام ابن مسعود -رضي الله عنه-، ذكره صاحب أخلاق حملة القرآن (٤/١) (ح٢)، وإسناده صحيح. وآخره ذَكَرَه البيهقي في الشعب (٣/٤٠٧) (ح١٨٨٤) مختصرًا.



الأساس الأول من أسس التَّدَبُّر هو: (تعظيم القرآن الكريم).

في الجدول التالي: اِختصِر هذا الأساس في توجيهات محددة للقارئ المتدبر بناءً على ما جرى استعراضه سابقًا، وبناءً على بحثك الشخصي، مع ذكر الدليل:

التوجيه	الدليل
(١)	....
(٢)	....
(٣)	....
(٤)	....
(٥)	....
(٦)	....
(٧)	....
(٨)	....

ثانيًا: حسن القصد وإرادة الانتفاع:

قصد الانتفاع والامتثال: ويكون قصد الانتفاع والامتثال من خلال الآتي:

(١) الإخلاص لله والحذر من الهوى وأثر ذلك في الانتفاع بالتَّدَبُّر:

فالقلوب أوعية، فإذا امتلأت من الحق؛ أظهرت زيادة أنوارها على الجوارح، وإذا امتلأت من الباطل؛ أظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح.

وفي ذلك يقول ابن تيمية: (مَن تدبر القرآن طالبًا الهدى فيه؛ تبين له طريق الحق)[١].

وقد ضرب الله لذلك مثلاً بيِّنًا؛ فقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ٣٥﴾ [النور: ٣٥]

قال أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه: (مَثَل المؤمن: قد جُعِل الإيمان والقرآن في صدره كمشكاة؛ المشكاة: صدره، والمصباح: القرآن والإيمان الذي جُعِل في صدره، والمصباح في زجاجة، والزجاجة قلبه. قال: فَمَثَله مما استنار فيه القرآن والإيمان كأنه كوكب درّيّ: مضيء، والشجرة المباركة: أصله المبارك؛ الإخلاص لله وحده، وعبادته لا شريك له،)[٢]؛ ففطرته سليمة لم يحرّفها الشيطان، فلما لاقت الوحي والقرآن؛ صارت نورًا على نور.

قال السعدي: (ووجه هذا المَثَل الذي ضربه الله وتطبيقه على حالة المؤمن ونور الله في قلبه: أن فطرته التي فُطر عليها بمنزلة الزيت الصافي، ففطرته صافية مستعدة للتعاليم الإلهية والعمل المشروع فإذا وصل إليه العلم والإيمان اشتعل ذلك النور في قلبه بمنزله اشتعال النار في فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب من سوء القصد وسوء الفهم عن الله، إذا وصل إليه الإيمان أضاء إضاءة عظيمة لصفائه من

(١) مجموع الفتاوى (١٣٧/٣).

(٢) أخرجه الطبري (١٨١/١٩).

الكدورات، وذلك منزلة صفاء الزجاجة الدرية فيجتمع له نور الفطرة، ونور الإيمان، ونور العلم، وصفاء المعرفة؛ نور على نور، ولما كان هذا نور الله -تعالى-، وليس كل أحد يصلح له ذلك؛ قال تعالى: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور:٣٥]؛ ممن يعلم زكاءه وطهارته وأنه يزكي معه وينمو)[١].

وقد وصف الله -تعالى- قومًا من شأنهم أنهم إذا تُليت عليهم آيات القرآن زادتهم إيمانًا، وأثّرت في قلوبهم، وأثمرت الخير العميم فيهم، ولا شك أن ذلك كله لا يكون لقوم يقرأون وهم غافلون أو لاهون؛ فقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال:٢]؛ ووجه ذلك: أنهم يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره؛ فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لأن التَّدَبُّر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبةً في الخير، واشتياقًا إلى كرامة ربهم، أو وجلاً من العقوبات، وازدجارًا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان.

ولْنعلم أن قوة الدين وكمال الإيمان واليقين لا يحصلان إلا بكثرة قراءة القرآن واستماعه، مع التَّدَبُّر بنية الاهتداء به، والعمل بأمره ونهيه، فالإيمان الإذعاني الصحيح يزداد ويقوى وتترتب عليه آثاره من الأعمال الصالحة، وترك المعاصي والفساد بقدر تدبر القرآن، وينقص ويضعف على هذه النسبة من تَرْك تدبره، وما آمن أكثر العرب إلا بسماعه وفهمه، ولا فتحوا الأقطار، ومصروا الأمصار، واتسع عمرانهم، وعظم سلطانهم، إلا بتأثير هدايته[٢].

ولما علم المشركون هذا الأثر البالغ للقرآن؛ كانوا يسعون جاهدين في الحيلولة بين النبي ﷺ وقراءته القرآن على غيره؛ حتى لا يتأثر؛ فيعتنق الدين، وهذا ما يحذرونه.

ومن أساسيات الإخلاص: **تنقية العمل من حظوظ النّفس وشوائب الرياء**، وهي من أعظم الأمور، بل أوّلها، وأهلها هم أقرب النّاس إلى الله عزّ وجل؛ فتصبح النّفس والرّوح والقلب في أعلى مراتب الإيمان

(١) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص٥١٧).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص٣١٥). وتفسير المنار للشيخ/ محمد رشيد رضا (٤٦٣/٩).

وأطهرها.

وإنَّ اتباع الهوى؛ يعمي ويصم عن فهم القرآن؛ فمن الناس من يكون اتباعهم للهوى في فهمهم القرآن؛ ناتجًا عن التهجم على كتاب الله والجرأة عليه بغير علم، كل واحد يظن نفسه أنه سيفتي في القرآن حسب رؤيته ونظرته هو، فيدخل ويفسر مشرقًا ومغربًا؛ فتجده يقع في التخبط الشديد والضلال البعيد، ومنهم من يحمله الهوى على محاولة تبرير أخطائه لتشهد الآيات عليها، وفي ذلك يقول ابن تيميّة -رحمه الله-: صاحب الهوى يعميه الهوى ويصمّه؛ فلا يستحضر ما لله ورسوله في الأمر ولا يطلبه أصلاً، فليس قصده أن يكون الدّين كلّه لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا، بل قصده الحميّة لنفسه وطائفته أو الرّياء[1].

ويبين الشّاطبيُّ رحمه الله أن اتباع الهوى سبب للفهم الخاطئ الذي وقع فيه أهل البدع؛ فقال -وهو يذكر علامات أهل البدع-: الفرقة الّتي نبّه عليها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ﴾ [الأنعام:١٥٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾[آل عمران:١٠٥]؛ أي: أنّهم صاروا فرقًا لاتّباع أهوائهم، وبمفارقة الدّين تشتّتت أهواؤهم فافترقوا، ثمّ برّأ الله نبيّه منهم بقوله: ﴿لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ ﴾ [الأنعام:١٥٩]، ثمّ ذكر أنّ اتّباع الهوى طريق إلى الضلال والحياد عن طريق الحق، مؤكدًا ذلك بقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ ﴾ [آل عمران:٧]، وهو الميل عن الحقّ اتّباعًا للهوى، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص:٥٠]، وقوله: ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ ﴾ [الجاثية:٢٣][2].

(٢) التواضع واللين لتدبر القرآن وفهم معانيه وأخذها ودراستها:

ويؤخذ هذا المعنى عندما ذكر الله اليهود والنصارى بقوله: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٥/٢٥٥-٢٥٦).

(٢) ينظر: الموافقات للشاطبي (٤/١٠٤-١٠٧) بتصرف.

ﭐلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة:٨٢-٨٣].

فقد وصف النصارى بأن منهم قسيسين ورهبانًا، وأنهم لا يستكبرون عن قبول الحق، وإذا سمعوا القرآن فاضت أعينهم بالدمع، قال ابن كثير: تضمن وصفهم بأن فيهم العلم والعبادة والتواضع، ثم وصفهم بالانقياد للحق واتباعه والإنصاف[١].

وقال السعدي: ليس فيهم تكبّر ولاعتوٌّ عن الانقياد للحق؛ وذلك موجب قربهم من المسلمين ومن محبتهم، فإن المتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر[٢].

فالتواضع والإقرار بالحق عند ظهوره من الأشياء المعينة على تدبر القرآن؛ ولذلك؛ ينبغي للمؤمن أن يكون متواضعًا، يرجع إلى الحق إذا ظهر له، وإذا ذكر بالقرآن تذكر، وقد أمر الله نبيه ﷺ بقوله: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ [ق:٤٥]؛ لأن بعض الناس تأخذه العزة بالإثم إذا ذُكِّرَ بالقرآن؛ فيحول ذلك بينه وبين فهمه؛ قال تعالى: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الأعراف:١٤٦]، وهذا مشاهد بأن المتكبر يحرم من بركة القرآن الكريم.

(٣) المجاهدة والترقّي:

لا شك أن المتدبر سيجد أن القرآن فيه معانٍ كثيرة ينبغي أن يقف عليها المكلَّف، وبمزيد من التَّدَبُّر تظهر له، فيظفر بها، وإن ضعف التَّدَبُّر تفوت عليه، فلا بدّ له حينئذٍ من المجاهدة وتحمّل المشاق؛ لأمرين:

أولهما: أن القرآن ليس كتابًا من الكتب البشرية التي يحيط أي إنسان بها، ويتعرّف على أغراض

(١) تفسير القرآن العظيم (١٦٨/٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٢٤١).

مؤلِّفيها بمجرد تصفُّحها، بل إنه يحتاج إلى العلم بمقاصد الله ﷻ في كتابه، وهي غزيرة جمّة.

ثانيهما: أن معظم القرآن عمليّ فيحتاج إلى تصديقٍ وعملٍ؛ ومن ثَمَّ فلا يمكن فهمه بطريقة نظرية فحسب، بل لا بد للفرد من تجارب يعيشها، وعمل يحققه في واقع الحياة، وهذه إحدى ميزات الصحابة -رضوان الله عليهم-.

وعلى هذا؛ ينبغي للمتدبر أن يتصبّر لما قد يتعثّره، فيبدأ بتدبر آية، يحاول أن يقف معها، ويتفهّم دلالتها، وينظر أين هو منها، ثم بعد الآية آيات، ثم سورة وسُور ...، وهكذا حتى يرقى إلى درجة عظيمة بالممارسة، وحسبه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

ونختم بجملة من الآداب القلبية التي ينبغي للمتدبر امتثالها؛ ذكرها صاحب (البرهان) بقوله:

(أصل الوقوف على معاني القرآن: التَّدَبُّر والتفكُّر، وإذا كان العبد مُصغيًا إلى كلام ربه، ملْقِيَ السمع وهو شهيد القلب لمعاني صفات مخاطِبِه، ناظرًا إلى قدرته، تاركًا للمعهود من علمه ومعقوله، متبرئًا من حوله وقوته، معظِّمًا للمتكلِّم، مفتقرًا إلى التفُّهم بحال مستقيم، وقلب سليم وقوة علم وتمكُّن سَمْعٍ لفهم الخطاب، بدعاء وتضرع وابتئاس وتمسْكُنّ، وانتظار الفتح عليه من عند الفتاح العليم، وليستَعِن على ذلك بأن تكون تلاوته على معاني الكلام، وشهادة وصف المتكلم من الوعد بالتشويق، والوعيد بالتخويف والإنذار بالتّشديد؛ فهذا القارئ أحسن الناس صوتًا بالقرآن؛ وفي مثل هذا قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[البقرة:١٢١]؛ وهذا هو الراسخ في العلم -جعلنا الله من هذا الصنف-)[١]، وجميع المسلمين، اللهم آمين!

نشاط

الأساس الثاني من أسس التَّدَبُّر هو: (حسن القصد وإرادة النفع).

في الجدول التالي: اِختصِر هذا الأساس في توجيهات محددة للقارئ المتدبر بناءً على

(١) البرهان (١٨١/٢-١٨٠) بتصرف.

ما تم استعراضه سابقًا، وبناءً على بحثك الشخصي، مع ذكر الدليل:

التوجيه	الدليل
(١)	....
(٢)	....
(٣)	....
(٤)	....
(٥)	....
(٦)	....
(٧)	....
(٨)	....

ثالثًا: تهيئة القلب وحضوره، وتخليته عن الصوارف:

وهذا يتضمن أمرين متلازمين:

الأول: تهيئة القلب.

الثاني: إبعاده عن الصوارف.

(١) تهيئة القلب:

إنَّ إعداد القلب وتهيئته للتدبر مهم جدًّا، ويكون بِعدّة أمور:

أ- **وجود الدافع الذاتي نحو التَّدَبُّر:**

وهذا الأمر من الأهمية بمكان؛ إذ لا بد من الدوافع الداخلية الذاتية التي تدفع القارئ نحو التَّدَبُّر وتحثّه عليه، ولن يكون ذلك إلا بإدراكه قيمة التَّدَبُّر وأهميته وعظيم فوائده في الدنيا والآخرة.

ب- **الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم قبل القراءة:**

فالشيطان يسعى جاهدًا لصدِّ القارئ عن تلاوة كلام الله وتدبّره، وأن يحول بينه وبين الانتفاع بالقرآن؛ فيستعيذ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل:٩٨]؛ أي: إذا أردت أن تقرأه؛ فاستعِدّ وتهيأْ وتطهرْ وتوضأْ؛ فإن الشيطان من النار، وإنما يطفئ الماء النار.

ج- **الدعاء:**

دعاء الله بالتوفيق إلى التَّدَبُّر مع الإلحاح فيه؛ حيث إن كثيرًا من الناس لا يدعون ربهم بمثل هذا الأمر؛ إما لعدم التفاته إليه، وإما لعدم اهتمامه به أصلاً، وإن دعا فإنه لا يلحّ؛ لأن (بعض الناس لا يعرف الإلحاح إلا في مطالبه الدنيوية المادية، أما الأمور الدينية فتجد سؤاله لها باردًا باهتًا)[١].

د- **محبة القرآن، والانشغال به:**

فمن المعلوم أن من أحب شيئًا تعلّق به، واشتغل به عما سواه، والقلب إذا أحب القرآن تلذذ بقراءته، لكن لا بد لهذا الحب من علامات؛ أهمها: الفرح بلقاء القرآن، والجلوس معه أوقاتًا طويلة دون ملل، والشوق إليه مهما طال العهد وحالت الموانع، وكثرة مشاورته في كل الأمور، مع الثقة التامّة بتوجيهاته، وطاعته أمرًا ونهيًا[٢].

---

(١) مفاتح تدبر القرآن، د. خالد عبدالكريم اللاحم (ص٣١) بتصرف.

(٢) المصدر السابق (ص٢٧) بتصرف.

هـ- **الوقوف على شيء من أحوال النبي ﷺ والسلف في تعاملهم مع القرآن:** وهي كثيرة مشهورة موفورة[1]، ولا بدّ للمتدبر من الوقوف على جملة من ذلك؛ ليقف على المنهج الأصيل لقراءة القرآن وتدبره، ويعرف حال من نزل عليه القرآن، وحال المعاصرين له، فإن ذلك أدعى للامتثال، وأحرى بالاقتداء.

و- **اليقين التام أن المسلم حيّ بتدبّر القرآن:**

فالمسلم سعيد بالعيش معه، وهذا من الدوافع الأكيدة نحو التَّدَبُّر لمن يريد لقلبه أن يحيا حياة حقيقية بالقرآن، وإلا كان في المعيشة الضنك التي حذّر الله منها في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه:١٢٤-١٢٣] نعوذ بالله من ذلك.

ز- **معرفة أن خطاب القرآن في الأصل موجه إلى القلب**[2]:

إذ إنَّ استشعار القلب لذلك يُصلِح أمره، ويقوّم اعوجاجه، بخلاف ما لو قرأ القارئ واعتبر أن ما يقرأه إنما هو لأقوام آخرين سابقين أو لاحقين، أما هو فيحسن الظن بنفسه، ويدّعي أنه على خير ...، وهذا مدخل عظيم للشيطان على بني الإنسان.

ومما يدل على مخاطبة القلب بالقرآن؛ قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٤]؛ حيث لم يقل هنا: على سمعك أو بصرك أو ...؛ بل قال: على (قلبك)؛ للدلالة على المقصود، وأن القلب سيد الجوارح، وبصلاحه صلاحها، وبفساده فسادها، نعوذ بالله من الخذلان!

(٢) اجتناب الصوارف:

---

(١) وراجع ما سبق من نصوص وأخبار وقصص في هذا الكتاب. ويراجع -تمثيلاً لا حصرًا-: مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر لأبي عبدالله مُحَمَّد بن نصر المَرْوَزِيّ (ص١٤٢).

(٢) المصدر السابق (ص٣٠).

ومن اجتناب الصوارف:

أ- **تفريغ القلب من الانشغال بغير الله:**

يجب تفريغ القلب من الانشغال بغير الله، والتفكر في غير كتابه؛ فاقرأ القرآن وقلبك فارغ من كل شيء إلا من الله، ومحبته، والرغبة في فهم كلامه؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق:٣٧].

ب- **فراغ القلب من الشواغل الحائلة دون التَّدَبُّر:**

إذا كان الإنسان يحتاج لتفرغ القلب من الشواغل في مقام القضاء ومقام تأمل نصوص العلماء؛ فإنه في كتاب الله أوضح وأجلى؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧]؛ (ففي هذه الآية بيان لأهمية مخاطبة القلوب؛ كي تؤوب إلى خالقها. فعلى الدعاة ألاّ يغفلوا هذا الجانب؛ حتى لا تقسو القلوب، وتطغى الجوانب المادية)[١].

يدل على ذلك استخدام ﴿أَوْ﴾؛ (لأن إلقاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب؛ كما يلُوح به قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾؛ أي: حاضر بفطنته؛ لأن مَن لا يحضر ذهنه فكأنه غائب)[٢].

فلا ينتفع بالمواعظ إلا من كان ذا قلبٍ حي، وألقى سمعه، وأحضر حواسه حال ورود المواعظ عليه.

(والناس ثلاثة: رجل قلبه ميت؛ فذاك لا ينتفع بالقرآن. ورجل قلبه حي مستعد، لكنه غير مستمعٍ للآيات إما لعدم ورودها، وإما لعدم فراغ قلبه عند السماع؛ فهذا أيضًا لا ينتفع. ورجل حي القلب مستعد، تُليت عليه الآيات، فألقى السمع وأحضر القلب؛ فهذا هو الذي ينتفع بالآيات المتلوّة والمشاهدة)[٣].

---

(١) ينظر التفسير الموضوعي (ص٤٢٦).

(٢) تفسير أبو السعود (١٣٤/٨).

(٣) ينظر: بدائع التفسير (١٧/٣-١٨).

ج- **البعد عن الذنوب والمعاصي:**

ينبغي البعد عن الذنوب والمعاصي؛ لأن لها ظلمة في القلب تحجبه عن الاستنارة بنور الذكر.

د- **الابتعاد عن مجالس اللغو:**

وهو أدعى لتدبر القرآن؛ ولهذا لما أدرك المشركون خطورة القرآن وأثره على الناس؛ قالوا كما أخبر عنهم العليم الخبير: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾[فصلت:٢٦]، قال ابن كثير: قال مجاهد: ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾؛ يعني: بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ، إذا قرأ القرآن قريش تفعله. وقال الضحاك -عن ابن عباس-: ﴿وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ﴾؛ أي: عيبوه. وقال قتادة: اجحدوا به، وأنكِروه وعادوه، ﴿لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾؛ هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار، ومَن سلك مسلكهم عند سماع القرآن[١].

وقال السعدي: (أي: أعرِضوا عنه بأسماعكم، وإياكم أن تلتفتوا، أو تصغوا إليه ولا إلى مَن جاء به؛ فإن اتفق أنكم سمعتموه، أو سمعتم الدعوة إلى أحكامه؛ فالْغَوْا فيه؛ أي: تكلموا بالكلام الذي لا فائدة فيه، بل فيه المضرة، ولا تمكنوا مع قدرتكم أحدًا يملك عليكم الكلام به، وتلاوة ألفاظه ومعانيه، هذا لسان حالهم، ولسان مقالهم، في الإعراض عن هذا القرآن، ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ إن فعلتم ذلك ﴿تَغۡلِبُونَ﴾[٢].

هـ- **ترك الفضول من النظر والكلام والسمع والمخالطة:**

فإن هذه الفضول تستحيل آلامًا وغمومًا وهمومًا في القلب، تحصره وتحبسه وتضيقه ويتعذب بها، بل غالب عذاب الدنيا والآخرة منها، فلا إله إلا الله! ما أضيق صدر من ضرب في كل آفة من هذه الآفات بسهم! وما أنكد عيشه! وما أسوأ حاله! وما أشد حصر قلبه! ولا إله إلا الله! ما أنعم عيش من ضرب في كل خصلة من تلك الخصال المحمودة بسهم، وكانت همته دائرة عليها حائمة حولها! فلهذا نصيب وافر

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١٧٤/٧).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص٧٤٨).

من قوله تعالى: ﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ [الانفطار:١٣]، ولذلك نصيب وافر من قوله تعالى: ﴿وإن الفجار لفي جحيم﴾ [الانفطار: ١٤]، وبينهما مراتب متفاوتة، لا يحصيها إلا الله -تبارك وتعالى-.

والمقصود أن تدبر كتاب الله يحصل به انشراح الصدر، واتساع القلب، وقرة العين، وحياة الروح؛ فهو أجمل الكلام وأصدقه، وهو الحياة وقرة العين، مع ما خُص به من الشرح الحسي، وأفضل الخلق متابعةً له؛ أكملهم انشراحًا ولذةً وقرةَ عين به، وعلى حسب نصيبه منه؛ ينال العبد من انشراح صدره، وقرة عينه، ولذة روحه ما ينال، والله المستعان.



الأساس الثالث من أسس التَّدَبُّر هو: (تهيئة القلب وحضوره، والتخلي عن الصوارف).

في الجدول التالي: اِختصِر هذا الأساس في توجيهات محددة للقارئ المتدبر بناءً على ما تم استعراضه سابقًا، وبناءً على بحثك الشخصي، مع ذكر الدليل:

التوجيه	الدليل
(١)	....
(٢)	....
(٣)	....
(٤)	....
(٥)	....
(٦)	....
(٧)	....
(٨)	....

رابعًا: حسن التلاوة والإنصات:

وذلك يتضمن أمرين:

الأول: حسن التلاوة.

والثاني: حسن الإنصات.

(١) حسن التلاوة: وذلك بأمور أهمها:

أ- **ترتيل القرآن**[١]:

يستحب ترتيل القرآن؛ لما فيه من تعظيم له؛ والترتيل معناه: التنسيق والتنضيد؛ ويعني: إرسال الكلمة من الفهم بسهولة واستقامة؛ بحيث تكون على نسق واحد؛ بما يعين على فهم المعنى[٢].

وقد حثّ الله على ترتيله؛ فقال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل:٤]؛ قال ابن كثير: (أي: اقرأه على تمهل؛ فإنه يكون عونًا على فهم القرآن وتدبره)[٣].

قال الجصاص: (فرقناه بالبيان عن الحق من الباطل، وقوله: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾؛ يعني: على تثبت وتوقف؛ ليفهموه بالتأمل، ويعلموا ما فيه بالتفكر، ويتفقهوا باستخراج ما تضمن من الحكم والعلوم الشريفة)[٤].

والتمهل في قراءة القرآن أدعى للفهم والتَّدَبُّر، وهذه صفة قراءة النبي ﷺ والصحابة -رضوان الله عليهم-؛ فقد وصف حذيفة رضي الله عنه قراءة النبي في صلاة الليل فقال: (يقرأ مترسِّلاً؛ إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوّذ تعوَّذ)[٥].

---

(١) سبق الحديث عن هذا الموضوع في؛ رابعًا: اهتمامهم بترتيل القرآن. فلْيراجَع.

(٢) تاج العروس (٣٢/٢٩) نُقل بتصرف.

(٣) تفسير القرآن العظيم (٨/٢٥٠).

(٤) أحكام القرآن (٥/٣٥).

(٥) سبق تخريجه.

وعن أم سلمة ﵂ أنها سُئلت عن قراءة رسول الله ﷺ؛ فقالت: كان يقطع قراءته آيةً آيةً: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:١-٤][1].

وفي لفظ: ثم نعَتتْ قراءته؛ فإذا هي تنعتُ قراءةً مُفسَّرةً حرفًا حرفًا[2].

وعن حفصة -﵂- أنها قالت: وكان يقرأ بالسورة؛ فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها[3]. فإذا كان هذا الترتيل والتوقف مع كل آية من جانب الرسول ﷺ، والصحابة -رضوان الله عليهم-؛ فحري بالأمة اليوم أن تقتدي بهم.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص ﵄؛ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»**[4]؛ وهذا يدل على أن الثلاث هي الحد الأدنى، وأنه لا ينقص عنها، وأنه من نقص عنها؛ فإنه لا يفقه القرآن ولا يتدبره؛ لأن ذلك لا يتأتى بسرعة شديدة.

ب- ترديد الآية المؤثرة في القلب[5]:

وهو من أهم الوسائل المعينة على سرعة الانتفاع بالقرآن، وتدبره؛ فبالتكرار يتذوق المتدبر حلاوة القرآن، ويزول عن القلب الغفلة بإذن الله، وهو فعل الرسول ﷺ والصحابة ﵃.

فعن أبي ذر﵁؛ قال: **قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يرددها، والآية:** ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦/٣٠٢) (ح٢٦٥٢٢). وأبو داود في السنن (ح٤٠٠١). والحاكم في المستدرك (٢/٢٥٢) (ح٢٩١٠)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وله شاهد بإسناد صحيح عن أبي هريرة. وله شاهد في البخاري من حديث أنس -﵁- (ح٤٧٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع (٥/١٨٢) (ح٢٩٢٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا وفعل بعض الركعة قائمًا (ح٧٣٣).

(٤) سنن ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يختم القرآن (ح١٣٤٧). والترمذي في الجامع في كتاب القراءات، باب في كم يختم القرآن (ح٢٩٤٧)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) سبق الحديث عن هذا الموضوع في؛ سادسًا: ترديد الآيات التي تؤثّر في القلب. فلْيراجَع.

﴿لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨][(١)].

وعن مُحَمَّد بن كعب القرظي؛ قال: لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ﴿إذا زُلزلت﴾، و﴿القارعة﴾، لا أزيد عليهما، وأتردد فيهما، وأتفكر؛ أحب إلي من أن أهذ القرآن ليلتي هذًّا، أو قال: أنثره نثرًا[(٢)].

وعن أبي جمرة؛ قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة إني أهذُ القرآن؛ فقال ابن عباس: لأن أقرأ سورة البقرة فأرتلها؛ أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة[(٣)][(٤)].

وعن عباد بن حمزة بن عبدالله بن الزبير؛ قال: دخلت على أسماء وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور:٢٧]؛ قال: فوقفت عليها، فجعلت تستعيذ وتدعو، قال عبّاد: فذهبت إلى السوق فقضيت حاجتي، ثم رجعت وهي فيها بعد: تستعيذ وتدعو[(٥)].

فترديد الآية المؤثرة في القلب؛ مما يعين على تدبر القرآن والتفكر في معانيه، وهذا الترديد من أبرز صور الوقوف على المعاني، وإن لنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

وقال ابن القيم رحمه الله: وهذه كانت عادة السلف؛ يردد أحدهم الآية إلى الصباح[(٦)].

ومقصود التَّدَبُّر الأعظم: خشوع القلب وذلّته وسكونه لله -تعالى-، (وطريق تحصيله أن يحضر قلبه

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٥٦/٥). والنسائي في الكبرى (٣٣٩/٦) (ح١١١٦١). والحاكم في المستدرك (٣٦٧/١) (ح٨٧٩). وابن ماجه في السنن (٤٢٩/١) (ح١٣٥٠). وقال النووي: رواه النسائي وابن ماجه بإسناد حسن، خلاصة الأحكام (٥٩٥/١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٦/٢) (ح٨٧٣٢)، وإسناده ضعيف؛ لضعف عبيدالله بن عبدالرحمن، تقريب التهذيب (ص٣٧٣).

(٣) هذرمة: أي بسرعة، النهاية في غريب الحديث والأثر (٥٨٢/٥).

(٤) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (ح٤١٨٧). والبيهقي في السنن (٥٤/٢) (ح٢٢٥٨). ورجاله ثقات.

(٥) أخرجه بن أبي شيبة (٢٥/٢) (ح٦٠٣٧). وإسناده حسن؛ فيه عبدالوهاب بن يحي بن عباد، قال ابن حجر: مقبول، تقريب التهذيب (ص٣٦٨).

(٦) التبيان في آداب حلمة القرآن (ص٨٨).

الحزن بأن يتأمّل ما فيه من التهديد، والوعيد الشديد، والمواثيق، والعهود، ثم يتأمل تقصيره في ذلك، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر الخواص؛ فليبك على فقد ذلك؛ فإنه من أعظم المصائب)[(١)].

ج- تحسين القرآن بالصوت من غير تكلّف:

ينبغي للقارئ المتدبر أن: (يُعطيَ القراءة حقَّها؛ من ترتيلها، وتحسينها، وتطييبها بالصوت الحسن -ما أمكن-، من غير تلحين ولا تطريب مؤدٍّ إلى تغيير لفظ القرآن بزيادة أو نقصان؛ فإن ذلك حرام)[(٢)].

وفائدة تحسين الصوت بالقرآن: أنه أوقع في النفوس، وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه؛ فبه تَنْفُذ ألفاظ القرآن إلى الأسماع، ومعانيه إلى القلوب؛ وذلك عون على المقصود[(٣)].

فقد أمر الله -تعالى- بترتيل القرآن الباعث على تدبره وفهمه في قوله: ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل:٤]؛ فالترتيل يعني: الترسل والتمهل، وهو يشمل مراعاة المقاطع، والمبادئ، وتمام المعنى؛ بحيث يكون القارئ متفكرًا فيما يقرأ.

والترتيل عند قراءة القرآن من أفضل الوسائل المعينة على التَّدَبُّر والتأمل؛ ولهذا؛ يجد الإنسان من نفسه حُب سماع القرآن حين يقرأ به القارئ الماهر ذو الصوت الحسن، وقد وقف النبي ﷺ مرة يستمع لقراءة أبي موسى رضي الله عنه؛ وقال: «**لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود**»[(٤)]، قال أبو موسى: لو كنت أعلمتني لحبَّرتُ ذلك تحبيرًا[(٥)].

---

(١) الإحياء (١/٢٧٧) بتصرف. والتبيان في آداب حملة القرآن لأبي زكريا بن شرف النووي (٦٧٦هـ) (ص٨٨). وتدبر القرآن للسنيدي (ص٦٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٠/٣٣٩) بتصرف.

(٣) تدبر القرآن للشيخ/ سلمان السنيدي (ص١١٨) بتصرف.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن (ح٥٠٤٨). ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (ح٧٩٣) واللفظ له.

(٥) هذه الزيادة أخرجها البيهقي، والنسائي في الكبرى (٥/٢٣) (ح٨٠٥٨). وذكرها الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٧/١٧١)، وقال: وفيه خالد بن نافع الأشعري؛ وهو ضعيف.

فالصوت الحسن؛ له أثرٌ كبيرٌ في تدبر كلام الله -تعالى-، وقد حثَّ النبي ﷺ على تزيين الصوت عند قراءة القرآن؛ فقال ﷺ: «**زيّنوا القرآن بأصواتكم**»[١]، وقال ﷺ: «**ليس منا مَن لم يتغنّ بالقرآن**»[٢].

قال النووي: أجمع العلماء ﷺ من السلف والخلف من الصحابة والتابعين، ومَنْ بعدهم من علماء الأمصار أئمةِ المسلمين على: استحباب تحسين الصوت بالقرآن؛ وأقوالهم وأفعالهم مشهورةٌ نهاية الشهرة، فنحن مستغنون عن نقل شيء من أفرادها، ودلائل هذا من حديث رسول الله ﷺ؛ مستفيضةٌ عند الخاصة والعامة[٣].

وقال ابن كثير: قد فُهم من هذا؛ أن السلف ﷺ إنما فهموا من التغني بالقرآن: إنما هو تحسين الصوت به، وتحزينه، كما قاله الأئمة -رحمهم الله-، والمراد من تحسين الصوت بالقرآن: تطريبه وتحزينه والتخشع به[٤].

ولذا؛ ينبغي لمن رزقه الله حُسن الصوت بالقرآن أن يعلم أن الله ﷻ قد خصّه بخير عظيم، فليجعل مراده -حين يقرأ للناس- أن ينتبه أهل الغفلة من غفلتهم، فيرغبوا فيما أمرهم الله ﷻ، وينتهوا عما نهاهم؛ وبهذا ينتفع بحسن صوته وينتفع الناس به.

(٢) حسن الإنصات عند تلاوة القرآن:

والإنصات هو: (السكوتُ لاستماع الحَدِيث)[٥]، وقيل: (السكوت مع الإصغاء)[٦].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٨٣/٤) (ح١٨٥١٧). والدارمي (٥٦٥/٢) (ح٣٥٠٠). وأبو داود (ح١٤٦٨). وابن ماجه (ح١٣٤٢). وابن خزيمة في صحيحه (٢٤/٣) (ح١٥٥١). وابن حبان في صحيحه (٥٢/٣) (ح٧٤٩). والحاكم في المستدرك (٧٦٢/١) (ح٢١٠١). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٣٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به ...﴾ (ح٧٥٢٧).

(٣) التبيان في آداب حملة القرآن (ص١٠٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٦٢/١-٦٣) مختصرًا.

(٥) قاله الليث كما في تهذيب اللغة للأزهري (١٠٩/١٢).

(٦) قاله العيني في عمدة القارئ (٢٩٩/٢٢).

والأمر بالإنصات في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف:٢٠٤]، فقوله: ﴿وَأَنصِتُوا۟﴾؛ أي: إليه لتعقلوه وتتدبروه، ولا تلغوا فيه فلا تعقلوه؛ ليرحمكم ربكم باتعاظكم بمواعظه، واعتباركم بعبره، واستعمالكم ما بيّنه لكم ربكم من فرائضه في آيِهِ.

وفي قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾؛ دلالة على الطريقة الموصلة لنيل الرحمة بالقرآن، والحصانة من نزغ الشيطان، وهي الاستماع له إذا قرئ، والإنصات مدة القراءة، فمن استمع وأنصت كان جديرًا بأن يفهم ويتدبر، وهو الذي يُرجى أن يُرحم.

ولأجل ذلك؛ حثَّ الله -تعالى- على إعمال السمع؛ فقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤]؛ قال الطبري: (أصغوا له سمعكم؛ لتتفهموا آياته، وتعتبروا بمواعظه، وأنصتوا إليه؛ لتعقلوه وتتدبروه، ولا تلغوا فيه؛ فلا تعقلوه)(١).

ولقد أثنى الله على الجن عند استماعهم للقرآن، وتأدبهم في مجلس الاستماع؛ فقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ [الجن:١-٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف:٢٩]؛ فقد استمعوا صامتين منتبهين حتى النهاية، فلما انتهت التلاوة؛ لم يلبثوا أن سارعوا إلى قومهم، وقد حملت نفوسهم ومشاعرهم منه ما لا تطيق السكوت عليه، أو التلكؤ في إبلاغه والإنذار به.

قال الآجري: وقد أخبرنا الله عن الجن في حُسن استماعهم للقرآن واستجابتهم لما ندبهم إليه، ثم رجعوا إلى قومهم؛ فوعظوهم بما سمعوا من القرآن بأحسن ما يكون من الموعظة(٢).

ولقد أحب النبي ﷺ أن يستمع للقرآن من غيره؛ فعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: قال لي النبي

---

(١) جامع البيان (١٣/٣٤٤-٣٤٥).

(٢) أخلاق حملة القرآن (١/٢).

ﷺ: «اقرأ عليَّ»، قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟! قال: «فإني أحب أن أسمعه من غيري»، فقرأتُ عليه سورة النساء حتى بلغتُ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، قال: «أمسك»؛ فإذا عيناه تذرفان[١].

فتأثر النبي ﷺ بذلك، وما يكون عليه الحال يوم القيامة من هول المطلع، وشدة الأمر؛ إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أممهم، ويؤتى به ﷺ يوم القيامة شهيدًا عليهم جميعًا.

ولقد تأثر بعض الأسرى عند سماعهم للقرآن فأسلموا؛ فعن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه، وكان في أسارى بدر، قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴾ [الطور: ٣٤-٣٦]؛ كاد قلبي أن يطير[٢].

قال الخطابي: كأنه انزعج عند سماع هذه الآية؛ لفهمه معناها ومعرفته بما تضمنته، ففهم الحجة؛ فاستدركها بلطيف طبعه[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا} (ح٤٥٨٣). ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتَّدَبُّر (ح٨٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير (سورة الطور) (ح٤٨٥٤).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٨/٦٠٣).



الأساس الرابع من أسس التَّدَبُّر هو: (حسن التلاوة والإنصات).

في الجدول التالي: اِختصِر هذا الأساس في توجيهات محددة للقارئ المتدبر بناءً على ما تم استعراضه سابقًا، وبناءً على بحثك الشخصي، مع ذكر الدليل:

التوجيه	الدليل
(١)	....
(٢)	....
(٣)	....
(٤)	....
(٥)	....
(٦)	....
(٧)	....
(٨)	....

خامسًا: معرفة أساليب العرب:

وأبرز ذلك أربعة أساليب:

(١) الوقوف على قواعد النظم القرآني ولو إجمالاً:

من الأهمية بمكان؛ أن يقف المتدبر على شيء من قواعد النظم القرآني، وأساليبه في التعبير عن مختلف القضايا؛ حيث إن الوقوف على شيء من ذلك يجعل القارئ على بيّنة من الأسلوب القرآني؛ كالوقوف على أسرار التقديم والتأخير، والحذف والذكر، والإطناب والإيجاز، والتوكيد ...، ونحو ذلك مما يعين على التَّدَبُّر.

وفي أهمية الوقوف على هذا العلم؛ يقول صاحب البرهان: اعلم أن هذا علم شريف المحل، عظيم المكان، قليل الطلاب، ضعيف الأصحاب، ليست له عشيرة تحميه، ولا ذوو بصيرة تستقصيه، وكيف لا يكون وهو المُطْلِع على أسرار القرآن العظيم، الكافل بإبراز إعجاز النظم المبين، ما أودع من حسن التأليف، وبراعة التركيب ...، مع سهولة كلمه وجزالتها وعذوبتها وسلاستها، ولا فرق بين ما يرجع الحسن إلى اللفظ أو المعنى ...[(١)].

ونحن لا نطالب المتدبر بالإلمام بهذه الخصائص الأسلوبية للقرآن الكريم، والوقوف عليها وقوف المتخصصين؛ وإنما نطلب منه أن يعلم ما يحتاجه من هذه العلوم، ويطلع على الضروري منها للتعامل مع القرآن، ويأخذ مجمل الموضوع بإيجاز يحقق الغاية، ويمكنه أن يكتفي بدراسة كتاب واحد من علوم القرآن، التي عرضت هذه الموضوعات بإيجاز مجمل مفيد.

(٢) الإلمام بقواعد اللغة العربية وأساليبها البلاغية والبيانية:

لأن القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب ولسانهم؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

(١) يراجع: البرهان للزركشي (٢/٣٨٢) بتصرف. وتدبر القرآن للشيخ/ سلمان السنيدي (ص١٣٢).

(٢) ﴾ [يوسف:٢]، ولغة العرب من الدين كما ذكر الإمام ابن تيمية[١].

(٣) العناية بفهم معنى اللفظة ودلالتها اللغوية:

من المعلوم أن القرآن العظيم نزل بلغة العرب؛ فألفاظه أفصح الألفاظ، وتراكيبه أقوى التراكيب، ولن يؤتي التَّدَبُّر أُكُلَه، ولن تنضج ثمرته حقًّا؛ إلا إذا اعتنى المتدبر باللغة التي نزل بها هذا القرآن؛ وذلك أن المفردة القرآنية تحتاج إلى أمرين:

الأول: فهم معناها، إذا كانت من قبيل الغريب، وهذا يستعان عليه بكتب غريب، أو تفسير القرآن.

الثاني: أنَّ لِذَات المفردة، وإن لم تكن غريبة سرًّا في اختيارها، دون ما سواها من الألفاظ التي يُظنُّ لأول وهلة أنها مترادفة من كل وجه؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)[٢].

(٤) العناية بفهم السياق الذي وردت فيه الآية، أو اللفظة:

والمراد بالسياق هنا: الغرض الذي تتابع الكلام لأجله، مدلولاً عليه بلفظ المتكلم، أو حاله، أو أحوال الكلام، أو المتكلم فيه، أو السامع، والناظر في كلام المفسرين، يجد أنهم أَوْلَوْا هذا الموضوع غاية العناية؛ لعظيم أثره في بيان المشكل، وكشف المتشابه، والمقصود هنا تنبيه المتدبر الذي يروم الوصول إلى المعنى عند اشتباه الأمر عنده؛ أن يعتني بالنظر في السياق[٣].

---

(١) ينظر: فتاوى ابن تيمية (١٤٦/٣).

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٥٢٧/١).

(٣)ومن أهم ما يعين على ذلك: دلالة السياق، د. ردة الله الطلحي، ط. ج. أم القرى. و دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير من خلال تفسير ابن جرير، د. عبدالحكيم القاسم، ط. ج. الإمام. وغيرها من البحوث المتخصصة.



الأساس الخامس من أسس التَّدَبُّر هو: (معرفة أساليب العرب).

في الجدول التالي: اِختصِر هذا الأساس في توجيهات محددة للقارئ المتدبر بناءً على ما تم استعراضه سابقًا، وبناءً على بحثك الشخصي، مع ذكر الدليل:

التوجيه	الدليل
(١)	....
(٢)	....
(٣)	....
(٤)	....
(٥)	....
(٦)	....
(٧)	....
(٨)	....

سادسًا: معايشة المعنى:

وأعظم المعايشة التفاعل مع الآيات؛ ويكون التفاعل مع الآيات من خلال ما يلي:

- **القلب**: ويكون بـ: الإيمان، والتعظيم للقرآن وللمتكلم به -وهو الله تعالى-، واستحضار مقاصد القرآن العامة، والشعور بأن القارئ هو المخاطب بهذه الآيات.

- **اللسان**: ويكون بـ: تلاوتها بترتيل وترسل وعلى مكث، وتحزن وتباكٍ، وترديد للآية، والتفاعل معها بالسؤال والتعوذ والاستغفار -عند المرور بما يناسب ذلك-.

- **الجوارح**: ويكون بـ: القشعريرة، ودمع العين، والسجود عند آيات السجدة ونحوها.

ولذلك أسبابٌ لا بد من تحصيلها، أو ما تيسر منها؛ وهي:

(١) الوقوف على معاني الآيات مجملة:

لا بدّ من معرفة معاني الآيات -على الأقل- محلّ التَّدَبُّر قبل البدء في التلاوة، وأن ينتقي القارئ تفسيرًا مختصرًا مفيدًا مركّزًا خاليًا من الحشو والاستطرادات ...، وما شاكل ذلك؛ مما قد يقطع على المتدبّر طريق تدبّره، ويبدأ بمثل هذه التفاسير المختصرة، ثم يتدرّج إلى ما فوقها بعد ذلك، وأن يصطحب القارئ المتدبّر مصحفًا مطبوعًا على هامشه التفسير كالتفسير الميسر لمجمع الملك فهد، ونحوه من التفاسير الموجزة والإجمالية؛ لسرعة وسهولة الوصول إلى معنى ما يعنّ له أثناء التلاوة.

(٢) الوقوف على موضوع السورة مجملاً:

كما أنه من الأهمية بمكان؛ أن يستعرض المتدبّر موضوعات السورة وخصائصها ومقاصدها قبل البدء في التلاوة؛ (وسيكون حسنًا لو وضعها في جدول، أو شجرة متَسلسلة تكون أمامه عند التلاوة؛ وعندها ستتجلّى فوائد عظيمة لم تكن بالحسبان)[(١)].

والمراد بموضوع السورة: أنه ما من سورة من سور القرآن إلا وتدور على موضوع أو أكثر، وقد تلتقي عدة موضوعات -وهو ما يعرف عند المعاصرين بـ(مقصود السورة)-، وكلما كانت آيات السورة أقل؛

---

(١) ليدبروا آياته لمجموعة من العلماء (٢/٣٢٦)، (٥/١٠) بتصرف.

ظهر للمتأمل موضوعها، وإذا طالت السورة فقد تتعدد موضوعاتها، فعلى المتدبر حينئذٍ أن ينظر في القواسم المشتركة بينها، فقد يخرج بمقصود واحد، وقد لا يظهر له شيء من ذلك، فعليه أن يتوقف، لكن الخوض في هذا الباب لا يتأتى لكل أحد، بل لا بد أن يراعَى فيه أمران:

أحدهما: الاطلاع والفهم لكلام السلف في معاني الآيات؛ ليخرج من مجموع ذلك بتصور جيد عن موضوعها.

ثانيهما: البعد عن التكلف في التماس المقصد أو الموضوع، فإن ظهر له المقصد وإلا فليمسك[١].

(٣) إثارة التساؤلات حول الآية:

فمن أعظم وسائل التَّدَبُّر: أن يستثير القارئ الأسئلة حول ما يقرأ، ويقف مع الآيات متسائلاً: لماذا قُدمت هذه السورة على تلك؟ ولماذا تميّزت هذه السورة عن تلك بافتتاحية ما؟ ولماذا تكررت آية بعينها في سورةٍ ما أكثر من مرة؟ ولماذا عُبر هنا بكذا بينما عُبّر في موضع آخر بكذا؟ ويحاول الإجابة عن ذلك بنفسه، قبل أن يسأل كتب التفسير أو العلماء عنها؛ فإن ذلك مما يُثري ملكة التَّدَبُّر وينمّيها.

وقديمًا قالوا: (العلم خزائن ومفتاحه السؤال) وأي علم أوسع وأغزر من القرآن الكريم؟!

فهذه التساؤلات وغيرها؛ تفتح لنا أسرار القرآن الكريم الكامنة، وتجعلنا نستجلي ونستنبط من الآيات مالم نعهده من ذي قبل، ولم نطّلع عليه في كتاب.

(٤) تدارس القرآن مع جمْع إن أمكن:

مما يثري ملكة التَّدَبُّر لدى القارئ؛ أن يتدارس القرآن مع غيره من العلماء أو الأصحاب أو الأهل، فتدارس العلم يفتح الآفاق، ويعين على التَّدَبُّر، ويصحّح الخطأ، ويقوّم السلوك والفكر.

ومن فاته شيء من السبل السابقة؛ فلا أقلّ من أن يتدارس القرآن مع أهل العلم والفضل، أو حضور حلق العلم، أو بالسؤال والمناقشة، ومن أبلغ الدلائل على هذه الفضيلة قوله ﷺ: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله؛ يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم، وحفَّتهم**

---

(١) ينظر: المراحل الثمان لطالب فهم القرآن (ص١٠٢).

الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده ...»[(١)].

(٥) الاستفادة من عموميات ألفاظ القرآن:

اتسم الأسلوب القرآني بالعموم الذي يتناول العموم في الأفراد والأزمان والأقطار، كما أن في جمله وألفاظه ألفاظًا صالحة لأن تكون متعلقة بأكثر من جهة؛ فينتج عن ذلك تعدد المعاني.

وهذه الطريقة أشار لها ابن تيمية بقوله: (فإن نصوص الكتاب والسنة اللذين هما دعوة مُحَمَّد ﷺ؛ يتناولان عموم الخلق بالعموم اللفظي والمعنوي أو بالعموم المعنوي، وعهود الله في كتابه وسنة رسوله؛ **تنال آخر هذه الأمة كما نالت أولها**)[(٢)].

وقال ابن عاشور: (ومن أساليب القرآن المنفرد بها التي أغفل المفسرون اعتبارها؛ أنه يرد فيه استعمال اللفظ المشترك في معنيين أو معانٍ إذا صلح المقام بحسب اللغة العربية لإرادة ما يصلح منها، واستعمال اللفظ في معناه الحقيقي والمجازي إذا صلح المقام لإرادتهما، **وبذلك تكثر معاني الكلام**)[(٣)].

ومن عجيب فهم الصحابة لإعمال العموم في استنتاج معانٍ جديدة؛ ما فهمه ابن عباس -رضي الله عنهما- من قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء:٣٣]؛ فقد فهم من هذه الآية معنى في الولايات والسياسات، وأن معاوية -ﷺ- ستؤول إليه الخلافة، وقد كان[(٤)]، ولم يمنعه ورود البيان النبوي أن يفهم من عموم اللفظ هذا المعنى.

وقد بيّن ابن كثير كيف فهم ابن عباس -رضي الله عنهما- هذا المعنى، وأنه لا يخالف المعنى المتبادر الظاهر فقال: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾؛ أي: سلطة على القاتل، فإنه بالخيار فيه إن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (ح٢٦٩٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٢٥/٢٨).

(٣) التحرير والتنوير (١٢٣/١).

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٢٨٤/٥). وابن كثير (٣٨١/٢). والطبراني في الكبير (٢٦٣/١٠) (ح١٠٦١٣). والبيهقي في الشعب (١٠٧/٨) (ح١٦٠٨٠).

شاء قتله قودًا، وإن شاء عفا عنه على الدية، وإن شاء عفا عنه مجانًا، كما ثبتت السنة بذلك، وقد أخذ الإمام الحبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية السلطنة وأنه سيملك؛ لأنه كان ولي عثمان، وقد قتل عثمان مظلومًا ﷺ، وكان معاوية يطالب عليًّا ﷺ أن يسلمه قتلته حتى يقتص منهم لأنه أموي، وكان علي ﷺ يستمهله في الأمر حتى يتمكن ويفعل ذلك، ويطلب علي من معاوية أن يسلمه الشام فيأبى معاوية ذلك حتى يسلمه القتلة، وأبى أن يبايع عليًّا هو وأهل الشام، ثم مع المطاولة تمكن معاوية وصار الأمر إليه، كما تفاءل ابن عباس واستنبط من هذه الآية الكريمة، وهذا من الأمر العجب[(١)].

ومما يدخل في هذه الطريقة: ما يكون في القرآن من تعليق تحقق أمرٍ ما أو انتفائه بتحقق أوصاف أو أسباب أو مسببات، فكل من حقق هذا الوصف في أي زمن من الأزمان؛ فهو داخل في عموم هذه الأوصاف، وقل مثل ذلك في تحقق الأسباب أو انتفائها، ولك أن تتأمل في أوصاف المنافقين الذين نزل القرآن فاضحًا لأفعالهم، كيف تتجدد معاني هذه الآيات وتنطبق على أي مجتمع يظهر فيه النفاق في القديم والحديث. وكذلك الوعد والوعيد؛ يتناول من حقق الوصف كله أو بعضه؛ فيناله الوعد أو الوعيد بقدر اتصافه بما ورد في الآية من وصفٍ.

ومما يدخل في هذا العموم كذلك: **السنن الإلهية التي ذكرها الله في كتابه، فلفظها يتناول عموم الزمان والمكان،** فعندما يكثر المدّعون للخير والإصلاح في الأوطان والمجتمعات ويختلط الحق بالباطل؛ يجري الله من الأحداث والوقائع التي تتميّز فيها الصفوف ما يصلح أن يكون تفسيرًا لقوله: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ [آل عمران:١٧٩].

(٦) تصوّر حال الدعوة أثناء التلاوة:

من لم يتمكن من العيش مع معاني القرآن وقت نزولها؛ فلا أقل من أن يتصوّر حال الدعوة عند نزول القرآن؛ وعندئذ ستتغير نظرته وتعامله مع تلك الألفاظ، وسوف تصبح في ذهنه حية متحرّكة، ويتصوّر أثرها على النبي ﷺ والصحابة الكرام، فكم من سُوَرٍ مكيَّة كانت بردًا وسلامًا على قلوب الصحابة،

(١) تفسير ابن كثير (٥/٧٣).

وتثبيتًا لأنفسهم، وهم يواجهون الجاهلية في قمة طغيانها، وكذلك ليتصوّر القارئ ما جرى للأنبياء السابقين من كيد وأذى من خلال قصصهم في القرآن، ولينظر إلى ما يجول في قلوبهم وهم يسمعون وعد الله بالنصر وحسن العاقبة، وهم ما زالوا في مكة لم يشهدوا بدرًا ولا غيرها.

وعليه؛ فمعرفة حال الدعوة عند نزول الآيات، التي هي بمثابة سبب النزول العام، مع الأسباب الخاصة الأخرى؛ من أعظم الأمور المعينة على التَّدَبُّر لمقاصد الآيات وحِكَمها وأحكامها.

وفي ذلك يقول السعدي: (النظر في سياق الآيات مع العلم بأحوال الرسول ﷺ وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله؛ من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه)[(١)].

(٧) التجاوب مع الآيات الكريمة:

ونقصد بالتجاوب: التفاعل مع موضوع الآيات القرآنية، واستحضار معانيها مع تصور الأثر الذي تحدثه في نفس القارئ والسامعين، فيُسَبِّح تارة، ويتساءل تارة، ويستعيذ أخرى، وإذا مرّ بآية تخاطب الأنبياء علم أنه مخاطب بذلك من باب أولى، وإذا قرأ ثناء الله على أعمال الأنبياء والصالحين علم أنه مخاطب، وأن تأثره واقتداءه مطلوب أيضًا، وإذا مرّ بذمّ الله لأعمال العصاة والظالمين علم أنه مخاطب، وأن تأثره مقصود وحذره مطلوب كذلك.

وما أروع ما ذكره صاحب (الإحياء) في وصف القرآن وقارئه المتدبِّر آياته؛ حيث يقول: (إن في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضًا وخانات، فإذا دخل القارئ الميادين، وقطف من البساتين، ودخل المقاصير، وشهد العرائس، ولبس الديابيج، وتنزّه في الرياض، وسكن غرف الخانات؛ استغرقه ذلك وشُغل عما سواه فلم يعزُب قلبه، ولم يتفرق فكره)[(٢)].

(٨) ربط القرآن بالواقع:

ربط القرآن بواقعك الذي تعيش فيه؛ وذلك بالتفاعل مع كل آية، واستشعار القارئ للقرآن أو المستمع

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٣٠). وتدبر القرآن للسنيدي (ص١٠٠) بتصرف.

(٢) إحياء علوم الدين (١/٢٨٢).

له أنه المقصود بالخطاب، وأن كل خطاب في القرآن مُوجّه إليه، وذلك بالنظر في المواعظ التي يذكرها، والقصص التي يحكيها، وكيف أن الله أهلك أممًا كثيرة لما كذبوا وأعرضوا، وأن هذا المصير ينتظر كل من أعرض عن الله، وكفر برسله، مهما كانوا في قوة وعزة، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب -كما قال المفسرون-، وهي قاعدة مهمة؛ حيث إن ما كان سببًا في نزول بعض آيات القرآن الكريم لا يقتصر على الحادثة فقط، إنما تقاس عليها كل الحوادث المشابهة.

قال ابن قدامة: (وينبغي لتالي القرآن أن يعلم أنه المقصود بخطاب القرآن ووعيده، وأن القصص لم يُرد بها السمر بل العبر)[١].

ولقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- خير مثال للمؤمنين؛ فحينما يقرأون القرآن، كانوا يستعملون فيه ذهنهم وفهمهم، ويدركون أنهم المقصودون بالخطاب، وإن وقفةً مع بعض أحوالهم يتبين بها ما كانوا عليه من حسن التعامل مع هذا القرآن؛ فمن ذلك ما جاء:

عن عبدالله بن مسعود ﷺ أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢]؛ شقّ ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه:** ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣]»[٢].

ففهم الصحابة أنهم هم المعنيّون؛ فشكوا إلى النبي ﷺ؛ فبيّن لهم أن الظلم المراد به في الآية هو الشرك؛ فهان الأمر عليهم.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: (إذا سمعت الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾؛ فأرعِها سمعك؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه)[٣]؛ وهذا لكونهم أخذوا القرآن للتلقي والعمل، وأن كل ما فيه خطاب لكل

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص٦١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين، باب ما جاء في المتأولين (ح٦٩٣٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٨٧).

من سمعه خطاب لكل من بلغه، وليس المخاطب فيه قوم دون آخرين.

نشاط

الأساس السادس من أسس التَّدَبُّر هو: (معايشة المعنى).

في الجدول التالي: اِختصِر هذا الأساس في توجيهات محددة للقارئ المتدبر بناءً على ما تم استعراضه سابقًا، وبناءً على بحثك الشخصي، مع ذكر الدليل:

التوجيه	الدليل
(١)	....
(٢)	....
(٣)	....
(٤)	....
(٥)	....
(٦)	....
(٧)	....
(٨)	....

سابعًا: فهم المعنى (التفسير):

(١) الرجوع إلى كتب التفاسير المعتمدة:

وذلك لمعرفة المعنى الإجمالي للآيات دون ضرورة الوقوف على التفاصيل والخوض في المطوّلات والشروح والروايات، فليس من شرط التَّدَبُّر أن يكون تفصيليًّا لكل كلمة، بل قد يكون التَّدَبُّر بإدراك المعنى الإجمالي، وعقْل الكليات المرادة بالآية، وهذا من أعظم أسباب تدبر القرآن الكريم، فإن القرآن كثيرًا ما يذكر في القصص مواطن العبرة، ويترك للفؤاد والعقل مطلق التأمل والتَّدَبُّر، فلا يكون همّ القارئ أن ينتهي من السورة أو الجزء، بل يكون همّه الأول فهم المعاني وتدبرها[١].

وقد ذم الله -تعالى- من أعرض عن فهم كتابه؛ فقال سبحانه: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾ [النساء:٧٨]؛ فالجهل بمعاني القرآن؛ يصرف عن تدبره وتلذذ القلب بقراءته.

(٢) معرفة أسباب النزول:

وذلك من خلال دراسة كتب التفسير؛ ذلك لأن كثيرًا من الآيات مرتبطة بوقائع ومناسبات وأحداث شملت في كثير من جوانبها بعض ما تعانيه الأمة من تحديات وما تواجهه من مؤامرات، فمثلاً إذا أخذنا الآيات التي تتحدث عن هزيمة المسلمين في معركة أُحد: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عمران:١٣٩]، ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠﴾ [آل عمران:١٤٠]، وقوله تعالى عن المنافقين بُعيد غزوة بني المصطلق: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨﴾ [المنافقون:٨].

فحين نعرف المخاطب بالآيات والزمان الذي نزلت فيه؛ يتبين المعنى بجلاء أكثر مما لو لم نقف على سبب النزول؛ فالعلم بالسبب يورث العلم بالمسبب.

---

(١) تدبر القرآن بين النظرية والتطبيق، د. رقية طاهر جابر العلواني (ص٥٦) نقل بتصرف.

(٣) الجمع بين النصوص في استنتاج معانٍ جديدة:

إن القرآن الكريم يصدق بعضه بعضًا، وما أجمل في موضع قد يبين في موضع آخر وهكذا؛ ولذا؛ فإنه إن صحت طريقة استخراج المعاني؛ فلا شك حينئذٍ أن المعنى المستنبط صحيح ومُراد؛ والله يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء:٨٢]؛ فهذه الآية دعوة لفتح باب الاستنباط بجميع طرقه، وكل معنى صحيح مستنبط من القرآن سواء من دلالة آية مفردة أو من جمع نصيْن فأكثر؛ فستجده في تمام التناسب ولن تجد فيه أي اختلاف، وهذا أحد أسباب تجدد المعاني، وقد عدّ ابن القيم هذه الطريقة في استخراج المعاني من ألطف طرق فهم النصوص وأدقها[١].

وقال في معرض حديثه عن طرق فهم النصوص وتفاوت الناس فيه: (وأخص من هذا وألطف، ضمّه إلى نص آخر متعلق به؛ فيفهم من اقترانه به قدرٌ زائدٌ على ذلك اللفظ بمفرده، وهذا باب عجيب من فهم القرآن لا يتنبه له إلا النادر من أهل العلم، فإن الذهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا وتعلقه به)[٢]، وبهذه الطريقة في جمع النصوص فهم عليٌّ وابنُ عباس ﷺ أنَّ أقلَّ مُدَّةِ الحَمْلِ ستَّةُ أشهرٍ؛ وذلك بالجمع بين قولِه تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان:١٤]، وقولِه: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًاۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:١٥]؛ قال السيوطي: (أخرج ابنُ أبي حاتم عن معمر بن عبدالله الجُهَنِيّ؛ قال: تزوَّجَ رجلٌ منَّا امرأةً، فولدتْ لتمامِ ستَّةِ أشهرٍ، فانطلقَ إلى عثمان، فأمرَ برجْمِها. فقال عَلِيٌّ: أمَا سمعتَ اللهَ يقولُ: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾، وقال: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾؛ فكم تَجِدُ بَقِيَ إلاَّ ستَّةُ أشهرٍ. فقالَ عثمانُ: والله ما تفطَّنْتُ لهذا)[٣].

---

(١) ينظر: إعلام الموقعين (٦٦/١).

(٢) المصدر السابق (٢٦٧/١).

(٣) الإكليل في استنباط التَّنْزيل (ص١٩٤). وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٨٠/٧)، وقد ذكر ابن كثير مثله عن ابن عباسٍ (٣٣٦/٦)، (٢٨٠/٧).

(٤) الجمع بين معنى قراءتين أو أكثر في استنتاج معانٍ جديدة:

فكما أن الجمع بين نصين أو أكثر طريقة من طرق تدبر القرآن، فكذلك ما يكون في تنوع المعنى الناتج عن اختلاف القراءة، بجمع حاصل المعنى من القراءتين أو القراءات المختلفة في اللفظ، وهذا لون جميل ومظهر بديع من مظاهر تجدد المعاني، الأمر الذي يتطلب معه الكشف عن الروابط والتناسب بين هذه الألفاظ.

كما أن هذه الطريقة تعد مسلكًا من مسالك التناسب؛ قل التطرق إليه في باب المناسبات، فإذا كان التناسب بين آيتين أو بين أوّل السورة وخاتمتهما من بديع أسلوب القرآن؛ فما ظنّك بالتناسب في اللفظ الواحد الذي اختلف فيه نوع من أنواع التغاير، لا شك أنه آكد وأقوى.

وذلك أن المتدبر يجتهد في الربط بين القراءتين ومعرفة وجه المناسبة بينهما، كما يجتهد في بيان وجه مناسبة كل قراءة مع سياق الآية.

خذ مثلاً على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام:٥٧]؛ فقد ورد فيها قراءتان: ﴿يَقُصُّ ٱلۡحَقَّ﴾ لنافع وأبي جعفر وابن كثير وعاصم. و ﴿يقضِ الحق﴾ لباقي القراء[١]، ومعناها: أنه جل وعلا يقضي القضاء الحق، ولما كان القضاء هو الفصل في الحكم والقطع به ذيّل الآية بقوله: ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾، أما القراءة الأخرى ﴿يَقُصُّ ٱلۡحَقَّ﴾ فهي من قصّ الحديث وتتبّع الأثر، وهذا القص متناسب مع تذييل الآية بقوله: ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾، وهكذا تنوع المعنيان وتغايرا في دلالتهما على فعل الله –جل وعلا– دون تعارض بينهما، فإذا ما تطلبنا المناسبة بين القراءتين وحاصل المعنيين؛ ظهر لنا معنى آخر: وهو أن الله تعالى يبيّن لنا منهجًا ربانيًّا في قضائه جل وعلا، وكيف أنه قص لنا حال الشاكرين والمجرمين وفصّله وهو في غنى عن ذلك جل وعلا، فهو أحكم الحاكمين، ولكن حتى يستبين الطريق وتتضح الحجة، ثم يكون قضاؤه تبارك وتعالى بتعجيل

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر (٢/٢٥٨).

العذاب أو إمهاله، ولا معقِّب لحكمه تبارك وتعالى.

وهكذا القاضي لا يستطيع أن يفصل في القضية حتى يقص الأثر ويتتبعه، ويستفصل منه، فإذا استبان له فصَل في القضية وحكم بما ظهر له، فهذا التناسب بين القراءتين وجه من أوجه تجدد المعاني وثرائها.

(٥) التَّدَبُّر لما تضمنه أسلوب القرآن من دلالات إضافية:

فكما أن لدلالات الألفاظ أثرٌ في تجدد المعاني؛ فكذلك الدلالات الإضافية **مما يفهم من إشارات الآية وفحوى الخطاب وعادات القرآن**؛ باب عظيم في استخراج المعاني، يهبه الله من يشاء من عباده؛ كما قال ابن القيم: (دلالة النصوص نوعان: حقيقية وإضافية؛ فالحقيقية: تابعة لقصد المتكلم وإرادته، وهذه الدلالة لا تختلف. والإضافية: تابعة لفهم السامع، وإدراكه، وجودة فكره، وقريحته، وصفاء ذهنه، ومعرفته بالألفاظ ومراتبها، وهذه الدلالة تختلف اختلافًا متباينًا بحسب تباين السامعين في ذلك)[١].

فما فهمه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- من دنو أجل النبي ﷺ من قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]؛ حين بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أبكاني أنّا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص[٢]. ففهمه رضي الله عنه لم يكن في الآية ما يدل عليه دلالة لفظية، إلا أنه فهم ذلك من عادة الله تعالى في نظام الكون والحياة.

ومن ذلك ما رواه ابن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رأيته دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾ [النصر:١-٢] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئًا، فقال لي: يا ابن عباس، أكذاك تقول؟ قلت: لا قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ

---

(١) إعلام الموقعين (٢٦٤/١)

(٢) أخرجه الطبري في التفسير (٨١/٨).

أعلمه الله له: إذا جاء نصر الله والفتح؛ فتح مكة، فذاك علامة أجلك: فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم[١].

فما ذكره الصحابة ﭫ موافق لما عليه ظاهر الآية، ولكن أراد عمر بن الخطاب أن يريهم دقة فهم ابن عباس ﭭ، وما وهبه الله من النظر في المعاني؛ وقد علق ابن حجر على هذا الحديث بقوله: (وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم)[٢].

فهذه الطريقة من طرق تجدد المعاني؛ هبة من الله تعالى يهبها من يشاء من عباده. ومن ذلك ما جاء عن أبي جحيفة؛ قال: قلت لعلي بن أبي طالب -ﭬ-: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهمًا أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة، قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر[٣].

وتأمُّل هذا المعنى في أقوال المفسرين؛ يعين على فهم مرامي كلامهم، وحمله على ما يمكن أن يحتمل في فهم مراد الله من ذلك، وقد طبق ذلك ابن القيم عند تعليقه على قول عكرمة ومجاهد في قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ٢﴾ [العاديات:١-٢]؛ حيث قال عكرمة: هي الألسنة تورى نار العداوة بعظيم ما نتكلم به[٤]، وقال مجاهد: هي أفكار الرجال تورى نار المكر والخديعة في الحرب[٥]. حيث ضعّف القولين من جهة دلالتهما على المعنى الظاهر ثم عقّب وقال: وهذه الأقوال إن أريد أن اللفظ دلّ عليها وأنها هي المراد؛ فغلط، وإن أريد أنها أخذت من طريق الإشارة والقياس؛ فأمرها قريب، وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ: وهو الذي ينحوا إليه المتأخرون. وتفسير على المعنى: وهو الذي يذكره السلف. وتفسير على الإشارة والقياس: وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي (ح٤٢٩٤).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٧٣٦/٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب كتابة العلم (ح١١١).

(٤) تفسير الرازي (٣٦٠/٢٣).

(٥) تفسير الرازي (٣٦٠/٢٣).

وهذا لابأس به بأربعة شروط:

- ألاّ يناقض معنى الآية.
- وأن يكون معنى صحيحًا في نفسه.
- وأن يكون في اللفظ إشعار به.
- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم.

فإذا اجتمعت هذه الشروط الأربعة؛ كان استنباطًا حسنًا[١].

ومن دعا إلى إعمال هذه الطريقة في استنباط المعاني؛ ابن سعدي وهو يشير إلى طريقة تدبر القرآن حيث قال: (ألاّ يكون المتدبر مقتصرًا على مجرد معنى اللفظ بمفرده، بل ينبغي له أن يتدبر معنى اللفظ، فإذا فهمه فهمًا صحيحًا على وجهه؛ نظر بعقله إلى ذلك الأمر، والطرق الموصلة إليه، وما لا يتم إلا به، وما يتوقف عليه، وجزم بأن الله أراده، كما يجزم أنه أراد المعنى الخاص، الدال عليه اللفظ.

والذي يوجب له الجزم بأن الله أراده أمران:

أحدهما: معرفته وجزمه بأنه من توابع المعنى والمتوقف عليه.

والثاني: علمه بأن الله بكل شيء عليم، وأن الله أمر عباده بالتَّدَبُّر والتفكر في كتابه.

وقد علم تعالى ما يلزم من تلك المعاني، وهو المخبر بأن كتابه هدى ونور وتبيان لكل شيء، وأنه أفصح الكلام وأجله إيضاحًا؛ فبذلك يحصل للعبد من العلم العظيم والخير الكثير، بحسب ما وفقه الله له، وقد يخفى في بعض الآيات مأخذه على غير المتأمل صحيح الفكرة، ونسأله تعالى أن يفتح علينا من خزائن رحمته ما يكون سببًا لصلاح أحوالنا وأحوال المسلمين، فليس لنا إلا التعلق بكرمه والتوسل بإحسانه الذي لا نزال نتقلب فيه في كل الآنات، وفي جميع اللحظات، ونسأله من فضله، أن يقينا شر أنفسنا المانع والمعوق لوصول رحمته، إنه الكريم الوهاب الذي تفضل بالأسباب ومسبباتها[٢].

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (ص٧٨).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٧٣٢).



الأساس السابع من أسس التَّدَبُّر هو: (فهم المعنى).

في الجدول التالي: اِختصِر هذا الأساس في توجيهات محددة للقارئ المتدبر بناءً على ما تم استعراضه سابقًا، وبناءً على بحثك الشخصي، مع ذكر الدليل:

التوجيه	الدليل
(١)	....
(٢)	....
(٣)	....
(٤)	....
(٥)	....
(٦)	....
(٧)	....
(٨)	....

الموضوع الثاني
ضوابط التَّدَبُّر

هناك ستة ضوابط ينبغي العناية بها أثناء تدبر القرآن؛ وهي:

١- تجنب ما لا يصح تدبره.

٢- صحة المعنى التَّدَبُّري.

٣- موافقة نصوص الكتاب والسنة.

٤- موافقة التفسير الصحيح.

٥- موافقة السياق.

٦- عدم القول في كتاب الله بغير علم.

وإليك بيانها بإيجاز:

أولاً: تجنب ما لا يصح تدبره:

يراد من التَّدَبُّر أحد أمرين:

-إمَّا معرفة المعاني التي يذكرها الله عزَّ وجلَّ في القرآن؛ وهذا الباب لا يستثنى من القرآن فيه شيءٌ أو يحجب عن تدبره.

-أو يراد منه معرفة حقائق الأشياء وما هيَّاتها؛ فهذا منه ما يمكن وما لا يمكن.

فهذان نوعان؛ فيلاحظ أن الكلام عمومًا ينقسم إلى قسمين:

١-إمَّا أن يكون إنشاءً؛ وهو ما تضمن أمرًا بالفعل أو الترك. وهذا التَّدَبُّر في حقيقته هو: (تأويله، وهو: إتيان ما أمر به المشرع والانتهاء عمَّا نهى عنه؛ ومن ثَمَّ كان السلف يقولون: إن السنَّة هي تأويل

الأمر[١]. وقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن[٢][٣].

ومنه قول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: أخوف ما أخاف على هذه الأمة الذين يتأولون القرآن على غير تأويله[٤].

٢-وإمَّا أن يكون إخبارًا بأمور قد مضت؛ كتاريخ وقصص الأمم السابقة، أو بأمور مستقبلية ستحدث، أو بأمورٍ غيبية استأثر الله بعلمها؛ ومن ذلك: المعاد والبعث والقيامة، والجنة والنار، وغيرها من الأمور الغيبية التي أخبر بها القرآن الكريم.

فتأويله عين الأمر المخبر به إذا وقع، وليس تأويله فهم معناه، فتأويل الخبر إذن ليس هو إدراك معناه، بل إدراك الحقيقة الخارجية له، وهو ما لا يستطيعه الإنسان، فهو فوق مستوى إدراكه، إذ إنه لا يمتلك تصورًا ذهنيًّا لحقيقة تلك الأمور الغيبية على ما هي عليه في واقعها، (فنحن نعلمها إذا خوطبنا بتلك الأسماء من جهة القدر المشترك بينهما، ولكن لتلك الحقائق خاصية لا ندركها في الدنيا، ولا سبيل إلى إدراكنا لها لعدم إدراك عينها، أو نظيرها من كل وجه، وتلك الحقائق على ما هي عليه هي تأويل ما أخبر الله به)[٥].

وفضلاً عن ذلك؛ فهذه الأمور الغيبية قد استأثر الله بعلمها، وحجبها عن الإنسان -رحمةً به-، ولن يدركها على ما هي عليه في واقع أمرها، إلا حين يأتي وقت المشاهدة والمعاينة.

---

(١) قول سفيان ذكره شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل (٢٠٦/١)، وفي التدمرية (ص٩٤).

(٢) أخرجه البخاريّ في كتاب الأذان (ح١٣٩)، باب التسبيح والدعاء في السجود (ح٨١٧). ومسلم (ح٤٨٤).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية (٥٥/٣-٥٧).

(٤) أخرجه الهروي في ذم الكلام بسنده (٩٨/١) (ح٨٤). وأخرج نحوه البزار في مسنده (٤٠٧/١) (ح٢٨٦). وعن الحسن أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (ص٩٨) (ح٣١٢). وفي التاريخ (٩٣/٥-٩٤)، (٨٤/٦). وذكره الحكيم الترمذي في نوادر الأصول (٢٦/٤). والمزي في تهذيب الكمال (١٢٢/١٠). وبمثله قال الإمام أحمد في الرد على الجهمية.

(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٥٥/٣-٥٧).

والتأويل قسمان: مذموم ومحمود؛ فالمذموم هو: الذي يتتبع صاحبه الآيات المتشابهة، ويفسّرها على هواه، وهذا لا يقع إلا من الذين في قلوبهم زيغ.

والمحمود هو: الذي يُعنى أصحابه؛ وهم الراسخون بالمتشابهات التي تحتمل أكثر من معنى لخفاء في اللفظ أو المعنى أو هما معًا، فيتبعونه بغرض فهمه وتفسيره، وبيان الحكمة من وروده، بخلاف الزائغين.

وهذا التأويل المحمود يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتَّدَبُّر، فمن لا يتدبر الآية بقلبه؛ فلن يفهم المراد منها، ولن يستطيع ردّ المتشابه إلى المحكم(١).

ثانيًا: صحة المعنى التَّدَبُّري:

فتجب العناية بالمعنى التَّدَبُّري، وحسن التأمل في أصوله وطريقته، حتى يسلم من الخلل والخطأ، بتمكنه مما سنذكره من ضوابط، ومراجعته من خلال الخطوات التالية:

- ربط المفاهيم القرآنية ببعضها.
- التصحيح للمفهوم من الكتب والعلماء.
- المدارسة.
- إمعان النظر والتكرار.

وذلك؛ لأن القرآن الكريم يصدِّق بعضه بعضًا، ويفسِّر بعضه بعضًا؛ قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

وفي الرجوع إلى أقوال العلماء عند تدبر الآيات وفي مقدمتهم السلف الصالح، أو سؤال العلماء والمشايخ الذين لهم رسوخٌ في ذلك، ومدارسة الآية وتدبرها مع طلاب العلم؛ أمانٌ من الوهم في فهم كتاب الله.

وفي إمعان النظر وتكرار التَّدَبُّر للآية؛ تظهر الحقائق وتنجلي الأوهام وبادئ الرأي الفطير، وليس التعقل والتفكر كالخاطر السانح الذي قد لا يثبت عند النظر المتكرر؛ ولذا؛ جاء لفظ التَّدَبُّر بصيغة التفعُّل.

---

(١) التَّدَبُّر، أ.د. عبدالله سرحان (ص٢٠٠) بتصرف.

ثالثًا: موافقة نصوص الكتاب ونصوص السنة الصحيحة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (وليس لأحدٍ أن يحمل كلام الله ورسوله على وفق مذهبه إن لم يتبين من كلام الله ورسوله ما يدلُّ على مراد الله ورسوله، وإلا فأقوالُ العلماء تابعةٌ لقول الله تعالى ورسوله، ليس قولُ الله ورسوله تابعًا لأقوالهم)[١].

فمَن أراد الفهم الصحيح لكتاب الله؛ عليه أن يُقيِّدَ نفسه باتباع القرآن والسنة وعدم مخالفتهما؛ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١]؛ قال ابن كثير: (لا تسرعوا في الأشياء بين يديه؛ أي: قبله، بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور. حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ؛ إذ قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن: «بم تحكم؟» قال: بكتاب الله. قال: «فإن لم تجد؟» قال: بسنة رسول الله. قال: «فإن لم تجد؟» قال: أجتهد رأيي. قال: «فضرب رسول الله ﷺ في صدره، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله»[٢].

فالغرض منه أنه أخَّر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة، ولو قدمه قبل البحث عنهما لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله)[٣]. وقال معاذ بن جبل ﷺ: اتَّخذ كتاب الله إمامًا، وارض به قاضيًا وحكمًا؛ فإنّه الّذي استخلف فيكم رسول الله ﷺ، شفيع مطاع، وشاهد لا يتّهم، فيه ذكركم وذكر من قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم وخبر ما بعدكم[٤].

ولجأ بعض المبتدعة لمخالفة النصوص الشرعية الثابتة عن رسول الله ﷺ؛ لأنها غير موافقة لأهوائهم

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/٣٥).

(٢) مسند أحمد (٣٦/٣٣٣) (ح٢٢٠٠٧). قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف؛ لإبهام أصحاب معاذ وجهالة الحارث بن عمرو، لكن مال إلى القول بصحته غير واحد من المحققين من أهل العلم؛ منهم: أبو بكر الرازي، وأبو بكر ابن العربي، والخطيب البغدادي، وابن القيم. قال الخطيب في (الفقيه والمتفقه) (١/١٨٩-١٩٠): إن أهل العلم قد تقبلوه واحتجوا به، فوقفنا بذلك على صحته عندهم.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/٣٦٤).

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (١/٢٥٢-٢٥٣).

فردوها بدعوى أنها مخالفة للمعقول، وغير جارية على مقتضى الدليل؛ كالمنكرين لعذاب القبر، والصراط، والميزان، ورؤية الله ﷻ في الآخرة، وما أشبه ذلك من الأحاديث الصحيحة المنقولة نقل العدول[1].

ويرى الشاطبي أن من الأسباب التي يدعي المبتدعة ردهم للأحاديث الصحيحة؛ أنها تفيد الظن مع أن الله ﷻ قد ذم الظن في القرآن الكريم؛ كقوله تعالى: ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ﴾ [النجم:٢٣]، وقال: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾[النجم:٢٨][2]، وما جاء في معناه، حتى أحلوا أشياء مما حرمها الله تعالى على لسان نبيه ﷺ[3]. ونسوا أمر الله بالاستجابة لرسوله ﷺ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال:٢٤].

رابعًا: موافقة التفسير الصحيح:

فإنَّ الآيات القرآنية على نوعين؛ منها آيات ظاهرة: وهذه لاتحتاج إلى معرفة تفسيرها؛ لأن تفسيرها واضح؛ مثل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:٢٥٥] إلى آخر الآية. ومنها آيات خفية المعنى: فتحتاج إلى مراجعة تفسيرها. فإن معرفة التفسير أمر مهم للتدبر في هذه الحالة؛ ولذلك؛ أضرب مثلاً بقصة على عهد الصحابة –رضوان الله عليهم–؛ إذ قرأ قدامة بن مظعون قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة:٩٣]؛ لما قرأها قدامة –رضي الله تعالى عنه–؛ ظن أن الآية للإباحة، وأن من فعل هذه الأمور: اتقى وآمن وعمل صالحًا وأحسن؛ أنه ليس عليه بأس أن يأكل ويشرب مايراه، ففهم من هذه الآية جواز شرب المسكر له؛ لأنه

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/٢٩٤) بتصرف.

(٢) سورة النجم، الآية (٢٨).

(٣) الاعتصام للشاطبي (١/٢٩٨) بتصرف.

من المؤمنين، وممن آمن واتقى وعمل الصالحات وأحسن، ونبهه على الخطأ الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وقد نص على هذا السبب بذاته -التفسير- قال له: إنك أخطأت التأويل يا قدامة[١]. والتأويل عندهم: بمعنى التفسير. فقد نبه عمر -رضي الله عنه- على أن الخطأ في التفسير قد قاد قدامة -رضي الله عنه- إلى الخطأ في الفعل.

(فالفهم الصحيح للقرآن هو الذي يبعث صاحبه على استثمار الدنيا والآخرة معًا، فلا يضيّع العاقل الدنيا بدعوى طلب الآخرة، ولا الآخرة لانشغاله بالدنيا، بل يكون من خيار الأمة الذي يجمعون بين سعادتي الدنيا والآخرة، ويحقّقون الموازنة بين عملي الدنيا والآخرة)[٢].

وعند وقوع اللبس فإنه ينبغي تصحيحه بالرجوع إلى أقوال العلماء عند تدبر الآيات وفي مقدمتهم السلف الصالح؛ وأوجبها: (أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك؛ لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها؛ ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح؛ لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين)[٣]، وإذا لم تجد المعنى في القرآن والسنة وأقوال الصحابة؛ (فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين)[٤]. ثم إنا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة.

خامسًا: موافقة السياق:

العناية بفهم السياق الذي وردت فيه الآية، أو اللفظة:

والمراد بالسياق هنا: الغرض الذي تتابع الكلام لأجله، مدلولاً عليه بلفظ المتكلم، أو حاله، أو أحوال الكلام، أو المتكلم فيه، أو السامع، والناظر في كلام المفسرين؛ يجد أنهم أَوْلَوْا هذا الموضوع غاية

(١) الخبر أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٩/٢٤٠-٢٤٣) (ح١٧٠٧٦). والبيهقي في سننه الكبرى (٨/٣١٦) (ح١٧٢٩٣). وابن عمرو الشيباني في الآحاد والمثاني (٣/٢٦٣) (ح١٦٣٦).

(٢) أثر القرآن في سلوك المجتمع المسلم، د. عبدالقدوس السامرائي (ص٥١).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/٢٦٤).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/٢٦٨).

العناية؛ لعظيم أثره في بيان المشكل، وكشف المتشابه؛ والمقصود هنا: تنبيه المتدبر الذي يروم الوصول إلى المعنى؛ أن يعتني بالنظر في السياق دائمًا، وخاصة عند اشتباه الأمر عليه.

ومراعاة السياق الذي مرّت به اللفظة القرآنية:

فيجب أن تربط الآية بالسياق الذي وردت فيه ولا تُقطع عما قبلها وما بعدها، ثم تُجرّ جرًّا لتفيد معنى، أو تؤيد حكمًا يقصده قاصد؛ قال الزركشي: (دلالة السياق ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته؛ وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾[الدخان:٤٩]؛ تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير)[١].

سادسًا: عدم القول على الله بغير علم:

رُوي عن النبي ﷺ قوله: «**من قال في كتاب الله برأيه فأصاب، فقد أخطأ**»[٢]؛ قال ابن كثير رحمه الله: (أي: أخطأ؛ لأنه قد تكلف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنه أصاب المعنى في نفس الأمر، لكنه قد أخطأ؛ لأنه لم يأت الأمر من بابه)[٣].

وكان السلف رحمهم الله تعالى يأخذون هذا القرآن بقوة، ويعرفون معناه، ويطلبون المعنى الذي أراده الله ﷻ، ومع ذلك فقد كانوا في غاية الدقة والحرص، وغاية التحرج وهم يفسرون الآيات.

ويقرر العلماء من بعدهم أنه لو قال الإنسان برأيه في القرآن فأصاب؛ فقد أخطأ.

ولذا؛ كان أحدهم عندما يفسّر القرآن يعلم أنه إذا خاض في آية ليس عنده علم بها؛ أنه يأثم حتى وإن

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٢/٢٠١-٢٠٢).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٧/٢٨٦) (ح٨٠٣٢). والترمذي في كتاب التفسير، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه (ح٢٩٥٣). وأبو داود في كتاب العلم، باب الكلام في كتاب الله بغير علم (ح٣٦٥٢). وأخرجه الطبري في جامع البيان (ح٨٠). قال ابن الأثير في جامع الأصول: وفي سنده سهيل ابن أبي حزم لا يحتج به، وضعفه البخاري وأحمد وأبو حاتم، ينظر: جامع الأصول (٢/٣/٤٦٩).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/١١).

كان ما قاله صوابًا.

فكان أبو بكر الصديق ﷺ يقول: (أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني؛ إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم؟!)[1].

وكان ابن أبي مليكة يقول: (سئل ابن عباس عن آية، لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول فيها)[2]. وآثارهم في هذا الباب مشهورة.

* * *

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١/٧٨). وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٢٤) (ح٢٢٧٨). وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/١٣٦) (ح٣٠١٠٧). وسعيد بن منصور (١/١٦٨) (ح٣٩).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (١/٨٦).



من خلال استعراض ضوابط التَّدَبُّر السابقة؛ تبين لك بعض الأخطاء التي قد يقع فيها متدبر القرآن.

في الجدول التالي: دوّن هذه الأخطاء، مع بيان الضوابط التي ينبغي الاعتناء بها لتجنب هذه الأخطاء:

م	الخطأ	الضابط الذي ينبغي الاعتناء به
١	....	....
٢	....	....
٣	....	....
٤	....	....
٥	....	....
٦	....	....
٧	....	....
٨	....	....

الموضوع الثالث
وسائل تدبر القرآن الكريم

لقد كان للسلف الصالح منهجٌ متميزٌ في تدبر القرآن، والحاجة تمس للاقتداء بالوسائل التي سلكوها؛ وهاك نماذج منها باختصار:

أولاً: ترتيل القرآن:

يُعدّ ترتيل القراءة وتجويدها من أهم أسباب التَّدَبُّر؛ والتجويد: إخراج كل حرف من مخْرجه وإعطاؤه حَقّه ومستحَقّه من الصفات(١).

وللقرآن الكريم خاصية تختلف عن سائر الكلام العربي من حيث النطق به وكيفية أدائه، وهو التجويد الذي يختص به القرآن الكريم، والذي تلقّاه الصحابة ﷺ من في النبي ﷺ، ثم نقلوه إلينا.

قال النووي: قال العلماء: الترتيل مستحب للتدبر وغيره، قالوا: ولهذا؛ يُستحب الترتيل للأعجمي الذي لا يفهم معناه؛ لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام، وأشد تأثيرًا في القلب(٢).

وللتجويد أثره في التأثير في النفوس ولفْت انتباه المستمع وشدّه نحو القارئ، وهو إحدى خصائص القرآن الكريم الذي يتميز به عن سائر كلام العرب.

وقد أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بترتيل القرآن؛ فقال سبحانه: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل:٤].

وكانت طريقة النبي ﷺ؛ أنه يرتِّل القرآن كما أمره الله تعالى؛ كما روت أم المؤمنين حفصة ﵂ قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ صلى في سُبحته(٣) قاعدًا، حتى كان قبل وفاته بعام، فكان يصلي في سُبحته

---

(١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبدالفتاح بن السيد عجمي (ص٤٥).

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن (ص٨٩).

(٣) السُّبحة: بضم السين وإسكان الباء: النافلة. صحيح مسلم بشرح النووي (٥/٢١).

قاعدًا، وكان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها[١].

وعن قتادة رحمه الله؛ أنه قال: سئل أنس -رضي الله عنه-: كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟ فقال: "كانت مدًّا، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ يمد ببسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم[٢].

وإخراج كل حرف من مخرجه دون تداخل بين الحروف يوضّح معنى الآية، ويعطي فرصة للعقل ليفهمها، وللقلب كي يتأملها؛ ومن ثَمَّ تقع الموقع المناسب؛ فيتأثر بها القارئ والمستمع.

ولهذا ذهب علماء التجويد إلى أن القراءة بالتجويد واجبة على القارئ، كما قال ابن الجزري:

والأخذ بالتجويد حتم لازمُ   مَن لم يجوّد القرآن آثمُ[٣]

وذلك؛ أن القراءة سُنة متبعة تلقاها الصحابة عن النبي ﷺ، وقد كان يرتّل القرآن ويجوّده، فوجبت القراءة بالتجويد.

ثانيًا: الترسل في القراءة:

وهو أمر زائد على التجويد والترتيل؛ وذلك بأن يقرأ القارئ القرآن متمهِّلاً، ولا يقتصر على جودة الأداء فقط كما هو الحال في التجويد، بل يتأمل ما يقرأ ويفهمه ويقف عنده.

وقد ثبت الترسُّل في قراءة القرآن من فعْل رسول الله ﷺ، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: (صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسّلاً)[٤] الحديث. فقول حذيفة رضي الله عنه في وصف قراءة النبي ﷺ: «يقرأ مترسّلاً»؛ دليل على أهمية التأني في القراءة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز النافلة قائمًا وقاعدًا وفعل بعض الركعة قائمًا وبعضها قاعدًا (ح٧٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة (ح٥٠٤٦).

(٣) متن الجزرية في معرفة تجويد الآيات القرآنية، ابن الجزري، بشرح الشيخ/ زكريا الأنصاري (ص١٥).

(٤) سبق تخريجه.

ولا شك أن التأني في القراءة يعطي القارئ والسامع الوقت الكافي لفهم النص، ويجعل القلب يتأثر بالنص المسموع ويركّز عليه.

وقد أخبر سبحانه وتعالى أن من واجب النبي ﷺ أن يقرأ القرآن على أمته بتمهّل ورويّة؛ فقال سبحانه: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦]؛ وذلك لتحصل الاستفادة والاتعاظ من سماع القرآن، وذلك لا يكون إلا مع التمهل وعدم العجلة.

ولم تكن عادة النبي ﷺ الاستعجال في القراءة، ولم يثبت أنه ﷺ ختم القرآن في ليلة؛ فعن عائشة – رضي الله عنها– قالت: (ولا أعلم نبي الله ﷺ قرأ القرآن كله في ليلة، ولا صلى ليلة إلى الصبح)[(١)].

وكانت طريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين التأني في القراءة وكراهية قراءة القرآن بسرعة تخل بالمعنى؛ ويدل على ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأصحابه: «**أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة، فشقّ ذلك عليهم، وقالوا: أينا يطيق ذلك يا رسول الله؟! فقال: الله الواحد الصمد(٢)؛ ثلث القرآن**»[(٣)].

والشاهد من هذا الحديث أنه ﷺ لما ندبهم إلى قراءة ثلث القرآن شقّ ذلك عليهم واستعظموه وجعلوه أمرًا صعب المنال؛ بقوله: وأينا يطيق ذلك يا رسول الله؟! وهذا يدل على أن قراءتهم كانت قراءة متأنية ولو كانت قراءة سريعة مستعجلة لما صعُب على أحدهم قراءة ثلث القرآن، وهو عشرة أجزاء، وهم الذين يمضون ليلهم رُكّعًا وسُجّدًا[(٤)].

وهذا يدل على خطأ مَن يسرع في القراءة بحيث يُخلّ بتجويد القرآن؛ وقد جاء رجل إلى ابن مسعود

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث طويل (ص٣٩٤)، (ص٢٩٣) (ح٧٤٥).

(٢) أي: سورة الإخلاص، قال النووي: قوله: ((الله الواحد الصمد؛ ثلث القرآن))؛ عند الإسماعيلي من رواية خالد الأحمر عن الأعمش، فقال: (يقرأ قل هو الله أحد؛ فهي ثلث القرآن)، فكأن رواية الباب بالمعنى، وقد وقع في حديث أبي مسعود المذكور نظير ذلك، ويحتمل أن يكون سمى السورة بهذا الاسم لاشتمالها على الصفتين المذكورتين. فتح الباري (٩/٦٠).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿قل هو الله أحد﴾ (ح٥٠١٥).

(٤) المنهج النبوي في تدبر القرآن، د. صالح صواب (ص٨).

ﷺ فقال: قرأت المفصّل الليلة في ركعة، فقال: ونثرًا كنثر الدقل، إني **أفصِّل لتفصِّلوه**، ولقد علمت النظائر التي كان رسول الله ﷺ يقرأ سورتين في ركعة[(١)].

وفي رواية عنه ﷺ أنه قال: لا تنثروه نثر الرمل، ولا تهذّوه هذّ الشِّعر، قِفوا عند عجائبه، وحرِّكوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة[(٢)].

وبيَّن النبي ﷺ أن القراءة السريعة سبب في عدم فقه القرآن الكريم؛ فعن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»**[(٣)].

وفي لفظ: **«اقرأ في سبع ولا تزيدنَّ على ذلك»**[(٤)].

ويجب على قارئي القرآن، وعلى أئمة الصلوات -وبخاصة في رمضان-؛ أن يترسّلوا في قراءتهم تأسيًا بالنبي ﷺ، وألا يكون هَمّ أحدهم ختْم القرآن أو أجزاء منه دون فهْم وتدبُّر.

ثالثًا: تحسين الصوت بالقرآن:

من أسباب تدبّر القرآن التي أمر بها النبي ﷺ تحسين الصوت بالقرآن الكريم، وهو قدرٌ زائد على التجويد والترتيل؛ فقد قال ﷺ: **«زيِّنوا القرآن بأصواتكم»**[(٥)].

وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«ما أذن الله لشيء؛ ما**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الأذان، باب الجمع بين السورتين في الركعة (ح٧٧٥). ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة، واجتناب الهذ، وهو الإفراط في السرعة، وإباحة سورتين فأكثر في ركعة (ح٨٢٢).

(٢) أخلاق حملة القرآن (١/٤) (ح٢) وإسناده صحيح. وأخره البيهقي في الشعب (٣/٤٠٧) (ح١٨٨٤) مختصرًا.

(٣) سنن ابن ماجة، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يختم القرآن؟ (ح١٣٤٧). والترمذي في الجامع كتاب القراءات، باب في كم يختم القرآن؟ (ح٢٩٤٧)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود في السنن في كتاب أبواب قراءة القرآن وتحزيبه، باب في كم يقرأ القرآن؟ (ح١٣٨٨). وصححه الألباني في صحيح أبي داود (ح١٢٥٥).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (٤/٢٨٣) (ح١٨٥١٧). والدارمي (٢/٥٦٥) (ح٣٥٠٠). وأبو داود (ح١٤٦٨)، وابن ماجه (ح١٣٤٢). وابن خزيمة في صحيحه (٣/٢٤) (ح١٥٥١). وابن حبان في صحيحه (٣/٥٢) (ح٧٤٩). والحاكم في المستدرك (١/٧٦٢) (ح٢١٠١). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (ح١٣٢٠).

أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»[(١)]؛ (والأَذَنُ: الاستماع)[(٢)]؛ أي: (ما استمع لشيء ما استمع لنبي يحسن صوته بالقرآن طلبًا لرقة قلبه بذلك)[(٣)].

وعن عبدالجبار بن الورد؛ قال: سمعت ابن أبي مليكة يقول: قال عبيدالله بن أبي يزيد قال: مرّ بنا أبو لبابة -رضي الله عنه- فاتبعناه حتى دخل بيته، فدخلنا عليه، فإذا رجل رثّ البيت، رثّ الهيئة، فسمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن»** قال: فقلت لابن أبي مليكة: يا أبا محمَّد، أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال: يحسّنه ما استطاع[(٤)].

والمراد: (ليس منا من لم يحرص على سماع القراءة الحسنة ويتلذذ بها، لما يجد من الخشوع عندها، كما يلتذ أهل الأغاني بأغانيهم. وقيل معناه: من لم يستغن به؛ أي: من لم ير أنه أفضل حال من الغني بغناه. وقيل معناه: من لم يحسن صوته بالقرآن؛ استدعاءً لرقة قلبه بذلك)[(٥)].

وقد كان النبي ﷺ يستمع إلى بعض الصحابة الذين يُحسِّنون أصواتهم بالقرآن، ويوصي بالقراءة عليهم والتلقّي منهم؛ فقد استمع ﷺ إلى قراءة أبي موسى، وامتدحه لحُسن صوته، فقال له: **«لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير آل داود»**[(٦)].

وفي رواية أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (والله يا رسول الله؛ لو علمت أنك تسمع قراءتي؛ لحبّرته لك تحبيرًا)[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: ((الماهر بالقرآن مع الكرام البررة)) (ح٧٥٤٤). ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (ح٧٩٢) واللفظ له.

(٢) معجم مقاييس اللغة (٧٦/١). والآداب الشرعية لابن مفلح (٣١١/٢). وفتح الباري (٦٩/٩).

(٣) البيان والتحصيل للقرطبي (٣٢٦/١٨).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {وأسروا قولكم أو اجهروا به ...} (ح٧٥٢٧).

(٥) البيان والتحصيل للقرطبي (٣٢٦/١٨).

(٦) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن (ح٥٠٤٨). ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (ح٧٩٣) واللفظ له.

(٧) هذه الزيادة أخرجها البيهقي والنسائي في الكبرى (٢٣/٥) (ح٨٠٥٨). وذكرها الهيثمي في (مجمع الزوائد) (١٧١/٧) وقال: وفيه خالد بن نافع الأشعري؛ وهو ضعيف.

وقد أوصى النبي ﷺ بقراءة القرآن على عبدالله بن مسعود؛ لحُسن صوته وجوْدة قراءته، فقال ﷺ: «مَن أحب أن يقرأ القرآن غضًّا كما أنزل؛ فليقرأه على قراءة ابن أم عبد»[(١)].

إن الصوت الجميل يجلب السامعين لسماعه، وكلما ازداد تحسينًا؛ ازداد حرص الناس على سماعه، وعلى التفكر فيه، وعدم الانشغال بغيره عنه.

رابعًا: الجهر بالقراءة:

من عوامل التَّدَبُّر لكتاب الله تعالى؛ الجهر بالقرآن الكريم، وقد كان النبي ﷺ يجهر بالقرآن، وبيَّن أن ذلك محمود؛ فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به»[(٢)].

قال الغزالي -بعد أن ذكر النصوص الدالة على الإسرار بالقراءة والجهر بها-: (فالوجه في الجمع بين هذه الأحاديث؛ أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنُّع، فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه، فإن لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوّش الوقت على مصلٍّ آخر؛ فالجهر أفضل؛ لأن العمل فيه أكثر، ولأن فائدته أيضًا تتعلق بغيره، فالخير المتعدي أفضل من اللازم، ولأنه يوقظ قلب القارئ، ويجمع همَّه إلى الفكر فيه، ويصرف إليه سمعه، ولأنه يطرد النوم في رفع الصوت، ولأنه يزيد في نشاطه للقراءة، ويقلله من كسله)[(٣)].

خامسًا: إطالة القراءة:

كلما أطال المرء القراءة كان أدعى لحضور القلب وارتباطه بما يتلو، وانسجامه مع الآيات التي يقرأها

---

(١) أخرجه ابن ماجه في افتتاحية الكتاب، باب فضل عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- (ح١٣٨). وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه بتحقيق الألباني (ص٣٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: ((الماهر بالقرآن مع الكرام البررة)) (ح٧٥٤٤). ومسلم في صحيحه في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن (ح٧٩٢) واللفظ له.

(٣) إحياء علوم الدين (٣/٤٠٥).

واجتماع الذهن حولها، وهذا بخلاف القراءة القصيرة التي قد لا يتمكن بعض الناس من استحضار القلب والخشوع معها.

وقد كان من نهج رسول الله ﷺ إطالة القراءة في الصلاة؛ فعن حذيفة ﷺ قال: (صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء فقرأها، ثم افتتح آل عمران فقرأها، يقرأ مترسّلاً؛ إذا مرّ بآية فيها تسبيح سبّح، وإذا مرّ بسؤال سأل، وإذا مرّ بتعوّذ تعوّذ، ثم ركع فجعل يقول: سبحان ربي العظيم. فكان ركوعه نحوًا من قيامه، ثم قال: سمع الله لمن حمده. ثم قام طويلاً قريبًا مما ركع، ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى. فكان سجوده قريبًا من قيامه)[١].

بل بلغ من طول قيامه ﷺ في الصلاة والتهجد بالقرآن؛ أن يطيل القيام حتى يُتعبَ مَن يصلي معه؛ فعن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: (صليت مع النبي ﷺ ليلة، فلم يزل قائمًا حتى هممت بأمر سوء، قلنا: وما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأذر النبي ﷺ)[٢].

سادسًا: مداومة تلاوة القرآن الكريم:

إنّ الله جلّ وعلا رتّب على تلاوة كلامه الأجر الكثير والثواب الغزير، الحرف بعشر حسنات؛ فعن عَبْدِاللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ -ﷺ-؛ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؛ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا؛ لاَ أَقُولُ (الم) حرْفٌ؛ وَلَكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ»**[٣].

وفي الصّحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِى لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لاَ رِيحَ**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التهجد، باب طول القيام في صلاة الليل (ح١١٣٥) واللفظ له. ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل (ح٧٧٣).

(٣) أخرجه الترمذي في الجامع في كتاب أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفًا من القرآن ماله من الأجر (ح٢٩١٠) وقال: حديث حسن صحيح غريب.

لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِى لاَ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»[١].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِى الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ[٢] أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِىَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِى غَيْرِ إِثْمٍ وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ؟»؛ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نُحِبُّ ذَلِكَ. قَالَ: «أَفَلاَ يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمَ أَوْ يَقْرَأَ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلاَثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ»[٣].

وأمّا آثار السلف في قراءتهم القرآن نظرًا وغيبًا وحفظهم على حزبهم وورِدهم في الصلاة وفي غير الصلاة؛ أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، ولا بأس بذكر طرف منها:

فعن عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: (أَدِيمُوا النَّظَرَ فِي الْمُصْحَفِ)[٤].

وعن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- قالت: (إِنِّي لأَقْرَأُ حِزْبِي، أَوْ عَامَّةَ حِزْبِي وَأَنَا مُضْطَجِعَةٌ عَلَى فِرَاشِي)[٥].

وعن خيثمة قال: دخلت على عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما-، وإنسان قد أخذ عليه المصحف، وهو يقرأ، فقلت: ما هذا؟ قال: أقرأ حزبي الذي أقوم به الليل[٦].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة، باب ذكر الطعام (ح٥٤٢٧).

(٢) بُطحان: هو وَادٍ من أودية المدينة مَسِيلٌ للماء، النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٥٣٣/٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه (ح٨٠٣).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في (المصنف) (ح٨٦٤٦). وأبو عبيد في (فضائل القرآن) (ص١٠٤). والفريابي في (فضائل القرآن) (ح١٤٩).

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في (المصنف) (ح٨٦٥٩). والفريابي في (فضائل القرآن) (ح١٥٤). والمستغفري في (فضائل القرآن) (ح٥٢٤)، بإسناد صحيح.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في (المصنف) (ح٨٦٤٧). وأبو عبيد في (فضائل القرآن) (ص١٠٥). والفريابي في (فضائل القرآن) (ح١٥١). والمستغفري في (فضائل القرآن) (ح٥٢٠)، وإسناده صحيح.

وعن أم موسى[١]: أنّ الحسن بن علي كان يقرأ ورده من أول الليل، وأن حُسينًا كان يقرأه من آخر الليل[٢].

وعن إبراهيم النخعي قال: كان أحدهم إذا بقي عليه من جزئه أو حزبه شيء فنشط قرأه بالنهار، أو قرأه من ليلة أخرى وربما زاد أحدهم[٣].

سابعًا: ترديد الآية الواحدة في الصّلاة وخارجها:

عن أَبِي ذَرٍّ -ﷺ- قال: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ يُرَدِّدُهَا، وَالآيَةُ: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨][٤].

وعن قتادة بن النُّعمان قال: قَامَ رَجُلٌ مِنَ اللَّيْلِ فَقَرَأَ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾؛ السُّورَةُ يُرَدِّدُهَا لاَ يَزِيدُ عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ رَجُلاً قَامَ اللَّيْلَةَ مِنَ السَّحَرِ يَقْرَأُ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ لاَ يَزِيدُ عَلَيْهَا! كَأَنَّ الرَّجُلَ يَتَقَلَّلُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنَ»[٥].

وعن صفوان بن سُليم؛ قال: قامَ تميمٌ الدّاريّ -ﷺ- في المسجد بعد أنْ صلّى العِشَاء، فَمرَّ بهذه الآية ﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٤]؛ فَمَا خَرجَ منها حتّى سَمِع أَذانَ الصُّبْح[٦].

---

(١) أم موسى: هي سُرِّية علي -ﷺ-؛ قيل: اسمها فاختة، وقيل: حبيبة؛ مقبولة. التقريب، ترجمة رقم (٨٧٧٧).
وقال العجلي: (كوفية تابعية ثقة). معرفة الثقات، ترجمة رقم (٢٣٦٥).

(٢) أخرجه أبو عبيد في (فضائل القرآن) (ص١٨٦). والمستغفري في (فضائل القرآن) (ح٥٢١)، بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه أبو عبيد في (فضائل القرآن) (ص١٨٧). والفريابي في (فضائل القرآن) (ح١٥١). والمستغفري في (فضائل القرآن) (ح٥٢٦)، وإسناده صحيح.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١٥٦/٥). والنسائي في الكبرى (٣٣٩/٦) (ح١١١٦١). والحاكم في المستدرك (٣٦٧/١) (ح٨٧٩). وابن ماجه في السنن (٤٢٩/١) (ح١٣٥٠). وقال النووي: رواه النسائي وابن ماجه بإسناد حسن، خلاصة الأحكام (٥٩٥/١).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب فضل {قل هو الله أحد} (ح٥٠١٣).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في قيام الليل (ح٥٠)، وقال محققه: إسناده حسن.

وعن عباد بن عبدالله بن الزبير؛ قال: افتتحت أسماء بنت أبي بكر سُورةَ الطُّور، فلمّا انتهتْ إلى قوله تعالى: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور:٢٧]؛ ذهبتُ إلى السُّوق في حاجة، ثم رجعتُ وهي تُكرّرها ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾؛ قال: وهي في الصّلاة[١].

وعن القاسم بن أبي أيوب؛ قال: سمعت سعيد بن جبير يردِّدُ هذه الآية في الصّلاة بضعًا وعشرين مرّة: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١][٢].

وعن عبدالرحمن بن عجلان؛ قال: بتُّ عند الرّبيع بن خُثَيْم ذات ليلة، فقام يُصلي فمرَّ بهذه الآية ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الجاثية:٢١] الآية؛ فمكثَ ليلته حتّى أصبح ما جاوز هذه الآية إلى غيرها ببكاء شديد[٣].

وعن جعفر بن سليمان الضبعي؛ قال: سمعت مالك بن دينار قرأ هذه الآية ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر:٢١]؛ فبكى، وقال: أقسم لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا صدع قلبه[٤].

وعن نُعيم بن حمّاد؛ قال: قال رجل لابن المبارك: قرأتُ البارحةَ القرآن في ركعة! فقال ابن المبارك: لكني أعرفُ رجلاً لم يزل البارحة يقرأ ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴾ إلى الصُّبح ما قدر أن يجاوزَها، يعني نفسه[٥].

والآثار عن السّلف في ذلك كثيرة؛ وقد أخرج جملة منها الإمام مُحَمَّد بن نصر المروزي في كتابه (قيام الليل)[١]، وترجم لها بقوله: (ترديد المصلي الآية مرّة بعد مرّة يتدبّر ما فيها).

---

(١) أخرجه القاسم بن سلام في (فضائل القرآن) (ص١٤٧). وأبو نعيم في (حلية الأولياء) (٢/٥٥)، بإسناد لا بأس به.

(٢)أخرجه القاسم بن سلام في (فضائل القرآن) (ص١٤٧-١٤٨).

(٣) أخرجه عبدالله بن أحمد في (زوائد الزهد) (ح١٩٢٥). ومن طريقه أبو نعيم في (الحلية) (٢/١١٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في (الزهد) (ح١٨٥٩). وأبو نعيم في (الحلية) (٢/٣٧٨)، وإسناده حسن.

(٥) أخرجه أبو بكر الدينوريّ في (المجالسة وجواهر العلم) (ح١٢٣٢). وابن عساكر في (تاريخ دمشق) (٣٢/٤٣٥).

(١) ينظر: مختصر قيام الليل، أحمد بن علي المقريزي (ص١٤٨-١٥١).

وعقد له النووي فصلاً في كتابه (التبيان في آداب حملة القرآن)؛ فقال: (فصل في استحباب ترديد الآية للتدبر). وقال: (وقد بات جماعة من السّلف يتلون آية واحدة يتدبّرونها ويردّدونها إلى الصّباح)[١].

قال ابن قدامة: (وليعلم أن ما يقرأه ليس كلام البشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه، ويتدبر كلامه؛ فإن التَّدَبُّر هو المقصود من القراءة، وإن لم يحصل التَّدَبُّر إلا بترديد الآية فليرددها)[٢].

ثامنًا: اتباع القرآن والعمل به:

إنّ الغاية من إنزال القرآن الكريم هو العمل به؛ باتباع أوامره واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده؛ كما قال الله جلّ وعلا: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٥]، وقال: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [الأعراف:٣].

وعن عكرمة، عن ابن عباس –رضي الله عنهما– في قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة:١٢١]؛ قال: يَتَّبِعُونَهُ حَقَّ اتِّبَاعِهِ. قال: وقال عكرمة: ألا ترى أنّك تقول: فلان يتلو فلانًا؛ أي: يتبعه؛ ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ [الشمس:١-٢]؛ أي: تبعها[٣].

وقال ابن عباس في رواية أخرى: يُحِلُّونَ حَلالَهُ، وَيُحَرِّمُونَ حَرَامَهُ، وَلا يُحَرِّفُونَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ[٤].

وعن مجاهد رحمه الله في قوله: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾؛ قال: يَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِه[٥].

وهكذا كان حال السلف مع القرآن الجمع بين العلم والعمل؛ فعن ابن مسعود ﷺ قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن[١].

وعن السُّلمي قال: إنا أخذنا هذا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم: كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم

(١) التبيان في آداب حملة القرآن (ص٨٣).

(٢) مختصر منهاج القاصدين (ص٥٧).

(٣) أخرجه أبو عبيد في (فضائل القرآن) (ص١٣٠). والطبري في جامع البيان (٤٨٨/٢). وابن أبي حاتم تفسيره (٣١٩/١).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣١٩/١). وابن جرير في الجامع (٤٨٨/٢). والحاكم في المستدرك (٢٦٦/٢) وصححه.

(٥) أخرجه ابن جرير في جامع البيان (٤٩٠/٢). والآجري في أخلاق حملة القرآن (ح٥)، (ح٣٥).

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤٦٦/٣٨) (ح٢٣٤٨٢). وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.

يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن؛ فكنا نتعلم القرآن والعمل به[(١)].

تاسعًا: سرعة الاستجابة للقرآن الكريم:

عن عائشة أم المؤمنين ﵂؛ أنه لما أنزل الله تعالى براءتها في القرآن الكريم في قصة الإفك، قالت: قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ-: وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ [النور:٢٢]؛ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ؛ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي؛ فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا[(٢)].

وعن عبدالله بن عبَّاس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-؛ قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لاِبْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَتَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ؟ قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ لِعُيَيْنَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ: قَالَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ؛ فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ؛ فَقَالَ: الْحُرُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩]؛ وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، فَوَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ[(١)].

---

(١) أخرجه أحمد في (المسند) (ح٢٣٤٨٢). وابن سعد في (الطبقات الكبرى) (١٧٢/٦). وابن أبي شيبة في (مصنفه) (٤٣٦/١٥) (ح٣٠٥٤٩). وابن جرير في (جامع البيان) (٧٤/١). وصحّح إسناده العلامة أحمد شاكر في تعليقه على (جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري) (٨٠/١).

(٢) جزء من حديث الإفك عند البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا (ح٢٦٦١). ومسلم في صحيحه في كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (ح٢٧٧٠).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (ح٧٢٨٦).

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- في قصة تحريم الخمر؛ قال: إِنِّي لَقَائِمٌ أَسْقِيهَا أَبَا طَلْحَةَ وَأَبَا أَيُّوبَ وَرِجَالاً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِنَا؛ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: هَلْ بَلَغَكُمُ الْخَبَرُ؟ قُلْنَا: لاَ. قَالَ: فَإِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ، فَقَالَ: يَا أَنَسُ أَرِقْ هَذِهِ الْقِلاَلَ. قَالَ: فَمَا رَاجَعُوهَا وَلاَ سَأَلُوا عَنْهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ[1].

وعن الفضل بن موسى قال: كان الفضيل بن عياض شاطرًا يقطع الطريق بين أَبِيْوَرْدَ وَسَرْخَسَ، وكان سبب توبته أنّه عشق جاريةً؛ فبينا هو يرتقي الجدران إليها؛ إذْ سمع تاليًا يتلو ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد:١٦]؛ فلمّا سمعها قال: بلى يا ربِّ، قد آن، فرجع فآواه الليل إلى خَرِبة، فإذا فيها سَابلَةٌ، فقال بعضهم: نرتحل وَقَال بعضهم: حتى نصبح، فإنّ فضيلاً على الطّريق يقطعُ علينا. قال: ففكرتُ وقلتُ: أنا أسعى بالليل في المعاصي وقوم من المسلمين هاهنا يخافونني، وما أرى الله ساقني إليهم إلاّ لأرتدع، اللّهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورةَ البيت الحرام[2].

عاشرًا: الخشوع والبكاء عند تلاوة القرآن أو سماعه:

كان إمام المتقين وخير عباد الله الصالحين صلوات الله وسلامه عليه تدمع عيناه حتى تنهمران، ويُسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل؛ فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: «نَعَمْ». فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء:٤١]، قَالَ: «حَسْبُكَ الآنَ»، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ[1].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب صب الخمر في الطريق (ح٢٣٣٢)، (ح٤٣٤١)، (ح٤٣٤٤)، (ح٥٢٥٨). و مسلم في كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر (ح١٩٨٠).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٨/٣٨٢). والقصة أوردها الحافظان: المزي في تهذيب الكمال، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/٤٢٣) عند ترجمة الفضيل بن عياض رحمه الله.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير، باب {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدًا} (ح٤٥٨٣). ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه؛ للاستماع والبكاء عند القراءة والتَّدَبُّر (ح٨٠٠).

فبكى صلوات الله وسلامه عليه رحمةً ورأفةً بأمته؛ لأنّه علم أنه لا بدّ أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيمًا فقد يُفضى إلى تعذيبهم[1].

وعن عبدالله بن الشِّخِّيرِ ﷺ؛ قال: (رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ)[2].

وعن عائشة ﷺ؛ أنها سُئلت عن أعجب شيء رأته من رسول الله ﷺ، قالت: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي؛ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي»، قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي؛ حَتَّى بَلَّ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى؛ فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ لِحْيَتَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى؛ فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَّ الأَرْضَ، فَجَاءَ بِلاَلٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلاَةِ، فَلَمَّا رَآهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟! قَالَ: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] الآيَةَ كُلَّهَا»[3].

وهكذا كان حال السلف الصالح مع القرآن؛ تتحرك قلوبهم، وتقشعر جلودهم، وتنهمر أعينهم بالدموع؛ فعن عبدالله بن عروة بن الزُّبير -رضي الله عنهما-، قال: قُلْتُ لِجَدَّتِي أَسْمَاءَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْها-: كَيْفَ كَانَ يَصْنَعُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَرَأُوا الْقُرْآنَ؟ قَالَتْ: كَانُوا كَمَا نَعَتَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، تَدْمَعُ أَعْيُنُهُمْ وَتُقَشْعِرُّ جُلُودُهُمْ[1]. تشير ﷺ إلى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ

---

(١) ينظر: فتح الباري (٩/٩٩).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٦/٢٣٩) (ح١٦٣١٢). وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (ح٩٠٠). وابن حبان (٣/٣١) ح(٧٥٤). والحاكم في المستدرك (١/٢٦٤) (ح٩١٧). وقال ابن حجر: (إسناده قويّ)، فتح الباري (٢/٢٠٦).

(٣) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب التوبة، باب ذكر البيان بأن المرء عليه إذا تخلى لزوم البكاء على ما ارتكب من الحوبات... (ح٦٢٠). وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(١) رواه حسين المروزي في زوائده على (الزهد) لابن المبارك (ح١٠١٦)، بإسناد رجاله كلهم ثقات.

مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر:٢٣].

والآثار عن السلف في بكائهم عند تلاوة القرآن أو سماعه[١] أكثر من تحصر؛ وقد أورد جملة منها أبو بكر بن أبي الدنيا في كتابه (الرقة والبكاء)؛ وعنون لها بقوله: (البكاء عند قراءة القرآن).

وعن عائشة رضي الله عنها؛ قَالَتْ: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلاَّ وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلاَّ يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَرَفَيِ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، ثُمَّ بَدَا لأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَقِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلاً بَكَّاءً لاَ يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ؛ فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ[٢].

وعن عُبيد بن عُمير، قال: صلّى بنا عُمر بنُ الخطّاب -رضي الله عنه- صَلاةَ الفَجْر، فافتتحَ سُورةَ يُوسُفَ فقرأها حتّى إذا بلغ ﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴾ [يوسف:٨٤] وبكى حتى انقطع فركع[٣].

وعن أبي الضُّحى، عن مسروق؛ قال: قرأتُ على عائشةَ -رضي الله عنها- هذه الآيات: ﴿ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴾ [الطور: ٢٧] فبكَتْ، وقَالَتْ: "رَبِّ مُنَّ عليَّ، وَقِنِي عَذَابَ السَّمُوم"[٤].

وعن نافع مولى ابن عمر -رضي الله عنهما-؛ قال: كان ابن عمر -رضي الله عنهما- إذا قرأ هذه الآية: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحديد:١٦]؛ بكى حتى يغلبه البكاء[١].

وعن ابن أبي مليكة؛ قال: سافرتُ مع ابن عباس -رضي الله عنهما- من مكّة إلى المدينة، وهم

---

(١) والأسباب الحاملة على البكاء والخشية أحوال كثيرة؛ أشار إليها ابن القيم رحمه الله في كتابه (الفوائد) (ص١٩٧-١٩٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب المسجد يكون في الطريق من غير ضرر بالناس (ح٤٧٦).

(٣) أخرجه أبو عبيد في (فضائل القرآن) (ص١٣٧) بإسناد لا بأس به.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (ح٩٨). ورواه الإمام أحمد في الزهد (ح٩٠٩). ومن طريقه أبو نعيم في الحلية (٢/٤٨) من طريق أبي الضّحى قال: حدثني من سمع عائشة.

(١) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ح٧٧). وحلية الأولياء (١/٣٠٥). وتاريخ دمشق (٣١/١٢٧). وعزاه ابن حجر لأبي العباس السراج في تاريخه؛ وقال: وسنده جيد. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٤/١٧٨).

يسيرون إليها وينزلون بالليل، فكان ابن عباس يقوم نصف اللّيل فيقرأ القرآن حرفًا حرفًا، ثم حكى قراءته، ثم يبكي حتى تسمع له نشيجًا[(١)].

وعن مسروق؛ قال: قَالَ لِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ: هَذَا مَقَامُ أَخِيكَ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ، قَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ أَوْ كَرُبَ[(٢)] أَنْ يُصْبِحَ بِآيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ يُرَدِّدُهَا يَبْكِي، فَيَرْكَعُ بِهَا وَيَسْجُدُ ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية:٢١][(٣)].

وعن أبي المليح؛ قال: قرأ يومًا ميمون بن مهران رحمه الله ﴿وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس:٥٩]؛ فَرَقّ حتّى بَكَى، ثم قال: مَا سَمِعَ الخلائقُ بِعَتَبٍ أَشَدَّ منهُ قَطّ. رواه أبو نعيم[(٤)].

ولقد مدح الله تعالى مسلمي أهل الكتاب بأعظم صفتين عند تلاوتهم القرآن؛ وهما: البكاء والخشوع فقال جلّ وعلا: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩].

حادي عشر: التذكير بآيات القرآن عند المناسبة:

مما يعين على تدبر القرآن استغلال الأحداث والمناسبات والوقائع وربطها بالآيات القرآنية؛ لما في ذلك من الأثر الكبير في فهم القرآن وتدبره، وقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب التربوي مع أصحابه؛ فمن ذلك رُوي عن أَبِي سعيد بن الْمُعَلَّى -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فَمَرَّ بِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَدَعَانِي، فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ، فَقَالَ: «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ؟ أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) كَرُبَ: بمعنى دَنَا وقرُب، النهاية في غريب الحديث (١٦١/٤).

(٣) أخرجه عبدالله بن المبارك في الزهد (ح٩٤). وأبو داود في الزهد (ح٣٩٤). وأبو عبيد في فضائل القرآن (ص١٤٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٥٠/٢). والمستغفري في فضائل القرآن (ح٥٤).

(٤) حلية الأولياء (٩٢/٤). والسيوطي في الدر المنثور (٣٦٥/١٢).

وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ ﴾ [الأنفال:٢٤]»[(١)].

وعن أبي هريرة ﵁؛ قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟». قَالاَ: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «وَأَنَا وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِى أَخْرَجَكُمَا قُومُوا». الحديث، وفيه قصة استضافة الأنصاري لهم، فجاءهم بعذق فيه بُسر وتمر ورطب، وذبح لهم شاة، فأكلوا وشربوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ؛ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ[(٢)]. يشير عليه الصلاة والسلام إلى الآية الكريمة ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر:٨].

عن عبدالله بن عقيل بن شمير الرباحي عن أبيه؛ قال: شَرِبَ عبدُالله بنُ عُمَرَ مَاءً بَارِدًا فَبَكَى فاشتدَّ بُكاؤُه، فقيل: مَا يُبكِيكَ؟ قال: ذكرتُ آيةً في كتابِ الله عزّ وجلّ: ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾ [سبأ:٥٤]؛ فعرفتُ أنّ أهلَ النّارِ لا يَشْتَهُونَ إلاّ الماءَ البَارِدَ، وقد قالَ اللهُ عزّ وجلَ: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف:٥٠]"[(٣)].

وقد جعل الله تبارك وتعالى في هذه الدار أشياء كثيرة تذكّر بالدار الآخرة؛ منها الحمّام الذي ذكّر الصالحين بنار جهنّم[(١)]؛ فقد صحّ عن أبي هريرة ﵁ أنه قال: نعم البيت الحمام، يذهب الوسخ ويذكّر النار[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب {يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم} (ح٤٦٤٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، وبتحققه تحققًا تامًّا، واستحباب الاجتماع على الطعام (ح٢٠٣٨).

(٣) رواه عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد (ح١٠٥٥). والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٩/٤) (ح٤٦١٤).

(١) ينظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص٦٨٨) وما بعدها.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (ح١١٧٦). اتحاف الخيرة المهرة (ح٥٠٤) للبوصيري، وقال: إسناد رجاله ثقات. والمراد بالحمام هنا: موضع التنظف والاغتسال بالماء الحار عن طريق البخار، وليس موضع قضاء الحاجة.

ثاني عشر: معرفة فضائل بعض الآيات والسور:

فإنَّ القرآن الكريم وإنْ كان كلّه كلامَ الله غير أنَّه يتفاضل[1]، فالآيات المشتملة على توحيد الله والخبر عن أسمائه وصفاته أفضل من غيرها، كما قال أحدُ أهل العلم: كلام الله في الله أفضلُ من كلامه في غيره، فمعاني ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ليست هي معاني ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

وهذا التفاضل بين السُوَر والآيات ليس باعتبار نسبتِه إلى المتكلِّم، فإنَّ المتكلِّمَ به واحدٌ وهو الله -سبحانه-، ولكن باعتبار مَعانيه التي تكلَّم بها وباعتبار ألفاظه المبيّنة لمعانيه، والنصوص في تفضيل كلام الله بعضه على بعض كثيرةٌ.

فقد صحّ عن النبي ﷺ أنَّه فضَّل مِنَ السور سورةَ الفاتحة؛ ففي صحيح البخاري من حديث أَبِي سَعِيدِ ابنِ الْمُعَلَّى؛ قَال: مَرَّ بِيَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَنَا أُصَلِّي، فَدَعَانِي فَلَمْ آتِهِ حَتَّى صَلَّيْتُ ثُمَّ أَتَيْتُ، فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَأْتِيَ؟ فَقُلْتُ: كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال:٢٤]؛ ثُمَّ قَال: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ أَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ»، فَذَهَبَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَذَكَّرْتُهُ؛ فَقَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ[2].

وفضّل من الآيات آية الكرسي؛ فعن أُبَيّ بن كَعْبٍ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِى أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟». قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِى أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَعَكَ أَعْظَمُ». قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللَّهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»[1].

وعن عامر الشّعبِيّ؛ قال: جَلَسَ مَسْرُوقٌ، وَشُتَيْرُ بن شَكَلٍ فِي مَسْجِدِ الأَعْظَمِ، فَرَآهُمَا نَاسٌ فَتَحَوَّلُوا إِلَيْهِمَا، فَقَالَ مَسْرُوقٌ لِشُتَيْرٍ: إِنَّمَا تَحَوَّلَ إِلَيْنَا هَؤُلاءِ لِنُحَدِّثَهُمْ، فَإِمَّا أَنْ تُحَدِّثَ وَأُصَدِّقَكَ، وَإِمَّا أَنْ أُحَدِّثَ

---

(١) من شاء الاستزادة في هذه المسألة؛ فلْيطالِع مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٧/١٧) فما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب {يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم} (ح٤٦٤٧).

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي (ح٨١٠).

وَتُصَدِّقَنِي، فقال مسروق: حَدِّثْ أُصَدِّقْكَ، قَالَ شُتَيْرٌ: حَدَّثَنَا عَبْدُاللَّهِ بن مَسْعُودٍ: إِنَّ **أَعْظَمَ آيَةٍ** فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [البقرة:٢٥٥] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، فَقَالَ مَسْرُوقٌ: صَدَقْتَ. وأَنَّ **أَجْمَعَ آيَةٍ** فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾[النحل:٩٠] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، قَالَ مَسْرُوقٌ: صَدَقْتَ. وأَنَّ **أَكْثَرَ أَوْ أَكْبَرَ آيَةٍ** فِي كِتَابِ اللَّهِ فَرَحًا ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾[الزمر:٥٣] إِلَى آخِرِ الآيَة، فَقَالَ مَسْرُوقٌ: صَدَقْتَ. وأَنَّ **أَشَدَّ آيَةٍ** فِي كِتَابِ اللَّهِ تَفْوِيضًا ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق:٢-٣] إِلَى آخِرِ الآيَةِ، فَقَالَ مَسْرُوقٌ: صَدَقْتَ[1].

وعن جويرية بن بشير قال: سمعت الحسن قرأ هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ الآية، ثم وقف، فقال: إنَّ الله جمع لكم الخير كلَّه والشّر كلَّه في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان شيئًا من طاعة الله عزّ وجل إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله شيئًا إلا جمعه[2].

وعن سعيد بن جبير قال: مَا أعطِيَ أحدٌ ما أعطيت هذه الأمة: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾[البقرة:١٥٧]؛ ولو أعطيها أحدٌ لأعطيها يعقوب -عليه السلام-؛ ألم تسمعْ إلى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف:٨٤]؟[1].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٣/٣٧١). وأبو عبيد في فضائل القرآن (ص٢٧٥، ص٢٧٦). والبخاري في الأدب المفرد (ح٤٨٩). والطبراني في المعجم الكبير (٩/١٣٣). والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٤٥٨) بتمامه. والطبري في جامع البيان (١٤/٣٢٧). والحاكم في المستدرك (٢/٣٥٦) ببعضه، وإسناده صحيح، وصحّحه الحاكم على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/١٥٨). والبيهقي في شعب الإيمان (١/١٦١) (ح١٤٠).

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في جامع البيان (٢/٧٠٨). وابن أبي حاتم في تفسيره (١/٢٦٥). والبيهقي في شعب الإيمان (٧/١١٧) (ح٩٦٩١) وإسناده صحيح.

جهد التعلم/ ملف الإنجاز:

يمكن أن يقوم الدارس بالجهد التالي:

أ- يحاول أن يطبق هذه الأسس والضوابط على نفسه، ويعمل بالوسائل لتدبر سورة من قصار المفصل.

ب- يستخرج هذه الأسس وتطبيقاتها من خلال كتاب: تيسير الكريم الرحمن للسعدي رحمه الله.

ج- يستمع لقارئ مجود، ويكرر السماع، ويكتب ما حصل عليه من آثارٍ بعد مراجعة -مثلاً- التفسير الميسر أو غيره من التفاسير الإجمالية.

مصادر التعلم:

- أثر القراءة بالتجويد في تدبر القرآن المجيد (دراسة تأصيلية)، باسم بن حمدي بن حامد السيد، مجلة الحكمة (بريطانيا) (١٤٣٥هـ).
- أثر معلم القرآن الكريم في تعليم التَّدَبُّر، د. إبراهيم بن صالح بن عبدالله الحميضي، مجلة البحوث والدراسات الشرعية (مصر)، مجلد (٢) عدد (١٤) (ذو القعدة ١٤٣٤هـ).
- استخدام المستحدثات التقنية في تدبر القرآن الكريم (عرض وتقييم)، عادل بن عبدالله باريان، بحوث المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، كرسي القرآن الكريم وعلومه في جامعة الملك سعود، مجلد (٤) (١٤٣٤هـ).
- أفلا يتدبرون القرآن، الغزالي خليل عيد، مقال من مجلة كلية أصول الدين بجامعة الإمام مُحمَّد بن سعود الإسلامية، (١٣٩٧-١٣٩٨هـ).
- بين ختم القرآن وتدبر آياته، حسين هاشم، مقال في مجلة الوحدة الإسلامية، بيروت (١٤١٠هـ).
- تدبر القلب والعقل للقرآن الكريم (الموانع والوسائل)، علي الأمين عوض الله، مجلة كلية أصول بجامعة

أم درمان الإسلامية، السودان، عدد (٧) (رمضان ١٤٣٢هـ).

- دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير من خلال تفسير ابن جرير، د. عبدالحكيم القاسم، ط. جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- دلالة السياق، د. ردة الله الطلحي، ط. جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- شروط تدبر القرآن الكريم وموانعه، د. خالد السبت، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، جدة، عدد (١١) (جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ).
- ضوابط أصولية في تدبر القرآن، يوسف بن أحمد مُحَمَّد البدوي، مجلة الجمعية الفقهية السعودية التابعة لكلية الشريعة في جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، عدد (١٥) (صفر/جمادى الأولى/ ١٤٣٤هـ).
- فقه التَّدَبُّر في القرآن الكريم وأثره في تنمية الملكة الفقهية والتفسيرية، مُحَمَّد فتحي مُحَمَّد العتربي، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية لكلية دار العلوم في جامعة القاهرة، مجلد (٧) عدد (٢٥) (١٤٣٢هـ).
- قواعد التفسير جمعًا ودراسةً، د. خالد بن عثمان السبت، ط. ابن عفان، الخبر، السعودية، ط. الأولى (١٤١٧ هـ).
- قواعد وضوابط التَّدَبُّر، أ.د. عمر بن عبدالله المقبل، شارك به في الندوة التي نظمتها وزارة الشؤون الإسلامية في (٥/٢/١٤٣٢هـ) بالرياض، http://www.almoslim.net/node/139579 .
- كيف ننتفع بالقرآن، د. مجدي الهلالي، بحث منشور بمنتديات (مكتوب) بشبكة المعلومات الدولية، على الرابط التالي: (http://majdah.maktoob.com/vb/majdah١٢٥٨١).
- مجالس القرآن (مدخل إلى منهج تدارس القرآن العظيم وتدبره من التلقي إلى التزكية)، فريد الأنصاري، ألوان مغربية للنشر والتوزيع (مكناس)، ومطبعة النجاح الجديدة (الدار البيضاء).

- مداخل أساسية لتدبر القرآن، مُحمَّد مُحمَّد خليفة، قوت الأبرار للنشر والتوزيع بالإسكندرية.
- مفهوم التلاوة والترتيل والتَّدَبُّر في القرآن، منظور بن مُحمَّد بن مُحمَّد رمضان، مجلة جامعة أم القرى، عدد (٣٠) (جمادى الأولى ١٤٢٥هـ).
- وسائل عملية لتدبر القرآن، عبداللطيف التويجري، مجلة البيان بالرياض.
- وقف التَّدَبُّر (معناه وأنواعه وأحكامه)، د. محمود بن عبدالجليل رزون، مكتبة العلوم والحكم، محافظة الشرقية/مصر.

التقويم:

(١) اذكر باختصار أسس تدبر القرآن.

(٢) هناك ستة ضوابط ينبغي العناية بها أثناء تدبر القرآن. اذكرها مع التوضيح المبسط.

(٣) لتدبر القرآن وسائل تعين عليه. اذكر خمسة منها مع التوضيح.

الوحدة الرابعة

مراتب التَّدبُّر ومناهجه وعلومه ومصادره

أهداف الوحدة:

يتوقع من الدارس بعد إنهائه هذه الوحدة أن:

(١) يبين مراتب التَّدَبُّر، والعلاقة بينها.

(٢) يبين مناهج التَّدَبُّر.

(٣) يبين مصادر التَّدَبُّر.

(٤) يميز بين علوم التَّدَبُّر ومصادره.

(٥) يشرح أحكام التَّدَبُّر، وكيفية الإفادة منه في العلوم المتنوعة.

(٦) يستخدم الأدوات اللازمة للتدبر.

مفردات الوحدة:

مراتب التَّدَبُّر ومناهجه وعلومه ومصادره:

الموضوع الأول: مراتب التَّدَبُّر.

الموضوع الثاني: مناهج التَّدَبُّر بحسب العلوم والمجالات.

الموضوع الثالث: علوم التَّدَبُّر.

الموضوع الرابع: مصادر التَّدَبُّر.

عدد المحاضرات:

١٠ محاضرات.

تمهيد:

تبرز حاجة الأمة الماسة إلى العناية بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ؛ إذ فيهما النجاة من القواصم والفوز بالرضوان، فضلاً عن أن علاج كثير من مشكلات الأمة وأزماتها إنما يكمن في آيات الكتاب، وذلك يبرز الحاجة إلى التَّدَبُّر والتفكر لاستخراج هذا الجوهر المكنون.

وأعظم طريق من طرق الرقي والرفعة لهذه الأمة إمعان النظر في كتاب ربها، وحسن تدبر آيات القرآن الكريم، وإجادة قراءة رسائل القرآن الكريم إلى الأمة؛ ليدوم ثباتها على المنهج الذي ارتضاه الله تعالى لها، وهو منهج كل مسلم.

فتضمنت الوحدة مراتب التَّدَبُّر، وأثر التَّدَبُّر في مناهج العلوم وتوسع المجالات، مع بيان أهم علوم التَّدَبُّر ومصادره التي بها يصح ويسلم من الخطأ -بإذن الله تعالى-.

الموضوع الأول
مراتب التَّدَبُّر

خلاصة ما أورده العلماء حول هذه المسألة أن التَّدَبُّر؛ نوعان:

النوع الأول: التَّدَبُّر العام:

وهو: التَّدَبُّر الأولي؛ وهو الذي يتعلق بـ: عامة المخاطَبين؛ وهو التَّدَبُّر الذي يتجه إلى آيات القرآن الكريم التي لا يعذر أحد بجهالة معناها، والاستجابة والانقياد لها، والاتعاظ والعمل بها؛

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [التوبة:٦]؛ (يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الذين أمرتك بقتالهم، وأحللت لك استباحة نفوسهم وأموالهم، ﴿ٱسْتَجَارَكَ﴾؛ أي: استأمنك، فأجبه إلى طلبته ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: القرآن تقرأه عليه وتذكر له شيئًا من أمر الدين تقيم عليه به حجة الله، ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾؛ أي: وهو آمن مستمر الأمان حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾؛ أي: إنما شرعنا أمان مثل هؤلاء ليعلموا دين الله، وتنتشر دعوة الله في عباده.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في تفسير هذه الآية، قال: إنسان يأتيك يسمع ما تقول وما أنزل عليك، فهو آمن حتى يأتيك فيسمع كلام الله، وحتى يبلغ مأمنه، حيث جاء.

ومن هذا كان رسول الله ﷺ يعطي الأمان لمن جاءه، مسترشدا أو في رسالة؛ كما جاءه يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش؛ منهم: عروة بن مسعود، ومكرز بن حفص، وسهيل بن عمرو، وغيرهم واحدًا بعد واحد، يترددون في القضية بينه وبين المشركين، فرأوا من إعظام المسلمين رسول الله ﷺ ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند ملك ولا قيصر، فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم بذلك، وكان ذلك وأمثاله من

أكبر أسباب هداية أكثرهم)[١].

قال مُحَّد الأمين الشنقيطي: معنى هذه الآية الكريمة بإيضاح: أنَّ بعض المشركين إذا أراد أن يسمع ما يقوله رَسُول الله ﷺ؛ ليفهم معنى ما ينزل عليه، ويعرف الأوامر التي يأمر بها، والنواهي التي ينهى عنها، والأشياء التي يدعو إليها؛ ليستيقن في قرارة نفسه أهو حقٌّ فيتبعه أو يعلم أنَّه ليس بحق فيصد عنه، وطلب أن يجار -أن يُؤَمَّن-، وألا يصل إليه أذى حتى يسمع القرآن، ويفهم ما أنزل على النبي؛ ليكون على بصيرة مِنْ أَمْرِهِ في الأَخْذِ والتَّرْكِ- فإنه يجب أن يعطى ذلك الأمان حتى يسمع ويُتلى عليه القرآن، ويُفَهَّم بما فيه من الزواجر والمواعظ، ثم بعد ذلك إن أسلم فبها ونعمت، وإن أصرَّ على كُفْرِهِ وَجَبَ أَنْ يُردَّ إِلَى مَأمنه وهو محل داره التي يأمن فيها. هذا معنى قوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ﴾ طلبك أن تجيره وتؤمنه[٢].

(إن تلاوة القرآن إنما هي إقامة لحجة الله تعالى على المرء؛ حيث بلغه كتاب الله تعالى، ووقف على آياته وتوجيهاته، ولا تزال تلك الحجة قائمة عليه حتى يستجيب لأمر الله تعالى الكامن في آياته، ولن يصل إلى دلالات تلك الآيات ويعرف مضامينها حتى يشغل عقله بتدبر تلك الآيات، ويُعمل ذهنه لاستشراف معانيها، ومعرفة أبعادها ومراميها، وتتبع حكمة الله تعالى في آياته وكلماته، ومن خلال ذلك التأمل يشعر المرء بلذة التلاوة وجمال القراءة، ويقف على إبداع النظم وبلاغته، وجمال التوجيه وبراعته، وجمال المقاصد حسنها، فما يملك أن ينقاد إلى أمر الله -سبحانه وتعالى- في كتابه، ويتضح مما مضى أن القرآن لا تنفك تلاوة كلمات عن تدبر آياته، وتدبر الآيات يحمل النفس على الاستجابة والانقياد لأمر الله تعالى، وكل منها يأخذ بذيل سابقه؛ فالتلاوة تقود إلى التَّدَبُّر، والتَّدَبُّر يحمل على التذكر والاتعاظ، والتذكر يحمل النفس على الاستجابة والانقياد، وهنا يكمن مقصود الله تعالى في إنزال كتاب؛ ﴿كِتَٰبٌ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١١٣/٤).

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٢٨٠/٥).

أَنزَلْنَهُ إِلَيْكَ مُبَرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص:٢٩])[١].

ثم عقب بذكر الغاية من إنزال القرآن الكريم وهو: التَّدَبُّر[٢]؛ قال أبو عبدالرحمن السلمي: قال بعضهم: لا سبيل إلى فهم كتاب الله إلا بقراءته، والتفكر، والتيقظ، والتذكر، وحضور القلب فيه[٣]. وقال بعضهم: من أصابته بركة القراءة رزق التَّدَبُّر في آياته، ومن رزق التَّدَبُّر لم يحرم التذكر والاتعاظ به[٤]. وقال الإمام الطبري: ليتدبروا حجج الله التي فيه، وما شرع فيه من شرائعه، فيتعظوا ويعملوا به[٥]. وقال الحسن: تدبر آيات الله اتباعها[٦]. وعن الحسين -رضي الله عنه- أنه قال في قوله: ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾؛ أي: اتباعه بعمله[٧]. وقال الإمام الشوكاني: وفي الآية دليل على أن الله إنما أنزل القرآن؛ للتدبر والتفكر في معانيه، لا لمجرد التلاوة بدون تدبر[٨].

ومن سماحة الإسلام أنه: إذا جاء أحد المشركين بعد انقضاء الأشهر، وليس بينه وبين الرسول ﷺ عهد مسبق، وطلب من الرسول ﷺ أن يسمع ما يدعو إليه من التوحيد والقرآن؛ فإن له الأمان حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويتطلع حقيقة أمره[٩]. وهذا في غاية حسن المعاملة وكرم الأخلاق، لأن المراد ليس النيل من الكافرين، بل المقصود إقناعهم وهدايتهم حتى يعرفوا الحق فيتبعوه، ويتركوا الكفر والضلال.

فينبغي أن يسمع الخلق كلهم كلام الله؛ لأن له طلاوة تسلب العقول، وتأخذ بالألباب، كما أن كثيراً

---

(١) تدبر القرآن الكريم- الحكم والحكمة، د. أحمد الفريح (ص٣).

(٢) نظم الدرر (٦/٣٨١).

(٣) حقائق التفسير (٢/١٨٥).

(٤) حقائق التفسير (٢/١٨٥).

(٥) جامع البيان للطبري (١٠/٥٧٦).

(٦) الجامع لأحكام القرآن (٨/١٢٦).

(٧) أخرجه سعيد بن منصور، كما في الدر المنثور (٥/٥٧٨).

(٨) فتح القدير (٤/٤٩٤).

(٩) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/١٧٥) بتصرف.

ممن أسلم يذكر أنه قرأ آيات من القرآن الكريم فكانت سبب هدايته.

النوع الثاني: التَّدَبُّر الخاص:

وهو: التَّدَبُّر العميق الذي يتعلق بأهل العلم، فهو التَّدَبُّر الذي يتجه إلى الآيات التي لا يعلم معناها إلا العلماء الراسخون، وإلى ما تشتمل عليه الآيات عموما من المعاني العميقة، والدلالات الدقيقة.

وهذا التقسيم يؤخذ من قول بعضهم: وأما التفسير الذي لا يعذر أحد بجهالته؛ فالمراد به ما هو بيّن بنفسه، يفهمه التالي، وهذا هو الأصل؛ لأن أكثر القرآن يعود إليه، ولأجله جاء الأمر بالتَّدَبُّر؛ كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].

وأما التفسير الذي يعلمه العلماء؛ فهو الذي يدركه أهل التَّدَبُّر العميق، والنظر الدقيق، والبصيرة النافذة الكاشفة. ولا يقتصر على القدر الذي يفهمه المتدبر السطحي، بل يصل إلى ما تشتمل عليه الآيات من معانٍ عميقة، ودلالات دقيقة[(١)]. ودليل ذلك؛ قول ابن عباس -رضي الله عنهما-: التفسيرُ على أربعةِ أوجهٍ: وجهٌ تعرفه العربُ من كلامها، وتفسير لاَ يُعذر أحدٌ بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لاَ يعلمه إلا الله تعالى ذكره[(٢)].

وبمعرفة هذا التقسيم تحلُّ الإشكال الذي يقع عند الحديث عن المخَاطَبِين بتدبر القرآن الكريم؛ حيث يرى فريقٌ من أهل العلم أن تدبر القرآن الكريم واجب على كل مكلّف يفهم الخطاب العربي، بينما يرى بعضهم أن التَّدَبُّر لا يصح إلا من أهل العلم[(٣)].

قال الإمام القرطبي: وفي هذا دليل على وجوب معرفة معاني القرآن[(١)].

---

(١) المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد مكي [المقدمة: ب حاشية رقم ٤].

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (١/٧٥) (ص٧١). والفريابي في القدر (ح٤١٤). والطبراني في الشاميين (٢/٣٠٢) (ح١٣٨٥).

(٣) ينظر في بيان هذا الإشكال تفسير أضواء البيان للشنقيطي (٧/ ٤٥٨- ٤٦٠). وتدبر القرآن للسنيدي (ص٤٧، ص٤٩).

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٨/١٢٦).

وإنَّ حِكم القرآن واستنباط أحكامه درجةٌ من درجات التَّدَبُّر لا يبلغها إلا العالِمون؛ فهي مرتبة تدبر العلماء ومنزلة فهم الفقهاء؛ يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه؛ كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران:١٨٧]؛ فقد ذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله؛ فعلينا نحن المسلمين أن نحذر ما ذمهم الله به، وأن نأتمر بما أمرنا الله به من تعلم الكتاب المنزل إلينا وتعليمه وتفهمه وتفهيمه[١].

قال ابن جرير الطبري: وخصَّ -تعالى ذكرُه- بأنَّ ذلك آياتٌ لأولي النُّهَى؛ لأنهم أهل التفكُّر والاعتبار، وأهل التَّدَبُّر والاتعاظ[٢].

وإنَّ من خصائص القرآن الكريم دقة وجودة التناسب فيه وسبك جُمله مع تفاوت أحوال وأوقات النزول، وعند الجمع بين نصين أو أكثر من نصوصه ينتج معنى جديدًا، وذلك أعظم برهان في تصديق القرآن بعضه لبعض؛ ولذا؛ فإنه إن صحت طريقة استخراج المعاني؛ فلا شك حينئذٍ أن المعنى المستنبط صحيح ومُراد؛ والله تعالى يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء:٨٢]؛ فهذه الآية دعوة لفتح باب الاستنباط بجميع طرقه، وكل معنى صحيح مستنبط من القرآن سواء من دلالة آية مفردة أو من جمع نصيْن فأكثر فستجده في تمام التناسب، ولن تجد فيه أي اختلاف، وهذا أحد أسباب تجدد المعاني، وقد عدّ ابن القيم هذه الطريقة في استخراج المعاني من ألطف طرق فهم النصوص وأدقها[٣].

والفهم نوعان:

النوع الأول: فهمٌ ذهني معرفي.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٢).

(٢) جامع البيان (١٦/٨٦).

(٣) ينظر: إعلام الموقعين (١/٦٦).

والنوع الثاني: فهمٌ قلبي إيماني.

فالنوع الأول: يدخل فيه تفسير الغريب، واستنباط الأحكام، وأنواع الدلالات، وهو الذي يختص بأهل العلم على تفاوت مراتبهم، وهم يغترفون من علومه على قدر ما آتاهم الله تعالى من العلم والفهم.

والنوع الثاني: هو الفهم الإيماني القلبي؛ الذي ينتج عن تأملِ قارئ القرآن لما يمرُّ به من آيات كريمة، يعرف معانيها، ويفهم دلالاتها، فيتوقف عندها متأملاً؛ ليحرك بها قلبه، ويعرض نفسه وعمله عليها، فإن كان من أهلها حمد الله، وإن لم يكن من أهلها حاسب نفسه واستعتب؛ والفهم الثاني هو الغاية، والأول إنما هو وسيلة.

قال الحسن البصريّ: والله ما تَدَبُّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إنّ أحدَهم ليقول: قرأتُ القرآن كلّه ما يُرى له القرآنُ في خُلقٍ ولا عمل[١].

ويقول الحسن: العلم علمان؛ فعلمٌ في القلب: فذاك العلم النافع. وعلمٌ على اللسان: فذلك حجة الله على ابن آدم[٢].

فالتَّدَبُّر -من حيث العموم- واجب على المكلفين، ولكن وجوبه يختلف من مكلف لآخر، بناء على تفاوت مراتبهم في العلم بالقرآن الكريم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧/٦٤).

(٢) تفسير ابن رجب (٢/١٢٦). والدر المنثور (٧/٢١).



قارن بين التَّدَبُّر العام والتَّدَبُّر الخاص في الجدول التالي:

وجه المقارنة	التَّدَبُّر العام	التَّدَبُّر الخاص
معناه	....	....
دليله	....	....
متعلقه	....	....
مثال عليه	....	....

مسألة: تدبر الأعجمي:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾ [التوبة:٦]؛ وسبق بيان الأدلة الصريحة على وجوب فهم القرآن، سواءٌ في الصلاة وتدبره فيها، أو في غيرها، والآيات الواردة فيها محكمة، ولا يتم أداء هذا الواجب لمن لا يفهم اللغة العربية إلا بترجمة القرآن بلغته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وبلوغ الحجة للمكلف على وجه يمكنه به فهمها[١]. وذلك بأن تكون بلغته، اقتضى ذلك ترجمة معاني القرآن والحديث؛ كما يقول شيخ الإسلام رحمه الله: ومعلوم أن الأمة مأمورة بتبليغ القرآن لفظه ومعناه، وكما أمر بذلك الرسول ولا يكون تبليغ رسالة إلا كذلك، وأن تبليغه إلى العجم قد يحتاج إلى

(١) انظر: الجامع في طلب العلم الشريف (١/٣٨٦).

ترجمة لهم، فيترجم لهم بحسب الإمكان. والترجمة قد تحتاج إلى ضرب أمثال لتصوير المعاني، فيكون ذلك من تمام الترجمة(١).

ونصت فتوى اللجنة الدائمة على أنه: يجوز إعطاء ترجمة معاني القرآن الكريم لغير المسلم؛ من أجل البلاغ، ودعوته إلى الإسلام، وتغليبًا لجانب الترجمة(٢).

واستُدل على جواز ترجمة معاني القرآن بالقياس؛ على ما هو حاصل من إجماع الأمة على تفسيره للعامة ومن ليس له من الفهم ما يقوى به على إدراك كل معانيه الدقيقة، وما الترجمة إلا تفسير وإيضاح لغير العربي؛ حتى يفقه القرآن وأحكامه، ويتدبر معانيه ومقاصده.

ويُستدل بالقياس على ما كان من ترجمة التوراة إلى العربية بحضرة النبي ﷺ؛ فقد روى في باب ما يجوز من تفسير التوراة وكتب الله بالعربية وغيرها هذا الرأي؛ استنادًا لقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٩٣﴾ [آل عمران:٩٣]. وما أخبر به ابن عباس -رضي الله عنهما- في قصة أبي سفيان بن حرب -رضي الله عنه-؛ من أن هرقل دعا ترجمانه ليقرأ كتاب النبي ﷺ ويترجمه إليه؛ ونص الكتاب: (بسم الله الرحمن الرحيم، من مُحَمَّد بن عبدالله ورسوله إلى هرقل: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٦٤﴾ [آل عمران:٦٤])(٣)؛ فقرأ الترجمان الرسالة وترجمها إلى هرقل؛ ليعيها ويفهم ما جاء بها.

وقد علق ابن حجر على ما ورد في الحديث من قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ﴾ [آل عمران:٩٣] الآية؛ فقال: وجه الدلالة عند الإمام البخاري: أن التوراة بالعبرانية، فقضية ذلك الإذن في التعبير عنها

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/١١٦-١١٧).

(٢) الفتوى رقم (٢٢٣٣)، مجلة البحوث (٤٤/١١٨). وانظر: الفتويين (٢٢١٧)، (١٦٠١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن (ح٤٤٨٥).

بالعربية[١]، وعكس ذلك يجوز أيضًا بحكم قياس المساوي، فيجوز التعبير عن القرآن العربي بالعبرانية وغيرها، إذ لا فرق؛ بل قد يقال: إن القرآن أولى؛ لأن رسالته عامة، فالضرورة قاضية بترجمة معانيه، بخلاف التوراة فترجمتها للحاجة أو للكمال لا للضرورة لعدم عموم رسالة موسى -عليه السلام-.

وعلق أيضًا على الحديث الذي ذكره البخاري عن ابن عباس عن أبي سفيان -رضي الله عنهم- السابق ذكره؛ فقال: ووجه الدلالة منه؛ أن النبي ﷺ كتب إلى هرقل باللسان العربي، وهرقل لسانه رومي، ففيه إشعار بأنه اعتمد في إبلاغه ما في الكتاب على من يترجم عنه بلسان المبعوث إليه ليفهمه، والمترجم المذكور هو الترجمان، وكذا وقع[٢]. بل الحديث واضح الدلالة في جواز ترجمة معاني القرآن لغير العربية؛ لأن كتاب النبي ﷺ مشتمل على آية قرآنية وهي: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ [آل عمران:٦٤] الآية.

وقد كتب النبي ﷺ بها للنجاشي ملك الحبشة أيضًا، ولملك الفرس كذلك، والثلاثة أعاجم لا يعرفون العربية، ولا يخفى أن في ذلك إذنًا ضمنيًّا منه عليه الصلاة والسلام في ترجمة معنى هذه الآية للغات المذكورة كلها، وقد جاء في الصحيح عن أبي سفيان بن حرب، أن هرقل لما جاءه الكتاب أمر ترجمانه فترجمها له، وما جاز في آية واحدة يجوز مثله في سائر القرآن على الإطلاق[٣].

(وترجمة معاني القرآن جائزة إذا فهم المعنى فهمًا صحيحًا، وعبر عنه من عالم بما يحيل المعاني باللغات الأخرى تعبيرًا دقيقًا يفيد المعنى المقصود من نصوص القرآن، وذلك أداء لواجب البلاغ لمن لا يعرف اللغة العربية؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[١]: وأما مخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم؛

---

(١) فتح الباري (٥١٦/١٣).

(٢) فتح الباري (٥١٦/١٣).

(٣) انظر: ترجمة معاني القرآن الكريم بين التأييد والتحريم، الباحث: السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، مجلة البحوث الإسلامية (ع١٢) (ص٣٠٥) وما بعدها.

(١) درء تعارض العقل والنقل (٤٣/١).

فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك، وكانت المعاني صحيحة؛ كمخاطبة العجم من الروم والفرس والترك بلغتهم وعرفهم، فإن هذا جائز حسن للحاجة، وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه؛ ولهذا قال النبي ﷺ لأم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص -وكانت صغيرة فولدت بأرض الحبشة لأن أباها كان من المهاجرين إليها- قال لها: «**يا أم خالد، هذا سنا**»[(١)]، والسنا بلسان الحبشة: الحسن، لأنها كانت من أهل هذه اللغة؛ ولذلك؛ يترجم القرآن والحديث لمن يحتاج إلى تفهمه إياه بالترجمة، وكذلك يقرأ المسلم ما يحتاج إليه من كتب الأمم وكلامهم بلغتهم ويترجم بالعربية كما أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت: (أن يتعلم كتاب اليهود؛ ليقرأ له ويكتب له ذلك حيث لم يأتمن اليهود عليه)[(٢)(٣)].

ولكن ذلك لن يكون الغاية والمنتهى، بل هو مرحلة أولى لإيصال أصل رسالة الإسلام، وقيام الحجة على العباد به، وذلك أن الفهم والتَّدَبُّر وما يراد بهما من الخشوع والاعتبار؛ إنما يتم بتعلم المسلمين للغة الكتاب الإلهي -اللغة العربية- لا بتحويل الكتاب الإلهي إلى لغاتهم كلها، كما فصّلَه الإمام الشافعي في رسالة الأصول، وأقره جميع المسلمين لسبق الإجماع وجريان العمل على ذلك في الصدر الأول، ويؤكده أن ترجمة القرآن ترجمة صحيحة تؤدي كلَّ ما فيه من المعاني والتأثير كما أراد الله تعالى متعذرة ومستلزمة لتغيير كلام الله، وهذا دليل وسند للإجماع على تحريمها فتعين أن يكون المسلمون تابعين لما أنزل الله تعالى دون أن يكون ما أنزله تعالى تابعًا للغاتهم.

ولا يعقل أن يؤثر المؤمن بالله وبكتابه ورسوله لغة قومه على لغة كتاب الله ورسوله؛ ولهذا كان قدماء العجم من المسلمين يزاحمون العرب بالمناكب في تلقي العربية من أعراب البادية، وفي جميع علومها وفنونها وآدابها كعلوم الشريعة نفسها، وذلك أن إيمانهم كان برهانيًّا وجدانيًّا.

فتقرر بهذا: أن ما لا بد منه من التلاوة في الصلاة؛ وفهم الإسلام يمكن أن يفسر معناه وأن يتدبره

(١) أخرجه البخاري تفسير القرآن (٥٨٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب تَرجمة الحُكَّام، وهل يجوزُ تَرجمان واحد؟ (ح٧١٩٥).

(٣) فتوى اللجنة الدائمة رقم (٢٧٩٢)، مجلة البحوث الإسلامية (٢٧٥/٦).

مترجمًا بما يتمكن به من فهم معناه والاعتبار به.

فمسألة تبليغ الدعوة إلى الإسلام تتطلب وقوفهم على ترجمة معاني القرآن؛ ولذا؛ كانت سببًا بارزًا لإسلامهم، فعرفوا أصول الإسلام ومقاصده الكليَّة أو بعضها، وذلك كافٍ لتفضيله على غيره من الأديان كلها، وإن لم تكن ترجمة معانيه كتأثير أصله العربي المعجز للبشر في إقناع العقول، وهداية القلوب الذي كان سبب اهتداء البشر، وقلب طباعهم، وجمع كلمتهم، وارتفاع رايتهم، وخضوع الأمم والشعوب لهم.

فإذا بُلِّغت هذه الأصول والمقاصد للأعاجم بلغاتهم مع الشواهد دلالة القرآن والسنة عليها، ببيان معاني نصوصهما بالتفسير، وإقامتهما الأدلة عليها من النقل والعقل- فإن ذلك أقرب إلى الإقناع، وأشد تأثيرًا في هداية المستعد للإسلام، وهي الطريقة المثلى للدعوة، وهي التي جرى عليها مسلمو القرون، وشهد بأثرها الشهود، وبذلك انتشر الإسلام في الشرق والغرب، وساد أهله الأمم والشعوب بسرعة لم يعرف لها نظير في التاريخ[(١)].

* * *

(١) انظر: نقض المنطق (ص٩٧-٩٩). والبرهان في علوم القرآن (١/٤٦٥، ٤٦٦). وتفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) (٩/٢٩٠-٢٩٣).

الموضوع الثاني

مناهج التَّدبّر بحسب العلوم والمجالات

تجدّد المعاني في الآيات القرآنية وجهٌ من وجوه إعجازه، (وإن كتاب الله لا تزال تظهر غرائبه وعجائبه متجددة على مرّ الليالي والأيام، ففي كل حينٍ تُفهم منه أشياء لم تكن مفهومة من قبل؛ ويدل على ذلك حديث أبي جحيفة الثابت في الصحيح؛ أنه لما سأل عليًّا -رضي الله عنه-: هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء؟ قال له علي -رضي الله عنه-: لا؛ والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في كتاب الله، وما في هذه الصحيفة[1] الحديث.

فقوله -رضي الله عنه-: (إلا فهمًا يعطيه الله رجلاً في كتاب الله)؛ يدل على أن فهم كتاب الله تتجدد به العلوم والمعارف التي لم تكن عند عامة الناس[2].

وإنَّ إحياء منهج السلف ومن تبعهم بإحسان في تلقي الإسلام وفهمه وتطبيقه والعناية بتوثيق المنقول عنهم في هذا الباب؛ من أهم مجالات تطبيق العلوم الإسلامية[3].

وفي هذا السياق يقول **السّعدي** رحمه الله مبيّنًا **حقيقة التَّدَبُّر**، وما ترمي إليه هذه العبارة من **الخير والفوائد**: (يأمر تعالى **بتدبّر** كتابه؛ وهو **التأمّل** في معانيه، وتحديق الفكر فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازمه؛ ذلك لأن **تدبّر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف**، وبه يُستنتج كل خير وتُستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته، فإنه يعرِّف بالربّ المعبود، وما له من صفات الكمال؛

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فكر الأسير (ح٣٠٤٧).

(٢) أضواء البيان (٢/٢٥٩).

(٣) التجديد في العلوم الإسلامية ودوره في حل مشكلات الواقع المعاصر، ابن صغير محفوظ (ص٣١٨).

وما ينزّه عنه من سمات النقص، ويعرِّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه، ويعرِّف العدوّ الذي هو العدوّ على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب)(١).

فالتَّدَبُّر فيه الحث على **العلم والمعرفة** التي تقود الإنسان في حياته العملية إلى الإبداع والكشف عن سنن وقوانين الكون، وتسخيرها لتنمية الحياة وإعمار الأرض؛ إذ أثنى الله على العلماء ورفع مقامهم، فقرنهم سبحانه وتعالى بذكره حينما قال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران:١٨].

وقال سبحانه: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة:١١].

وكذلك يؤدي إلى **ظهور مجتهدين** في مختلف العلوم الشرعية المختلفة؛ ودليل ذلك ما أنتجوه من مؤلفات وموسوعات علمية هائلة قدّموها للأمة؛ ينمّ عن تفاعل إيجابي بين فهمهم لكتاب الله وإدراكهم لطبيعة الواقع الذي يعيشون فيه؛ مما جعل العالم الإسلامي -آنذاك- مصدرًا لمختلف القيم الحضارية، كما ظهر علماء مسلمون في مختلف العلوم والفنون؛ كالكيمياء، والرياضيات، والطب، والفلك، والحساب، وغيرها من العلوم الكونية، والتي أسهمت إسهامًا فاعلاً في خدمة البشرية ورقيها، وكان المؤمن المتدبر لكتاب الله لهو أقدر على غيره من النظر العقلي في هذا الكون والتعرُّف على أسراره، وتوظيف ذلك في خدمة الإنسانية جمعاء، وتوفير سبل أفضل للحياة الهانئة الكريمة(٢).

قال الإمام الشنقيطي: فإعراض كثير من الأقطار عن النظر في كتاب الله وتفهمه والعمل به وبالسنة الثابتة المبينة له؛ من أعظم المناكر وأشنعها، وإن ظن فاعلوه أنهم على هدى(٣).

إن الناظر في دلالات النصوص القرآنية، وإرشادات النبي ﷺ في أحاديثه؛ توضح له **أهمية العلوم**

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/١٨٩).

(٢) تدبر القرآن بين النظرية والتطبيق، د. رقية العلواني (ص١٩-٢٤) نقل بتصرف.

(٣) أضواء البيان للشنقيطي (٧ /٢٥٦) (ص٢٥٨) باختصار.

الكسبية مقرونة بعلوم الوحي للاستخلاف في الأرض وعمارتها؛ فقد رفع القرآن الكريم المسلمين إلى مستوى من الفهم والإدراك لسنن الله في الكون، حتى أضحوا يفقهون آيات الله المرئية من كتابه المنظور، كما فقهوا آياته المتلوة من كتابه المسطور، فاجتمعت لهم بذلك قراءتان: قراءة الكون، وقراءة الوحي في تناغم وتكاملٍ، بما لم تعرفه أمة من الأمم(١).

وكان سلفنا الصالح أكثر الأجيال فهمًا ووعيًا لقضية الاستخلاف في الأرض وعمارتها من خلال تدبّرهم لآيات القرآن الدالة على ذلك، وأهمية التقدم العلمي كمؤهّل أساس لحمل أمانة الخلافة في الأرض، **فلم يجدوا حرجًا من اقتباس العلوم الكونية** من: الطب، والكيمياء، والفلك، والبصريات، والرياضيات وغيرها، من أمم الحضارات القديمة؛ مثل: اليونان والفرس والروم، وتطوير هذه العلوم بإسهامات بارزة، وكانت تلك الإسهامات على نحو غير مسبوق شمولاً وتميّزًا، وتصحيحًا للمسار، حتى ليخيّل للمطلع على هذه الإسهامات الخالدة كأن لم يكن علوم حياتية أو معارف حضارية قبل المسلمين.

(ويشهد لذلك الانطلاقة الكبرى، والازدهار الهائل اللذان عرفهما العالم الإسلامي على مدار عصور حضارتهم الزاهرة في مجالات العلوم المختلفة، حتى أضحت حواضر المسلمين في بغداد والقاهرة وقرطبة وغيرها قِبلة لطلاب العلم من أقاصي الدنيا ومختلف الملل(٢).

ويشهد لذلك أيضًا: أن كتب العلوم والمعارف؛ من طب، وكيمياء، وزراعة، وفلك وغيرها، كانت مكتوبة بلغة القرآن، وبفكر أبناء القرآن، وكيف كانت تُدرّس في جامعات أوروبا قرابة ستة قرون.

وكتاب الله مليء بما نحتاجه وما يحتاجه العالم أجمع من معانٍ ودلالات وإشارات؛ ولذلك؛ دعا الخلق جميعًا إلى تدبره واستخراج معانيه، فدعا الخلق جميعًا مؤمنهم وكافرهم لتدبر كتابه؛ فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص:٢٩] وفي قراءة: ﴿لِتَدَبَّرُوا ءَايَٰتِهِۦ﴾، ودعا أولي العلم وأهل الفهم والنظر بقوله: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ

(١) سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة، د. حسين شرفة (ص٥٥٢).

(٢) سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة (ص٥٥٢).

مِنْهُمْ ﴾ [النساء:٨٣].

وما دام كتاب الله يتلى؛ فهو الحجة البالغة التي يجب أن ننهل منها المعاني والمعارف والعلوم التي تصلح الفرد والمجتمع في الدارين؛ فالله تعالى يقول: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [العنكبوت:٥١].

وعلى هذا؛ فينبغي على المسلمين -عامةً-، وطلاب العلم -خاصةً- أن يتجهوا نحو كتاب ربهم أولاً؛ فيحفظوه ويفهموه ويتدبروه ويطبّقوه؛ فهو أصل لكل العلوم، ومفتاح لغيره من الفهوم.

وهذا ليس بالمستحيل أو المستصعب؛ فالله ﷻ وَعَد بالتيسير والفتح في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر:١٧]، ووعْده ﷻ لا يتخلف أبدًا.

(ومن يدرس آيات القرآن في تكاملها في كل موضوع على حدة؛ يجد معرفة متكاملة في كل شيء؛ وعند ذلك يتبين له كيف تألفت في العقول على عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام- النظرة الكافية في كل موضوع اشتمل عليه التعليم القرآني، ويتبين له أيضًا مدى عمق الإيمان في قلوب أولئك الذين تلقوا دعوة الإسلام وحملوها)[١].

* * *

---

(١) انظر: الإسلام وتنمية العلم والبحث العلمي، يوسف السلطان (ص١٩٩٨)، معهد الكويت للأبحاث العلمية. ومضمون القرآن الكريم، مُحَمَّد أبو ريدة (ص١٩٩٢)، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت.

الموضوع الثالث
علوم التَّدَبُّر

أولاً: علوم القرآن:

إن متدبر القرآن الكريم يحتاج لعلوم القرآن المتصلة به؛ ليستعين بها في معرفة مآلات ما تدل عليه الآيات، وليكون انتفاعه بالآية أعظم، وليأمن الوقوع في الخطأ؛ ومن أهمها:

(١) علم أسباب النزول:

إنَّ معرفة أسباب النزول تعين على فهم النص القرآني، مع الانتباه أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

فالإمام الشاطبي يقول: معرفة أسباب التنزيل؛ لازمة لمن أراد علم القرآن[(١)].

وقال الإمام ابن دقيق العيد: بيان سبب النزول؛ طريق قوي في فهم معاني القرآن[(٢)].

وقال الإمام ابن تيمية: معرفة سبب النزول؛ تعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبب[(٣)].

والإحاطة بجميع روايات أسباب النزول ليست من شروط التَّدَبُّر، (والاعتقاد بأن تدبر كتاب الله تعالى يتوقف على الإحاطة بها واستحضارها؛ تفويت لحظ النفس من كتاب الله وحرمان من إدراك روحه وجوهره)[(٤)]؛ وإنما المقصود الوقوف على ما صح مما روي فيه؛ لئلا يقع المتدبر في الخطأ.

---

(١) الموافقات للشاطبي (٣/٣٤٧).

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١/١٩٠).

(٣) مقدمة التفسير: (ضمن مجموع الفتاوى) لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/٣٣٩).

(٤) الفوز الكبير في أصول التفسير لولي الله الدهلوي (ص١٠٥).

(٢) علم الناسخ والمنسوخ:

علم الناسخ والمنسوخ يعين على فهم القرآن فهمًا دقيقًا؛ والمراد بالنسخ: رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي؛ ولذلك؛ يُشترط في النسخ أن يكون الدليل على ارتفاع الحكم خطابًا شرعيًّا متراخيًا عن الخطاب المنسوخ حكمه، وألا يكون الخطاب المرفوع حكمه مقيدًا بوقت معين، وإلا فالحكم ينتهي بانتهاء وقته ولا يُعَد هذا نسخًا؛ ولقد جاء عن الصحابة ﷺ ما يبين أهمية هذا العلم في فهم القرآن، قال ابن مسعود ﷺ: والله الّذي لا إله غيره؛ ما أنزلت سورةٌ من كتاب الله إلاَّ أنا أعلمُ أين أُنزلت، ولا أُنزلت آيةٌ من كتاب الله إلاَّ أنا أعلَمُ فِيم أُنزلت، ولو أعلم أحدًا أَعلَم منِّي بكتاب الله تبلغه الإبل لركبتُ إليه[١].

(٣) علم المحكم والمتشابه:

أشهر الآيات في معاني كلام الله عز وجل؛ هي آية المتشابه التي في سورة آل عمران.

وقد تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية كثيرًا عن هذه الآية، وتحدث من قبله من أهل العلم عن هذه الآية، وبينوا ما تحمله من معاني صحيحة لهذه الآية؛ يقول الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾[آل عمران:٧].

وهذه آية عظيمة مشتملة على كثير من الأحكام والفوائد المتعددة.

وقد وردت آيات في بيان أن القرآن جميعه محكم، ووردت آيات أن القرآن جميعًا متشابه.

وآية واحدة في أن بعضه محكم، وبعضه متشابه.

والخلاصة: أن معنى أن القرآن جميعه محكم: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾[هود:١]؛ أي: أن جميعه متقن، وأنه ليس فيه خطأ ولا زلل، وأنه منضبط في أخباره وقصصه وأحكامه وعقائده.

وأما معنى أن القرآن كله متشابه: ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِىَ﴾[الزمر:٢٣]؛ أي: أنه يشبه بعضه بعضًا، فإن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ (ح٥٠٠٢). وأخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبدالله بن مسعود وأمه (ح٢٤٦٣).

الحق يشبه بعضه بعضًا. فمعاني القرآن متشابهة، فهذا هو معنى المتشابه.

وأما معنى أن بعضه محكم وبعضه متشابه؛ فقد تحدث عنها أهل العلم كثيرًا؛ ومختصر القول فيها هو: أن المحكم هو الواضح المعنى الواضح الدلالة بحيث يفهمه الإنسان، والذي ليس فيه إشكال، كما قال الله عز وجل في وصفه للمحكم: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾؛ يعني: أصل الكتاب.

فأساس القرآن محكم واضح بين ليس فيه إشكال، وليس مختلف الدلالة بحيث يشكل عليهم.

والمتشابه هو: المعنى الغامض الذي يحتمل أكثر من معنى.

والمتدبر لا بد له من معرفة المحكم؛ ليرد إليه ما تشابه عليه من آي القرآن ومعانيه ودلالاته.

(٤) علم مقاصد القرآن الكريم:

يُستمدُّ الكلام في مقاصد القرآن الكريم من شمولية القرآن الكريم لكل مناحي الحياة؛ في الاعتقاد والتعبد والمعاملات والأخلاق. وتتضح العلاقة في مخاطبة هذا القرآن للإنسان؛ فقد (خاطب عقله بالتَّدَبُّر والتأمل، وخاطب قلبه بالموعظة والتذكير، وخاطب جوارحه بتعليمها ما أراد الله عزَّ وجلَّ منها، كلُّ ذلك مذكورٌ في كتاب الله عزَّ وجلَّ، فهو شاملٌ لكل شيءٍ في حياة الإنسان)[(١)].

وهذا يفتح الباب للعقل في التجوُّل بالفكر في ميادين التَّدَبُّر، مع مراعاة ألا يخالف ذلك ما نصَّ عليه الشرع، فلا يحكم على جواز ولاية المرأة بما جاء في قصة ملكة سبأ مثلاً، لمخالفته للسياق؛ وهو مجيء ذلك للخبر لا التشريع، ولأنها وردت على سبيل استنكار ولايتها عليهم[(٢)]، ولمصادمته صريح السنة في ذلك[(٣)]. فمراعاة الشمول في المقاصد القرآنية أمرٌ مهمٌ، ولكن بالانضباط بالأصول التي يقوم عليها التَّدَبُّر.

(٥) علم مناسبات القرآن الكريم:

---

(١) أفلا يتدبرون القرآن (ص٢٢٠).

(٢) الاستدلال الخاطئ بالقرآن والسنة على قضايا الحرية (ص٦٤٤).

(٣) لحديث أبي بكرة -ﷺ-: ((لن يفلح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأةً))، رواه البخاري في كتاب الفتن، باب الفتن تموج كموج البحر (ح٦٦٨٦).

إن سور القرآن كلها مترابطة فيما بينها برباط وثيق، ومناسبة لطيفة، مع الإشارة إلى أنَّ هذه المناسبات قد تظهر وقد تغمض وقد تكون متكلفة، ولكن **يدركها المتدبرون**؛ قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]؛ والتناسب أنواعٌ:

النوع الأول: مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها.

إنَّ فواتح السور وخواتمها وجه مشرق من وجوه الإعجاز القرآني؛ ولذلك؛ اهتم بها العلماء أيما اهتمام؛ فقاموا يتلمسون التناسب الدقيق بين أجزاء التركيب القرآني، فأبرزوا ذلك بشكل جلي واضح، وكان من ذلك وجه التناسب بين فاتحة السورة وخاتمة غيرها؛ وله مسلكان:

المسلك الأول: تناسب لفظ فاتحة السورة لخاتمة ما قبلها:

فواتح السور متعددة الأنواع؛ فنجد فيها:

١ - الثناء على الله؛ مثل: الإسراء، والكهف.

٢ - الأحرف المفردة؛ مثل: البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم.

٣ - النداء؛ مثل: النساء، والمائدة، والطلاق، والتحريم.

٤ - الشرط؛ مثل: التكوير، والانفطار.

٥ - الأمر؛ مثل: الإخلاص، والفلق، والناس.

٦ - الاستفهام؛ مثل: الإنسان، والنبأ.

٧ - الدعاء؛ مثل: المعوذتين.

٨ - القسم؛ مثل: الفجر، والبلد، والشمس، والليل، والضحى.

٩ - الخبر؛ مثل: القمر، والرحمن، والحديد، والمجادلة.

١٠ - الحمد؛ مثل: سبأ، وفاطر.

١١ - التسبيح؛ مثل: الصف، والجمعة.

وتتنوع خواتم السور:

١ – الدعاء؛ مثل: الفاتحة، والبقرة.

٢ – وحدانية الله؛ مثل: التكوير، والانفطار.

٣ – خبر الكافرين؛ مثل: النازعات، وعبس.

٤ – خبر المؤمنين؛ مثل: المطففين، والانشقاق.

٥ – الثناء على الله؛ مثل: الأنبياء، والحج.

٦ – التسبيح؛ مثل: يس، والصافات.

٧ – التنبيه؛ مثل: فصلت، والشورى.

٨ – ذكر الخاص بعد العام؛ مثل: الحجرات، وسورة ق.

والتناسب قائم بوضوح بين السور المسبحات، التي افتتحها الله تعالى بإحدى صيغ التسبيح، وكذا بين الحامدات المفتتحة بصيغة الحمد لله، والسور المفتتحة بـ ﴿حم﴾، ومثلها الطواسين؛ وهي السور التي بدأها الله بأحرف (طس) وما زاد عليها، وذلك من حيث التشابه في البدء وفي الموضوع.

وربما كانت المناسبة من هذا النوع دقيقة بعض الشيء بما يحتاج إلى تدبر؛ مثال: سورتي الحج والمؤمنون: فآخر الحج أمر للمؤمنين بالإخلاص لله والاعتصام بدينه، وأول سورة المؤمنون يقدم البشرى بالفلاح على ذلك.

كما فيما بين العنكبوت والروم: فخاتمة العنكبوت ذكرت المجاهدين في سبيل الله ومعونته لهم، وفاتحة الروم ذكرت أن الحرب سجال ودول، غير أن العاقبة لأصحاب الشريعة السماوية.

المسلك الثاني: التناسب في الموضوع في كل سورة:

وهذا مسلك أعمق وأدق في الملاحظة؛ حيث يربط بين في السورتين؛ ومن أمثلة ذلك ما يلي:

- بين سورة الفاتحة والبقرة؛ يمكن القول بأن: سورة البقرة تفصيل لإجمال سورة الفاتحة.

- وبين سورتي البقرة وآل عمران؛ يمكن القول بأن: سورة البقرة بينت قبح اليهود، بيانًا واقعيًّا من

خلال واقع حياتهم؛ مما يبعث في النفوس المطمئنة بغضًا عظيمًا، ونفورًا بعيدًا من اليهود، ثم جاءت سورة آل عمران لتعلن أن اليهود (ليسوا سواءً)؛ فلقد كان منهم آل عمران الذين اصطفاهم الله (مع آدم ونوح وآل إبراهيم)؛ فعمران، وامرأته، وابنتهما مريم، وحفيدهما عيسى ابن مريم: كل أولئك كانوا صالحين على خلاف بني إسرائيل، بدليل أنه جاء منهم عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

- وبين سورة الطلاق والتحريم والملك؛ يمكن القول بأن:

في سورة التحريم يقرر الله قاعدة عقدية عظيمة؛ وهي: أن التحريم حق خالص لله، لا يجوز لأحد - مهما كان- أن ينازع الله فيها ولو كان رسول الله ﷺ، وفي سورة الطلاق قبلها أمر بأن يكون التحريم - فيما أذن الله فيه لعباده أن يحرموه- على منهجه تعالى في التحريم.

ثم تأتي سورة الملك لتثبت أن الملك كله لله لا ينازعه فيه أحد؛ وكأنها بذلك تقدم تبريرًا لانفراد الله بتحريم الحرام وإباحة الحلال.

فهذه السور الثلاث بهذا الترتيب تتلخص في جمل متراصة:

- إذا حرمتم شيئًا مما أذن الله لكم بتحريمه؛ فلا تحرموا إلا على منهج الله؛ فإنه لا يجوز لأحد أن يحرم شيئًا من دون الله؛ لأن الله -سبحانه وتعالى- هو مالك الملك كله.

النوع الثاني: التناسب داخل السورة الواحدة: وهذا التناسب مجالان:

الأول: التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها.

وهذا يسمى: ترابط الأطراف، أو: رد العجز على الصدر. وهو يعرفنا على الانسجام الكامل بين أول السورة ونهايتها[(١)].

ومن أمثلة هذا النوع في سورة البقرة مثلاً: فاتحتها ثناءٌ على المتقين الذين آمنوا بالقرآن وما فيه، واهتدوا بهداه، وخاتمة السورة شهادة لهم بالإيمان الذى حققوه. وكرر ذكر هذا الغيب وأثني على المؤمنين به في آخر السورة كما في فاتحتها.

(١) ينظر: الأصلان، د. القيعي (ص٦٣).

ونحوها سورة الممتحنة: فأولها وآخرها اجتمعا على نهي المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء سواء أكانوا مشركين أم أهل كتاب.

الثاني: التناسب بين اسم السورة وموضوعها:

وهذا مبحث عظيم يبرز الأسرار الكامنة وراء أسماء السور القرآنية، بما يقتضيه ذلك من كون أسماء السور ثابتة؛ ومثال ذلك:

- سورة يوسف تشتمل على عبر وعظات تتلخص في السورة نفسها، فليس موضوع السورة الأسف والحزن الذي يدل عليه معنى كلمة يوسف، ألا يكون المناسب أنه هو النبي الذي تدور حوله أحداث السورة تناسب أن تسمى باسمه؟

- وسورة الحجرات؛ فمعنى هذا الاسم مأخوذ من الحجر بمعنى المنع، والحجرات جمع حجرة؛ وهي: المكان المحجور عليه بجدار محيط به، والمراد بالحجرات هنا بيوت النبي ﷺ، والسورة الكريمة في مجمل موضوعها تدور في فلك الحجر على بعض السلوكيات الاجتماعية السيئة وتطهير المجتمع المسلم منها؛ مثل: سوء الاستئذان على البيوت، والأخذ بنميمة الفاسق، والتقاتل، والاستهزاء، والتنابز بالألقاب، والغيبة، ونحو ذلك مما يتنافى مع الآداب الإسلامية العظيمة[(١)].

ثانيًا: التفسير وأصوله:

كم يحيد عن الحق من لا يرجع إلى أصول التفسير وأقوال المفسرين؛ إذ هو بذلك يجعل كتاب الله ألعوبة لكل أحمق أن يقول في كتاب الله ما يشاء!

ولا شك أن مِن حق كل أحد أن يفهم كلام ربه -جل وعلا-، بل يجب عليه أن يتدبره ويتأمله؛ كما قال الله جل وعلا: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، ولكن لا يحل بوجه من الوجوه أن

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر (ص٢٢٧-٢٣١).

يفسره للناس من ليس من ذوي الدراية به والأهلية[1]، فمن لم تتوفر فيه شروط المفسر يحرم عليه أن يفسر كلام الله تبارك وتعالى؛ صيانةً للقرآن الكريم من جهل الجاهلين، وعبث العابثين، وضلال المضلين، بل إن هذا من القول على الله بغير علم الذي هو أعظم الموبقات وأجل المهلكات التي اتفقت الشرائع وأجمعت الرسل قاطبةً على تحريمه. وهو قرين الشرك[2].

بل جعله بعضهم أشد جرمًا من الشرك بالله عز وجل؛ واستدل بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣]، وذلك أن الآية تدرجت من الأصغر إلى الأكبر.

قال ابن سعدي رحمه الله: ومن أعظم القول على الله بلا علم أن يتأول المتأول كلامه أو كلام رسوله على معاني اصطلح عليها طائفة من طوائف الضلال، ثم يقول: إن الله أرادها، فالقول على الله بلا علم من أكبر المحرمات وأشملها، وأكبر طرق الشيطان التي يدعو إليها، فهذه طرق الشيطان التي يدعو إليها هو وجنوده، ويبذلون مكرهم وخداعهم على إغواء الخلق بما يقدرون عليه[3]. ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء:٣٦]؛ قال الشنقيطي: نهى جل وعلا في هذه الآية الكريمة عن إتباع الإنسان ما ليس له به علم، ويشمل ذلك قوله: رأيت ولم ير، وسمعت ولم يسمع، وعلمت ولم يعلم، ويدخل فيه كل قول بلا علم[4].

فالقول في بيان معنى كلام الله عز وجل ليس بالأمر الهيّن حتى يتجاسر عليه ويستسهله فاقد الأهلية فيه، فكما لا يحق للطبيب مزاول الهندسة، ولا المهندس امتهان الطب؛ لأن كل واحد منهما لا يحسن

---

(١) ينظر رسالة: (المفسر- شروطه وآدابه ومصادره) للباحث أحمد قشيري (ص٦٢).

(٢) قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/٢٧٤): وظاهر حديث معاذ يدل على أن أكثر ما يدخل الناس به النار النطق بألسنتهم؛ فإن معصية النطق يدخل فيها الشرك، وهي أعظم الذنوب عند الله عز وجل، ويدخل فيها القول على الله بغير علم وهو قرين الشرك.

(٣) تيسير الكريم للسعدي (ص٨١).

(٤) أضواء البيان (٣/١٤٥).

مهنة غيره، بل قد يحدث من جراء ذلك مصائب ومهالك، فكذلك لا يجوز لغير العالم المتضلع بعلوم القرآن وأصول التفسير ومقوماته، بل هو من الجرأة على كتاب الله تبارك وتعالى.

والقدر الذي يحتاجه المتدبر من التفسير وأصوله هو:

ما يعينه على معرفة طرق التفسير التي اتفق عليها العلماء؛ من تفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وبأقوال الصحابة ثم من بعدهم، واللغة، وأوجه ذلك -ولو بإجمالٍ-، وما يعينه على معرفة المروي عن النبي ﷺ؛ لئلا يخالفه أو يحيد عنه لغيره، والمروي عن الصحابة؛ إذ فهمهم أولى لشهادة الله لهم ولمشاهدتهم تنزل القرآن وأحواله وأحداثه وقصصه وأسبابه، ولأنهم من أولى الناس بفهم الكلام المنزل في زمنهم.

ومعرفة ما به يتم رفع ما يتوهم من الإشكال والتعارض بين دلالات النص الشرعي، أو بين أقوال السلف في التفسير، فيعلم به طرق الجمع أو الترجيح وقواعد ذلك، وطرق الاستدلال له.

ثالثًا: اللغة والبلاغة:

العناية بفهم معنى اللفظة ودلالتها اللغوية:

نزل القرآن بلسان عربي؛ كما قال عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف:٢]؛ ونزوله بهذا اللسان بحاجة إلى معرفة باللغة ودلالاتها؛ وذلك أنه نزل بأوسع اللغات تأدية للمعاني واجتمع فيه من هذه المعاني أقصى ما يمكن أن تتحمله الألفاظ والتراكيب الفصيحة والبليغة.

قال ابن كثير في تفسيره هذه الآية: (وذلك لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس؛ فلهذا؛ أنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض؛ وابتدأ إنزاله في أشرف شهور السنة وهو رمضان فكمل من كل الوجوه)[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣٦٥).

لا يتم الواجب إلا به فهو واجب[١].

وإذا كان من المعلوم أن القرآن العظيم نزل بلغة العرب؛ فألفاظه أفصح الألفاظ، وتراكيبه أقوى التراكيب، ولن يؤتي التَّدَبُّر أُكُلَه، ولن تنضج ثمرته حقًّا؛ إلا إذا اعتنى المتدبر باللغة التي نزل بها هذا القرآن، وذلك أن المفردة القرآنية تحتاج إلى أمرين:

الأول: فهم معناها، إذا كانت من قبيل الغريب، وهذا يستعان عليه بكتب غريب القرآن، وتفسيره.

الثاني: أنَّ لِذَات المفردة -وإن لم تكن غريبة- سرًّا في اختيارها دون ما سواها من الألفاظ التي يُظَنُّ لأول وهلة أنها مترادفة من كل وجه.

وقال ابن عاشور في بيان سبب وفرة معاني القرآن: منها؛ أن تلك اللغة أوفر اللغات مادة، وأقلها حروفًا، وأفصحها لهجة، وأكثرها تصرفًا في الدلالة على أغراض المتكلم، وأوفرها ألفاظًا، وجعله جامعًا لأكثر ما يمكن أن تتحمله اللغة العربية في نظم تراكيبها من المعاني، في أقل ما يسمح به نظم تلك اللغة، فكان قوام أساليبه جاريًا على أسلوب الإيجاز؛ فلذلك؛ كثر فيه ما لم يكثر مثله في كلام بلغاء العرب[٢].

فنزول القرآن بلسان العرب من شأنه أن تتسم ألفاظه بالمرونة والغناء اللذين يساعدان على تجدد المعنى؛ بحيث ترى للكلمة الواحدة عدة معانٍ لا تنكرها اللغة بحسب الوضع، ولا ترفضها الشريعة من حيث العمل والاعتقاد، وتطلب هذه المعاني بحاجة إلى تفكر وتدبر وإعمال ذهن.

وإن كتابًا يحتمل لفظه وسياقه وتراكيبه من المعاني ما لا يحتمله أي كتاب آخر، وتتعدد معانيه بحسب ما يلابس اللفظ من تغيّر في القراءة أو الوقف، أو تتعدد المعاني في اللفظ أو السياق؛ فإن تجدد المعاني فيه نتيجة حتمية وخاصية من خصائصه.

لكن التفطن لهذه المعاني والوقوف على ذلكم الثراء لا يدركه إلا المتدبّرون المتفكّرون، والعاكفون على فهم كلام رب العالمين، حتى يُخرجوا للأمة ما ينفعهم في دينهم ودنياهم ويقودوا الأمة بهذا الكتاب إلى عزٍ

---

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٥٢٧).

(٢) التحرير والتنوير (١/٩٨).

الإسلام وفلاح المسلمين، ولا يكون هذا -بعد توفيق الله تعالى- إلا بالتَّدَبُّر، وهذا ما حدا بابن عاشور أن يقرر ذلك؛ فيقول: (**وإنك لتمر بالآية الواحدة فتتأملها وتتدبرها فتنهال عليك معانٍ كثيرة يسمح بها التركيب** على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي، وقد تتكاثر عليك فلا تملك من كثرتها في حصر، ولا تجعل الحمل على بعضها منافيًا للحمل على البعض الآخر إن كان التركيب سمحًا بذلك، وقد أراد الله تعالى أن يكون القرآن كتابًا مخاطبًا به كل الأمم في جميع العصور؛ لذلك؛ جعله بلغة هي أفصح كلام بين لغات البشر وهي اللغة العربية)(١).

فتجدد المعاني حينئذٍ نتيجة من نتائج تدبر القرآن وتفهم المعاني للانتفاع به، سواء أكان النفع ذاتيًّا للمتدبر أم متعديًا للأمة.



نشاط جماعي:

يُقسم الدارسون إلى مجموعات، ويقومون باختيار بعض المفردات اللغوية الواردة في القرآن، ومعرفة مرادفاتها في اللغة، ومحاولة تدبر سبب اختيار هذه المفردات دون مرادفاتها. وذلك من خلال الجدول التالي:

المفردة القرآنية	معناها	مرادفاتها في اللغة	مناسبتها دون غيرها

(١) والتحرير والتنوير (١/٩٨).

رابعًا: التزكية:

التجرد من الأهواء والتصورات والنظريات السابقة، وجُعل القرآن متبوعًا لا تابعًا، وحاكمًا لا محكومًا، وأصلاً لا فرعًا:

وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: وليس لأحدٍ أن يَحْمِلَ كلامَ اللهِ ورسولِهِ على وِفْقِ مذهبِهِ إِنْ لم يتبينْ مِنْ كلامِ اللهِ ورسولِهِ ما يدلُّ على مرادِ اللهِ ورسولِهِ؛ وإلا فأقوالُ العلماءِ تابعةٌ لقولِ اللهِ تعالى ورسولِهِ، ليس قولُ اللهِ ورسولِهِ تابعًا لأقوالِهِم(١).

فمن أراد الفهم الصحيح لكتاب الله عليه أن يُقيّدَ نفسه باتباع القرآن والسنة وعدم مخالفتهما، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١]، قال ابن كثير: لا تسرعوا في الأشياء بين يديه؛ أي: قبله، بل كونوا تبعًا له في جميع الأمور، حتى يدخل في عموم هذا الأدب الشرعي حديث معاذ؛ إذ قال له النبي ﷺ حين بعثه إلى اليمن: «بم تحكم؟» قال: بكتاب الله. قال: «فإن لم تجد؟» قال: بسنة رسول الله. قال: «فإن لم تجد؟» قال: أجتهد رأيي. قال: «فضرب رسول الله ﷺ في صدره، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله»(٢).

فالغرض منه أنه أخَّر رأيه ونظره واجتهاده إلى ما بعد الكتاب والسنة، ولو قدمه قبل البحث عنهما؛ لكان من باب التقديم بين يدي الله ورسوله(٣)، وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه: اتّخذ كتاب الله إمامًا، وارض به قاضيًا وحكمًا، فإنّه الّذي استخلف فيكم رسول الله ﷺ، شفيع مطاع، وشاهد لا يتّهم، فيه ذكركم وذكر

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٥/٧).

(٢) مسند أحمد (٣٣٣/٣٦) (ح٢٢٠٠٧). قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف؛ لإبهام أصحاب معاذ وجهالة الحارث بن عمرو، لكن مال إلى القول بصحته غير واحد من المحققين من أهل العلم؛ منهم: أبو بكر الرازي، وأبو بكر ابن العربي، والخطيب البغدادي، وابن القيم. قال الخطيب في الفقيه والمتفقه (١٨٩/١-١٩٠): إن أهل العلم قد تقبلوه واحتجوا به، فوقفنا بذلك على صحته عندهم ... .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣٦٤/٧).

من قبلكم، وحكم ما بينكم، وخبركم وخبر ما بعدكم[١]. والتزكية؛ وصف عام تدخل فيه قضايا كثيرة لها أثر في التوفيق للحق وحسن فهم النصوص الشرعية وجمال الاستنباط.

دخول كثير من واقع حياة الناس تحت عموم ألفاظ القرآن:

اتسم الأسلوب القرآني بالعموم الذي يتناول العموم في الأفراد والأزمان والأقطار، كما أن في جمله وألفاظه قيودًا صالحة لأن تكون متعلقة بأكثر من جهة؛ فينتج عن ذلك تعدد المعاني.

وهذه الطريقة أشار لها ابن تيمية بقوله: فإن نصوص الكتاب والسنة اللذين هما دعوة محمد ﷺ يتناولان عموم الخلق بالعموم اللفظي والمعنوي أو بالعموم المعنوي، وعهود الله في كتابه وسنة رسوله **تنال آخر هذه الأمة كما نالت أولها**[٢].

وقال ابن عاشور: ومن أساليب القرآن المنفرد بها التي أغفل المفسرون اعتبارها؛ أنه يرد فيه استعمال اللفظ المشترك في معنيين أو معانٍ، إذا صلح المقام بحسب اللغة العربية، لإرادة ما يصلح منها، واستعمال اللفظ في معناه الحقيقي والمجازي، إذا صلح المقام لإرادتهما؛ **وبذلك؛ تكثر معاني الكلام**[٣].

ومن عجيب فهم الصحابة لإعمال العموم في استنتاج معانٍ جديدة؛ ما فهمه ابن عباس -رضي الله عنه- من قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء:٣٣]، فقد فهم من هذه الآية معنى في الولايات والسياسات، وأن معاوية -رضي الله عنه- ستؤول إليه الخلافة، وقد كان[٤]، ولم يمنعه ورود البيان النبوي أن يفهم من عموم اللفظ هذا المعنى.

وقد بيّن ابن كثير كيف فهم ابن عباس -رضي الله عنهما- هذا المعنى وأنه لا يخالف المعنى المتبادر

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (١/٢٥٢-٢٥٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٤٢٥).

(٣) التحرير والتنوير (١/١٢٣).

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥/٢٨٤). وابن كثير (٢/٣٨١). والطبراني في الكبير (١٠/٢٦٣) (ح١٠٦١٣). والبيهقي في الشعب (٨/١٠٧) (ح١٦٠٨٠).

الظاهر؛ فقال: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَانًا﴾؛ أي: سلطة على القاتل، فإنه بالخيار فيه إن شاء قتله قودًا، وإن شاء عفا عنه على الدية، وإن شاء عفا عنه مجانًا، كما ثبتت السنة بذلك، وقد أخذ الإمام الحبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية السلطنة وأنه سيملك؛ لأنه كان ولي عثمان، وقد قتل عثمان مظلومًا -رضي الله عنه-، وكان معاوية يطالب عليًّا -رضي الله عنه- أن يسلمه قتلته حتى يقتص منهم؛ لأنه أموي، وكان علي -رضي الله عنه- يستمهله في الأمر حتى يتمكن ويفعل ذلك، ويطلب علي من معاوية أن يسلمه الشام فيأبى معاوية ذلك حتى يسلمه القتلة، وأبى أن يبايع عليًّا هو وأهل الشام، ثم مع المطاولة تمكن معاوية وصار الأمر إليه، كما تفاءل ابن عباس واستنبط من هذه الآية الكريمة، وهذا من الأمر العجب[١].

ومما يدخل في هذه الطريقة: ما يكون في القرآن من تعليق تحقق أمرٍ ما أو انتفائه بتحقق أوصاف أو أسباب أو مسببات، فكل من حقق هذا الوصف في أي زمن من الأزمان؛ فهو داخل في عموم هذه الأوصاف، وقل مثل ذلك في تحقق الأسباب أو انتفائها.

ومثال ذلك من القرآن: تأمل في أوصاف المنافقين الذين نزل القرآن فاضحًا لأفعالهم؛ كيف تتجدد معاني هذه الآيات وتنطبق على أي مجتمع يظهر فيه النفاق في القديم والحديث؟

نشاط

ومن أمثلة ذلك في القرآن أيضًا:

(١) ....

(٢) ....

(٣) ....

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/٧٣).

ومما يدخل في هذا العموم كذلك: السنن الإلهية التي ذكرها الله في كتابه، وما كونها سنة وعادة إلا لأن لفظها يتناول عموم الزمان والأوقات، فعندما يكثر المدّعون للخير والإصلاح في الأوطان والمجتمعات ويختلط الحق بالباطل، يجري الله من الأحداث والوقائع التي تتميّز فيها الصفوف ما يصلح أن يكون تفسيرًا لقوله: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾ [آل عمران:١٧٩].

نشاط

وكذلك من أمثلة السنن الإلهية:

الآية	السنة الإلهية المستنبطة منها
....	....
....	....
....	....

الموضوع الرابع
مصادر التَّدَبُّر

أولاً: القرآن الكريم:

إنَّ جمع الآيات القرآنية أو بعضها ذات العلاقة بالآية -ما يُعرف بتفسير القرآن بالقرآن-؛ يُعين على فهم الآية وتدبرها؛ وذلك لأن القرآن الكريم يصدِّق بعضه بعضًا، ويفسِّر بعضه بعضًا؛ قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، قال ابن تيمية: أصح الطرق في ذلك أن يُفسّر القرآن بالقرآن؛ فما أُجمل في مكان فإنه قد فُسِّر في موضع آخر، وما اختُصر من مكان فقد بسط في موضع آخر [(١)].

ومن أوجه كون القرآن مصدرًا؛ ما يلي:

١- الجمع بين معنى قراءتين أو أكثر لاستنتاج معانٍ أخرى:

فكما أن الجمع بين نصين أو أكثر طريقة من طرق تدبر القرآن، فكذلك ما يكون في تنوع المعنى الناتج عن اختلاف القراءة، بجمع حاصل معنى القراءتين أو القراءات المختلفة في اللفظ، وهذا مظهر بديع من مظاهر تجدد المعاني، الأمر الذي يتطلب معه الكشف عن الروابط والتناسب بين هذه الألفاظ.

كما أن هذه الطريقة تعد مسلكًا من مسالك التناسب قل التطرق إليه في باب المناسبات، فإذا كان التناسب بين آيتين أو بين أوّل السورة وخاتمتهما من بديع أسلوب القرآن، فما ظنّك بالتناسب في اللفظ الواحد الذي اختلف فيه نوع من أنواع التغاير؛ لا شك أنه آكد وأقوى.

وذلك؛ بأن المتدبر يجتهد في الربط بين القراءتين ومعرفة وجه المناسبة بينهما، كما يجتهد في بيان وجه

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٦٣/١٣).

مناسبة كل قراءة مع سياق الآية.

خذ مثلاً على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام:٥٧]؛ فقد ورد فيها قراءتان: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾؛ لنافع وأبي جعفر وابن كثير وعاصم، و ﴿يقضِ الحق﴾ لباقي القراء[1]؛ ومعناها: أنه جل وعلا يقضي القضاء الحق، ولما كان القضاء هو الفصل في الحكم والقطع به؛ ذيّل الآية بقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾، أما القراءة الأخرى ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ فهي من قصّ الحديث وتتبّع الأثر، وهذا القص متناسب مع تذييل الآية بقوله: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾، وهكذا تنوع المعنيان وتغايرا في دلالتهما على فعل الله جل وعلا دون تعارض بينهما، فإذا ما تطلبنا المناسبة بين القراءتين وحاصل المعنيين؛ ظهر لنا معنى آخر؛ وهو أن الله تعالى يبيّن لنا منهجًا ربانيًّا في قضائه جل وعلا وكيف أنه قص لنا حال الشاكرين والمجرمين وفصّله وهو في غنى عن ذلك جل وعلا؛ فهو أحكم الحاكمين، ولكن حتى يستبين الطريق وتتضح الحجة، ثم يكون قضاؤه تبارك وتعالى بتعجيل العذاب أو إمهاله ولا معقِّب لحكمه تبارك وتعالى.

وهكذا القاضي لا يستطيع أن يفصل في القضية حتى يقص الأثر ويتتبعه، ويستفصل منه فإذا استبان له؛ فصَل في القضية وحكم بما ظهر له، فهذا التناسب بين القراءتين وجه من أوجه تجدد المعاني وثرائها.

٢- الجمع بين الآيتين في استنباط وتدبر المعاني:

إن القرآن الكريم بما اختص به من دقة وجودة في التناسب والسبك مع تفاوت أحوال وأوقات النزول، يسمح بجمع نصين أو أكثر من نصوصه التي ينتج عنها معنى جديد وذلك أعظم برهان في تصديق القرآن بعضه لبعض؛ ولذا؛ فإنه إن صحت طريقة استخراج المعاني فلا شك حينئذٍ أن المعنى المستنبط صحيح ومُراد؛ والله تعالى يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢] فهذه الآية دعوة تتضمن فتح باب الاستنباط بجميع طرقه، وكل معنى صحيح مستنبط

---

(١) ينظر: النشر في القراءات العشر (٢/٢٥٨).

من القرآن سواء من دلالة آية مفردة أو من جمع نصيْن فأكثر؛ فستجده في تمام التناسب ولن تجد فيه أي اختلاف وهذا أحد أسباب تجدد المعاني، وقد عدّ ابن القيم هذه الطريقة في استخراج المعاني من ألطف طرق فهم النصوص وأدقها[1].

فقد تردُ بعضُ الآياتِ مبيّنةً لحكم ما، وتردُ آيةٌ أخرى مبيِّنةً لحكمٍ آخر، فيكونُ بجمعِ الآيتينِ بيانٌ لحكمٍ جديد لا يدلُّ عليه أحدُ الآيتين على انفرادِها.

قال ابن القيِّم -في معرض حديثه عن طرق فهم النصوص وتفاوت الناس في ذلك-: وأخص من هذا وألطف، ضمّه إلى نص آخر متعلق به فيفهم من اقترانه به قدرٌ زائدٌ على ذلك اللفظ بمفرده، وهذا باب عجيب من فهم القرآن لا يتنبه له إلا النادر من أهل العلم؛ فإن الذهن قد لا يشعر بارتباط هذا بهذا وتعلقه به[2]، وبهذه الطريقة في جمع النصوص بيّن النبيّ ﷺ معنى الظلم للصحابة؛ فعن عبدالله بن مسعود ﷺ أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]؛ شقّ ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟! فقال رسول الله ﷺ: «ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]»[3]. ففهم الصحابة أنهم هم المعنيّون، فسألوا النبي ﷺ فبيّن لهم أن الظلم المراد به في الآية هو الشرك، فهان الأمر عليهم.

وبهذه الطريقة -في جمع النصوص-؛ فهم عليٌّ وابن عباس -رضي الله عنهم- أنَّ أقلَّ مُدَّةِ الحَمْلِ ستَّةُ أشهرٍ، وذلك بالجمع بين قولِه تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان:١٤]، وقولِه: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:١٥]؛ قال السيوطي: (أخرج ابنُ أبي حاتم عن معمر بن عبدالله الجُهَنيّ؛ قال: تزوَّجَ رجلٌ منَّا امرأةً، فولدتْ لتمامِ ستَّةِ أشهرٍ، فانطلقَ إلى

(١) ينظر: إعلام الموقعين (٦٦/١).

(٢) المصدر السابق (٢٦٧/١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين، باب ما جاء في المتأولين (ح٦٩٣٧).

عثمان، فأمرَ برجْمِها. فقال عَلِيٌّ: أمَا سمعتَ اللهَ يقولُ: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ وقال: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ فكم تَجِدُ بَقِيَ إلاَّ ستَّةُ أشهرٍ؟ فقالَ عثمانُ: والله ما تفطَّنْتُ لهذا)[١].

نشاط

من خلال دراستك لتفسير القرآن؛ هات مثالين على تفسير القرآن بالقرآن، يتضح بهما معنى جديد.

المثال الأول: ....

....

المثال الثاني:..

....

ثانيًا: السنة:

إنَّ جمع الأحاديث النبوية ذات العلاقة بالآية –ما يُعرف بتفسير القرآن بالسنة–؛ يُعين على فهمها وتدبرها، فمن الواجب لكي نفهم القرآن الكريم فهمًا صحيحًا بعيدًا عن التحريف، والانتحال، وسوء التأويل، أن نفهمه في ضوء السنة النبوية؛ لأن القرآن الأساس، والسنة شارحة له، وهي البيان النظري، والتطبيق العملي للقرآن، وما كان للبيان أن يناقض المبيَّن، ولا الفرع أن يعارض الأصل[٢]؛ ولهذا؛ لا توجد سنة صحيحة ثابتة تعارض محكمات القرآن، وإذا ظن بعض الناس وجود ذلك؛ فلا بد أن تكون السنة غير صحيحة، أو يكون فهمنا لها غير صحيح، أو يكون التعارض وهميًّا لا حقيقيًّا؛ قال ابن تيمية: فإن أعياك ذلك؛ فعليك بالسنة؛ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له؛ بل قد قال الإمام الشافعي: كل ما

(١) الإكليل في استنباط التَّنْزيل (ص١٩٤). وينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/٢٨٠)، وقد ذكر ابن كثير مثله عن ابن عباس (٦/٣٣٦)، (٧/٢٨٠).

(٢) أزمة الفهم في الصحوة الإسلامية ليوسف فرحات (١/٢١).

حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء:١٠٥]، ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**»[1]، يعني السنة، والسنة أيضًا تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن؛ لا أنها تتلى كما يتلى، والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة.

وكما قال ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «**بم تحكم؟**» قال: بكتاب الله. قال: «**فإن لم تجد؟**» قال: بسنة رسول الله. قال: «**فإن لم تجد؟**» قال: أجتهد رأيي. قال: «**فضرب رسول الله ﷺ في صدره، وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله**»[2][3].

وأن إكمال الدين في قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣]؛ هو إكمال البيان المراد لله تعالى، الذي اقتضت الحكمة تنجيمه، فكان بعد نزول أحكام الاعتقاد، التي لا يسع المسلمين جهلها، وبعد تفاصيل أحكام قواعد الإسلام التي آخرها الحجّ بالقول والفعل، وبعد بيان شرائع المعاملات، وأصول النظام الإسلامي، بعد ذلك كلّه قد تمّ البيان المراد لله تعالى في قوله: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل:٨٩]، وقوله: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]؛ بحيث صار مجموع التشريع الحاصل بالقرآن والسنّة، كافيًا في هدي الأمّة في عبادتها، ومعاملتها، وسياستها، في سائر عصورها، بحسب ما تدعو إليه

---

(١) مسند أحمد (٤١٠/٢٨) (ح١٧١٧٤). قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح.

(٢) مسند أحمد (٣٣٣/٣٦) (ح٢٢٠٠٧). قال شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف؛ لإبهام أصحاب معاذ، وجهالة الحارث بن عمرو، لكن مال إلى القول بصحته غير واحد من المحققين من أهل العلم؛ منهم: أبو بكر الرازي، وأبو بكر ابن العربي، والخطيب البغدادي وابن القيم. قال الخطيب في الفقيه والمتفقه (١٨٩/١-١٩٠): إن أهل العلم قد تقبلوه واحتجوا به، فوقفنا بذلك على صحته عندهم ... .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٦٣/١٣-٢٦٤) بتصرف.

حاجاتها، فقد كان الدين وافيًا في كلّ وقت، بما يحتاجه المسلمون[1].

فإعراض كثير من الناس عن **التَّدَبُّر في كتاب الله تعالى**، والنّظر فيه، وتفهّمه، والعمل به، **وبالسنّة الثابتة المبيّنة له**، في جميع المجالات الحيوية، اجتماعيًّا، واقتصاديًّا، وتربويًّا، وثقافيًّا، وسياسيًّا، وما إلى ذلك من الأمور التي تحتاج إليها الأمّة (أفرادًا وجماعات)- هو من أعظمِ المناكر وأشنعِها، وإن ظنّ فاعلوه أنهم على هدى، باتباعهم مناهج غربية علمانية مستوردة، والله المستعان[2].

نشاط

من خلال دراستك للسنة؛ هات مثالين على تفسير القرآن بالسنة، ووضح دور السنة في فهم وتدبر معاني القرآن الكريم.

المثال الأول: ....

....

المثال الثاني: ....

....

ثالثًا: أقوال السلف:

إنَّ الوقوف على المعاني التي قالها السلف؛ ينفع في تدبر القرآن، فما ورد عن السلف في التفسير نوعان:

أحدهما: يتعلق ببيان المعنى؛ سواء أكان هذا البيان من جهة اللغة أم من جهة الشرع أم جهة العرف. فهذا لا سبيل للخروج عنه، ولا تصح مخالفته؛ لأن القول في التفسير -الذي هو بيان المعنى- متوقف على السماع. وقد صرّح السيوطي -رحمه الله- بالإجماع على ذلك؛ فقال: (وعلم التفسير إنما هو يتلقى من الأخبار، ويسلك فيه مسالك الآثار ...، وانحصار التفسير في السماع كلمة إجماع، والنهي عن القول

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٣٣/٤).

(٢) انظر في هذا المعنى كلام الشيخ/ محمد الأمين الشنقيطي في أضواء البيان (٣٥٨/٧).

في القرآن بالرأي ملأ الأسماع)[١].

والثاني: يتعلق بما وراء المعنى، وما يدل عليه اللفظ، من استنباط حكم أو تنزيل للآية على ما يشمله معناها؛ فهذا الذي لا ينحصر القول فيه على السماع، وهو المقصود بقول علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- لما سأله أبو جحيفة السوائي -رحمه الله-: هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله؟ فقال علي -رضي الله عنه-: (لاَ، وَالَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، مَا أَعْلَمُهُ إِلا فَهْمًا يُعْطِيهِ اللَّهُ رَجُلاً فِي القُرْآنِ ...)[٢].

قال ابن الجوزي: وَقَوله: (إِلا فهمًا)؛ يَعْنِي: مَا يفهم من فحوى الكلام وَيدْرك من بواطن الْمعَانِي[٣].

وقال ابن المنير: فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ أَشْيَاءُ مَكْتُوبَةٌ مِنَ الْفِقْهِ الْمُسْتَنْبَطِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وَهِيَ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: (أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رجل ...)[٤].

فالرجوع إلى أقوال العلماء عند تدبر الآيات -وفي مقدمتهم السلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين الكرام-؛ يُعين على فهمها وتدبرها؛ لذلك؛ يقول ابن تيمية: (وحينئذٍ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السن؛ة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة؛ فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصوا بها؛ ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح؛ لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين)[٥]، وقال أيضًا: (إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة؛ فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين)[٦].

وفي المعنى ذاته؛ يقول عمر بن عبدالعزيز: (سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمور بعده سُننًا؛ الأخذ بها

---

(١) باختصار من مقدمة حاشية السيوطي على البيضاوي المسماة بـ(نواهد الأبكار وشوارد الأفكار) (١/٧). وينظر كلامه في اقتصار التفسير على النقل في مقدمة كتابه (قطف الأزهار في كشف الأسرار) (١/٨٩-٩١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير (ح٣٠٥٩)، طبعة دار التأصيل.

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي (١/١٩٦).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١/٢٠٤).

(٥) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/٢٦٤).

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/٢٦٨).

تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوّة على دين الله، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها، ولا النّظر فيما خالفها، من اقتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر فهو منصور، ومن خالفها واتّبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولّى وأصلاه جهنّم وساءت مصيرًا)[١].

ثم إنا نستعين على فهم كتاب الله بـ: التفاسير المتداولة المعتبرة؛ ومن أجلها لدينا: تفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، وكذا البغوي، والبيضاوي، والخازن، والحداد، والجلالين، وغيرهم، وعلى فهم الحديث، بشروح الأئمة المبرزين: كالعسقلاني والقسطلاني على البخاري، والنووي على مسلم، والمناوي على الجامع الصغير[٢]. ولا سيما الذين يعتنون بالتفسير مع أقوال السلف، لما لهم من جهد في توضيح أقوال السلف وشرحها وطريقة التعامل مع الخلاف فيها.

نشاط

اذكر مشاهير الصحابة والتابعين والعلماء المعتبرين في القرون المفضلة الذين عدهم العلماء أئمة وأعلامًا في التفسير، ودوِّن أسماءهم في الجدول التالي:

عصر الصحابة	عصر التابعين	عصر تابعي التابعين

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم (١/١٥٩).

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية الرقمية لعلماء نجد الأعلام (١/٢٢٨).

رابعًا: اللغة:

أ/ معرفة مدلولات ألفاظ الكلمة القرآنية:

إنَّ معرفة مدلولات ألفاظ الكلمة القرآنية وذلك بالرجوع إلى معاجم اللغة ودواوين الشعر وغيرها، يساعد على الفهم والتَّدَبُّر، وممن اعتنى بذلك ونصح به ابن عباس ﷺ حيث يقول: (إذا سألتموني عن عربية القرآن، فالتمسوه بالشعر فإن الشعر ديوان العرب)(١)؛ فكي تُفهم دلائل الكتاب والسنة على الوجه الصحيح؛ لا بد من معرفة لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم، والتي خاطب بها رسول الله ﷺ أصحابه؛ ولهذا؛ تواتر اعتناء علماء الأمة وأئمتها بلغة القرآن حتى يوضع خطاب الشارع في موضعه اللائق به شرعًا.

قال الإمام الشافعي: (وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره؛ لأنه لا يعلم من إيضاح جمع علم الكتاب أحدٌ جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشُّبه التي دخلت على من جهل لسانها، فكان تنبيه العامة على أن القرآن نزل بلسان العرب خاصة نصيحة للمسلمين، والنصيحة لهم فرض لا ينبغي تركه)(٢).

وقال ابن عبدالبر: (ومما يستعان به على فهم الحديث ما ذكرناه من العون على كتاب الله ﷻ؛ وهو العلم بلسان العرب، ومواقع كلامها، وسعة لغتها، وأشعارها، ومجازها، وعموم لفظ مخاطبتها، وخصوصه، وسائر مذاهبها لمن قدر، فهو شيء لا يُستغنى عنه، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يكتب إلى الآفاق أن

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١٩٨/٢).

(٢) الرسالة للشافعي (ص٢٠).

يتعلموا السنّة والفرائض واللحن -يعني النحو- كما يُتعلم القرآن)[١].

وقال ابن تيمية: (ولا بد في تفسير القرآن والحديث من أن يعرف ما يدل على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يفهم كلامه، فمعرفة العربية التي خوطبنا بها ممّا يُعين على أن نفقه مراد الله ورسوله بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإن عامة ضلال أهل البدع كان بهذا السبب، فإنهم صاروا يحملون كلام الله ورسوله على ما يدّعون أنه دال عليه، ولا يكون الأمر كذلك)[٢].

ب/ ما تضمنه أسلوب القرآن من دلالات إضافية:

فكما أن لدلالات الألفاظ أثرٌ في تجدد المعاني؛ فكذلك الدلالات الإضافية **مما يفهم من إشارات الآية، وفحوى الخطاب، وعادات القرآن، والمقدم والمؤخر في الكلام**- باب عظيم في استخراج المعاني يهبه الله من يشاء من عباده؛ كما قال ابن القيم: (دلالة النصوص نوعان: حقيقية وإضافية؛ فالحقيقية: تابعة لقصد المتكلم وإرادته، وهذه الدلالة لا تختلف. والإضافية تابعة لفهم السامع، وإدراكه، وجودة فكره، وقريحته، وصفاء ذهنه، ومعرفته بالألفاظ ومراتبها، وهذه الدلالة تختلف اختلافاً متباينًا بحسب تباين السامعين في ذلك)[٣].

فما فهمه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- من دنو أجل النبي ﷺ من قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:٣]؛ حين بكى فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص[٤]؛ ففهمه رضي الله عنه لم يكن في الآية ما يدل عليه دلالة لفظية، إلا أنه فهم ذلك من عادة الله تعالى في نظام الكون والحياة.

ومن ذلك ما رواه ابن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (٢/٣٢٤).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/١١٦).

(٣) إعلام الموقعين (١/٢٦٤)

(٤) أخرجه الطبري في التفسير (٨/٨١).

بعضهم: لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم. قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم. قال: وما رأيته دعاني يومئذٍ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ [النصر:١-٢] حتى ختم السورة، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئًا، فقال لي: يا ابن عباس، أكذاك تقول؟ قلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه اللهُ له: إذا جاء نصر الله، والفتح؛ فتح مكة، فذاك علامة أجلك: فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم(١).

فما ذكره الصحابة -رضي الله عنهم- موافق لما عليه ظاهر الآية، ولكن أراد عمر بن الخطاب أن يريهم دقة فهم ابن عباس -رضي الله عنهما- وما وهبه الله من النظر في المعاني، وقد علق ابن حجر على هذا الحديث بقوله: (وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم)(٢).

فهذه الطريقة من طرق تجدد المعاني؛ هبة من الله تعالى يهبها من يشاء من عباده؛ ومن ذلك ما جاء عن أبي جحيفة، قال: قلت لعلي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ قال: لا، إلا كتاب الله، أو فهمًا أعطيه رجل مسلم، أو ما في هذه الصحيفة، قال: قلت: فما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر(٣).

وتأمُّل هذا المعنى في أقوال المفسرين يعين على فهم مرامي كلامهم، وحمله على ما يمكن أن يحتمل في فهم مراد الله من ذلك، وقد طبق ذلك ابن القيم عند تعليقه على قول عكرمة ومجاهد في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ۝١ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ۝٢﴾ [العاديات:١-٢]؛ حيث قال عكرمة: هي الألسنة تورى نار

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي (ح٤٢٩٤).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٧٣٦/٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب كتابة العلم (ح١١١).

العداوة بعظيم ما نتكلم به[١]، وقال مجاهد: هي أفكار الرجال تورى نار المكر والخديعة في الحرب[٢]؛ حيث ضعّف القولين من جهة دلالتهما على المعنى الظاهر، ثم عقّب وقال: وهذه الأقوال إن أريد أن اللفظ دلّ عليها وأنها هي المراد؛ فغلط، وإن أريد أنها أخذت من طريق الإشارة والقياس؛ فأمرها قريب، وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول؛ تفسير على اللفظ: وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى: وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة والقياس: وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم.

وهذا لا بأس به بأربعة شروط:

- ألاّ يناقض معنى الآية.
- وأن يكون معنى صحيحًا في نفسه.
- وأن يكون في اللفظ إشعار به.
- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم، فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة؛ كان استنباطا حسنًا[٣].

وممن دعا إلى إعمال هذه الطريقة في استنباط المعاني؛ ابن سعدي وهو يشير إلى طريقة تدبر القرآن؛ حيث قال: ألا يكون المتدبر مقتصرًا على مجرد معنى اللفظ بمفرده، بل ينبغي له أن يتدبر معنى اللفظ، فإذا فهمه فهمًا صحيحًا على وجهه، نظر بعقله إلى ذلك الأمر والطرق الموصلة إليه وما لا يتم إلا به وما يتوقف عليه، وجزم بأن الله أراده، كما يجزم أنه أراد المعنى الخاص، الدال عليه اللفظ.

والذي يوجب له الجزم بأن الله أراده أمران:

أحدهما: معرفته وجزمه بأنه من توابع المعنى والمتوقف عليه.

---

(١) تفسير الرازي (٢٣/٣٦٠).

(٢) تفسير الرازي (٢٣/٣٦٠).

(٣) التبيان في أقسام القرآن (ص٧٨).

والثاني: علمه بأن الله بكل شيء عليم، وأن الله أمر عباده بالتَّدَبُّر والتفكر في كتابه.

وقد علم تعالى ما يلزم من تلك المعاني، وهو المخبر بأن كتابه هدى ونور وتبيان لكل شيء، وأنه أفصح الكلام وأجله إيضاحًا؛ فبذلك يحصل للعبد من العلم العظيم والخير الكثير، بحسب ما وفقه الله له، وقد يخفى في بعض الآيات مأخذه على غير المتأمل صحيح الفكرة[(١)].

وقد اعتبر ابن عباس -رضي الله عنهما- **علم المقدم والمؤخر** في القرآن؛ من الحكمة؛ فقال: في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩]؛ يعني: المعرفة بالقرآن؛ ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، **ومقدمه ومؤخره**، وحلاله وحرامه، وأمثاله[(٢)].



تعد اللغة مصدرًا من مصادر تدبر القرآن، إلا أن لاستخدامها ضوابط ينبغي على المتدبر أن يعيها جيدًا، وهذه الضوابط المستفادة من خلال دراستك هي:

(١) ....

(٢) ....

(٣) ....

(٤) ....

(٥) ....

(٦) ....

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٧٣٢).

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٥/٥٧٦) (ح٦١٧٧). وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٥٣١) (ح٢٨٢٢) وبنحوه (٢/٥٩٣) (ح٣١٧٤).



جرى استعراض أربعة مصادر من مصادر تدبر القرآن؛ قم بتلخيص ما استفدته في الجدول التالي:

	مصادر التَّدَبُّر			
	القرآن	السنة	أقوال السلف	اللغة
أهميته في التَّدَبُّر	....	....	....	....
دليله	....	....	....	....
ضوابطه	....	....	....	....
مثاله	....	....	....	....

جهد التعلم / ملف الإنجاز:

يمكن أن يقوم الدارس بالجهد التالي:

أ- قراءة جزءٍ من المصحف من خلال كتاب (القرآن تدبر وعمل)، ويحلل التَّدَبُّرات المذكورة فيه؛ من جهة: مراتبها، ومناهجها، والعلوم التي كانت مصدرًا فيها أو لها.

ب- يقرأ مجموعة من التَّدَبُّرات المنشورة في كتاب أو على الشبكة (على أن تكون من مصدر موثوق)، ثم يقوم بتحليل: مراتبها، ومناهجها، وعلومها، ثم يعرضها على أستاذ المقرر.

مصادر التعلم:

- التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، دار عَمَّار بعَمَّان.
- تعليم تدبر القرآن الكريم، أساليب عملية ومراحل منهجية، د. هاشم بن علي الأهدل، مركز الشاطبي للدراسات والمعلومات القرآنية (١٤٢٨ هـ).
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، مُحَمَّد عبدالخالق عضيمة (١٤٠٤هـ)، تصدير: محمود مُحَمَّد شاكر، نشر: دار الحديث، القاهرة، (ط. بدون).
- زاد المهاجر إلى ربه (المسماة بـ: الرسالة التبوكية)، لابن القيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: د. مُحَمَّد جميل غازي، نشر: مكتبة المدني بجدة، (ط. بدون).
- طريقك إلى الاستمتاع بالقرآن (دراسة موضوعية لألفاظ التلاوة والتَّدَبُّر والترتيل في الكتاب العزيز)، عبدالرحمن بن مُحَمَّد البردعي، دار طيبة الخضراء بمكة.
- فقه التَّدَبُّر في القرآن الكريم وأثره في تنمية الملكة الفقهية والتفسيرية، مُحَمَّد فتحي مُحَمَّد العتربي، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية لكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، مجلد (٧) عدد (٢٥) (١٤٣٢هـ).

- كيف نتدبر القرآن، فواز زمرلي، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
- كيف نعلم أبناءنا تدبر القرآن الكريم، د. هشام الأهدل، مجلة المعرفة، عدد (١٦٢) (رمضان/١٤٢٩هـ).
- كيف ننتفع بالقرآن الكريم (خطوة نحو تدبر أمثل)، د. أحمد البراء الأميري، مؤسسة الريان ببيروت.
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل صالح السامرائي، جامعة الشارقة، بحث منشور على الشبكة في موقع صيد الفوائد، والمكتبة الشاملة.
- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (دراسة الأسباب رواية ودراية)، د. خالد ابن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، بالدمام، ط. الأولى، (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، ط. دار العلمية (٢٠٠٠م).
- مدى ممارسة معلم القرآن الكريم الأنشطة التدريسية اللازمة لتحقيق التَّدَبُّر، زيد بن علي الغيلي، وعبدالله بن عثمان المنصوري، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية بجدة، مجلد (٢٥)، عدد (٢) (٢٠٠٩م).
- معالم منهجية في فقه القرآن الكريم، عبدالعزيز بن مُحَمَّد السحيباني، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، مجلد (٤٤) عدد (١٥٥) (٢٠١٠م).
- معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، عبدالقادر مُحَمَّد الحسين، رسالة دكتوراه، دمشق، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، (١٤٣٣ هـ).
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، أ.د. مُحَمَّد حسن جبل، ط. مكتبة الآداب بالقاهرة (٢٠١٠م).
- مفاتح تدبر القرآن الموصلة إلى النجاح في الحياة الدنيا والآخرة، د. عثمان فوزي علي، ونزار علي عبد، مجلة (سُرَّ مَن رأى) لجامعة سامراء، مجلد (٥)، عدد (١٣)، (كانون الثاني/٢٠٠٩م).

- مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن مُحَمَّد بن المفضل (المعروف بالراغب الأصفهاني)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم بدمشق، ودار الشامية ببيروت، ط. الأولى، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
- المفسر شروطه وآدابه ومصادره، للباحث/ أحمد قشيري سهيل، رسالة ماجستير، مكتبة الرشد، ط. الأولى (١٤٢٩هـ).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بهاء الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط. الثانية (١٤١٣هـ).

التقويم:

(١) فرّق بين التَّدَبُّر العام والتدر الخاص للقرآن الكريم.

(٢) (إن متدبر القرآن الكريم يحتاج إلى مجموعة من العلوم التصلة بالقرآن ليستعين بها في معرفة مآلات ما تدل عليه الآيات، وليكون انتفاعه أعظم. من هذه العلوم: أسباب النزول ـ التفسير ـ اللغة).

في ضوء ذلك وضح فائدة كل علم من هذه العلوم لمتدبر القرآن الكريم.

(٣) اذكر مصدرًا من مصادر تدبر القرآن الكريم ووضح دوره في فهم الآية وتدبرها.

الوحدة الخامسة

مناهج أبرز المفسرين في التّدبُّر

أهداف الوحدة:

يتوقع من الدارس بعد إنهائه هذه الوحدة أن:

(١) يبين معالم منهج كتب التفسير في تدبر القرآن.

(٢) يبين مسائل تدبر القرآن التي أفاد بها مؤلفٌ ما، وعلاقتها بما قبله من المؤلفين عمومًا.

(٣) يميز بين مناهج العلماء في تدبر القرآن الكريم وتطبيقاتهم له في مؤلفاتهم.

(٤) يستخرج مسائل تدبر القرآن من كتب الدراسات القرآنية، ويقارنها.

مفردات الوحدة:

الموضوع الأول: نماذج من المفسرين المحققين:

النموذج الأول: معالم التَّدَبُّر عند الإمام البغوي؛ في كتابه: معالم التنزيل.

النموذج الثاني: معالم التَّدَبُّر عند الإمام ابن كثير؛ في كتابه: تفسير القرآن العظيم.

النموذج الثالث: معالم التَّدَبُّر عند الإمام السعدي؛ في كتابه: تيسير الكريم الرحمن.

النموذج الرابع: معالم التَّدَبُّر عند الإمام الشنقيطي؛ في كتابه: أضواء البيان.

النموذج الخامس: معالم التَّدَبُّر عند الإمام ابن عاشور؛ في كتابه: التحرير والتنوير.

الموضوع الثاني: نماذج من مؤلفي كتب التَّدَبُّر:

معالم التَّدَبُّر في كتاب (المعين على تدبر الكتاب)، مجد بن أحمد مكي.

عدد المحاضرات:

٨ محاضرات.

تمهيد:

أدرك علماؤنا ﷺ سر عظمة القرآن؛ فطاروا بعجائبه، وعاشوا مواعظه وحلاوته، بما في ذلك التَّدَبُّر الذي كان سببًا في تغيير حياة كثير من الأمة الذين كانوا يسمعون القرآن فيقولون والله إنه ليس بقول البشر، وما هي إلا لحظات تفكر وتدبر قليلة حتى يدخل ذلك الرجل في الإسلام، ويصبح من عباد الله الصالحين، فلا شيء أنفع من قراءة القرآن بالتفكر والتَّدَبُّر، فإنه جامع منازل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله، وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه، يقول ابن القيم رحمه الله: (ليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده من تدبر القرآن وجمع الفكر على معاني آياته)[١].

وقد كان للعلماء في مختلف العصور جهدٌ بارز، ولصعوبة حصره وتتبعه؛ آثرنا عرض خمسة منهم يمثلون قرونًا مختلفة، وثلاثة ممن كتبوا تفاسيرهم في تدبر القرآن قصدًا.

وذلك ليستقرئ الدارس أمثلة واقعيةً في مجال تدبر القرآن، سواء كانت في كتب المفسرين أم غيرها من الكتب الإسلامية التي لا تخلو من الاستدلال بالآيات، أو من الكتب التفسيرية التي كتبت قصدًا لتعين المسلم على تدبر كتاب الله تعالى؛ فيستطيع الإفادة منها علميًّا وعمليًّا بإذن الله تعالى.

(١) موسوعة فقه القلوب (١٢٩٧/٢) لمحمد بن إبراهيم التويجري، بيت الأفكار الدولية. وفصل الخطاب في الزهد والرائق والآداب (٥/ ١٧١) لمحمد نصر الدين مُحَمَّد عويضة.

الموضوع الأول

نماذج من المفسرين المحققين

النموذج الأول

معالم التَّدَبُّر عند الإمام البغوي (٥١٦هـ)

في كتابه: معالم التنزيل[١]

هذا عرضٌ موجز يبرز أهم الجوانب التي تعرض لها البغوي -رحمه الله- في التَّدَبُّر من خلال تفسيره: معالم التنزيل في تفسير القرآن، مع ذكر الأمثلة لكل جانب من تلك الجوانب:

أولاً: معنى التَّدَبُّر عند البغوي -رحمه الله-:

هو: النظر في آخر الأمر، ودبر كل شيء آخره.

العلاقة بين مفهوم التَّدَبُّر والمصطلحات القريبة منه عنده:

يظهر أن البغوي —رحمه الله- لا فرق عنده بين التَّدَبُّر والتفكر والتعقل وغيرها من المصطلحات؛ فهو يراها كلها متقاربة تؤدي غرضًا واحدًا وهو الاتعاظ والانتفاع، وبيان ذلك عند تدبره الآيات التي فيها حث على التَّدَبُّر؛ فمثلاً في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢]؛ يعني: أفلا يتفكرون في القرآن[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد:٢٤]؛ (أي: فلا تفهم مواعظ القرآن وأحكامه)[٣].

---

(١) تم تلخيص هذا العرض من بحث الطالب (سعيد أحمد بن لعل بادشاه)؛ الذي تقدم به في السنة التحضيرية في قسم التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة للعام الجامعي (١٤٣٦/١٤٣٧هـ).

(٢) معالم التنزيل للبغوي، ط. دار طيبة (٢/٢٥٤).

(٣) المرجع السابق (٧/٢٨٧).

وفي قوله تعالى:﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾ [ص:٢٩]؛ أي: ليتدبروا ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾ وليتفكروا فيها؛ قرأ أبو جعفر ﴿لِتَدَبَّروا﴾ بالتاء وتخفيف الدال، قال الحسن: تدبر آياته: اتباعه[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةً﴾ [العنكبوت:٣٥]؛ (عبرة ظاهرة ﴿لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾ يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول)[٢].

ثانيًا: معالم منهج البغوي في تدبر القرآن الكريم:

ويظهر ذلك من خلال النقاط التالية:

(١) تدبره للمناسبات بين الآيات:

ليس من عادة البغوي الإكثار من ذلك، ولكن قد يشير إليه في بعض الآيات التي يصعب على القارئ معرفة ذلك.

مثاله في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٩٧﴾ [المائدة: ٩٧]؛ فإن قيل: أي اتصال لهذا الكلام بما قبله؟ قيل: أراد أن الله عز وجل فجعل الكعبة قيامًا للناس؛ لأنه يعلم صلاح العباد كما يعلم ما في السماوات وما في الأرض، وقال الزجاج: قد سبق في هذه السورة الإخبار عن الغيوب والكشف عن الأسرار، مثل قوله تعالى:﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [المائدة:٤١]؛ ومثل إخباره بتحريفهم الكتب، ونحو ذلك، فقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ راجع إليه[٣].

(٢) تدبره الأمثال القرآنية:

مثاله في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمٌّۢ بُكۡمٌ

(١) المرجع السابق (٧/٨٨).

(٢) المرجع السابق (٦/٢٤١).

(٣) المرجع السابق (٣/١٠٤).

عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾ [البقرة:١٧١]؛ (والنعيق والنعق: صوت الراعي بالغنم؛ معناه مثلك يا مُحَمَّد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم إلى الله عز وجل كمثل: الراعي الذي ينعق بالغنم. وقيل: مثل واعظ الكفار وداعيهم معهم كمثل: الراعي ينعق بالغنم وهي لا تسمع ﴿إلا دعاءً﴾ صوتًا ﴿ونداءً﴾.

وقيل: معناه: ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله وعن رسوله؛ كمثل المنعوق به من البهائم التي لا تفقه من الأمر والنهي إلا الصوت؛ فيكون المعنى للمنعوق به والكلام خارج عن الناعق، وهو فاشٍ في كلام العرب يفعلون ذلك ويقبلون الكلام لإيضاح المعنى عندهم، يقولون فلان يخافك كخوف الأسد، أي كخوفه من الأسد[١].

نشاط

مثال ذلك من تفسيره أيضًا: ....

....

(٣) تدبره الأقسام الواردة في القرآن الكريم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾؛ يعني: أقسم ﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾؛ يعني: مكة، ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ﴾؛ أي: حلال ﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد:١-٢]؛ والمعنى: أن الله تعالى لما أقسم بمكة؛ دل ذلك على عظيم قدرها مع حرمتها، فوعد نبيه ﷺ أنه يحلها له حتى يقاتل فيها، وأن يفتحها على يده، فهذا وعد من الله عز وجل بأن يحلها له[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ ٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ ٦﴾ [الذاريات:١-٦]؛ قال: (أقسم بهذه الأشياء؛ لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته. ثم ذكر المقسم عليه؛ فقال: ﴿إنما توعدون﴾ من الثواب والعقاب ﴿لَصادِقٌ وَإِنَّ الدِّينَ﴾ الحساب والجزاء﴿لَوَٰقِعٞ﴾ لكائن. ثم ابتدأ قسمًا آخر؛ فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ٧﴾ [الذاريات:٧][١].

---

(١) المرجع السابق (١/١٨٢).

(٢) المرجع السابق (٨/٤٢٦).

(١) المرجع السابق (٧/٣٧١).



مثال ذلك من تفسيره أيضًا: ....

....

(٤) تدبره في أساليب القرآن:

أ) تدبره في خطاب الواحد بلفظ الجمع:

مثاله في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ ﴾ [المؤمنون:٩٩]؛ ولم يقل ارجعني، وهو يسأل الله وحده الرجعة، على عادة العرب فإنهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم، كما أخبر الله تعالى عن نفسه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، ومثله كثير في القرآن[١].

ب) تدبره في الخطاب إلى شخص والمقصود به غيره:

مثاله في قوله تعالى: ﴿ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [يونس: ٩٤]؛ يعني: القرآن ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾؛فيخبرونك أنه مكتوب عندهم في التوراة.

قيل: هذا خطاب للرسول ﷺ والمراد به غيره على عادة العرب، فإنهم يخاطبون الرجل ويريدون به غيره، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ خاطب النبي ﷺ والمراد به المؤمنون، بدليل أنه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ولم يقل: (بما تعمل)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾[٢].

ج) تدبره في التأدب في الخطاب في تقديم ذكر العفو على العتاب:

مثاله في قوله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [التوبة:٤٣]؛ (قيل: إن الله عز وجل وقّره ورفع محله بافتتاح الكلام بالدعاء له، كما يقول الرجل لمن يخاطبه إذا كان كريما عنده: عفا الله عنك ما صنعت

---

(١) المرجع السابق (٤٢٨/٥).

(٢) المرجع السابق (١٥٠/٤).

في حاجتي؟ ورضي الله عنك ألا زرتني. وقيل معناه: أدام الله لك العفو)[1].

(٥) تدبره قصص القرآن:

مثاله في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف:١٠١-١٠٢] ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ﴾؛ أي: هذه القرى التي ذكرت لك أمرها وأمر أهلها؛ يعني: قرى قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وشعيب، ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا﴾ أخبارها لما فيها من الاعتبار، ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالآيات والمعجزات والعجائب، ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: فما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات والعجائب بما كذبوا من قبل رؤيتهم تلك العجائب، نظيره قوله عز وجل: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [المائدة:١٠٢][2].

نشاط

مثال ذلك من تفسيره أيضًا: ....

....

(٦) تدبره إعجاز القرآن الكريم:

مثاله في (قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ [البقرة:٢٣-٢٤]؛ أي: ﴿وإن كنتم في﴾ شك؛ لأن الله تعالى علم أنهم شاكون ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾؛ يعني: القرآن ﴿عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد ﴿فَأْتُوا۟﴾ أمر تعجيز ﴿بِسُورَةٍ﴾ والسورة قطعة من القرآن معلومة الأول والآخر ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أن محمدًا ﷺ يقوله من تلقاء نفسه، فلمّا تحداهم عجزوا. فقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ فيما مضى ﴿وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾ أبدا فيما بقي، وإنما قال ذلك لبيان

---

(١) المرجع السابق (٤/٥٥).

(٢) المرجع السابق (٣/٢٦١).

الإعجاز، وأن القرآن كان معجزة للنبي ﷺ؛ حيث عجزوا عن الإتيان بمثله)[١].

نشاط مثال ذلك من تفسيره أيضًا: ....

....

* * *

النموذج الثاني
معالم التَّدَبُّر عند الإمام ابن كثير (٧٧٤هـ)
في كتابه: تفسير القرآن العظيم

يعتبر تفسير الإمام ابن كثير نموذجًا في تنوعه وشموله لجوانب مختلفة من التفسير؛ فهو غير مقتصر في معنى الآية وأقوال السلف فيها والترجيح بينها فحسب؛ إنما له عناية بما وراء ذلك مما يجعلنا نعيد النظر في هذا التفسير لنبرز فيه الجوانب الأخرى في التفسير؛ ومن أبرزها الجوانب التَّدَبُّرية التي تركز على أغراض الآيات وهداياتها وجانب العمل منها؛ ويظهر ذلك في الجوانب التالية:

أولاً: عناية ابن كثير ببيان غرض الآيات ومقصودها:

يستفتح ابن كثير تفسيره الآيات كثيرًا ببيان مقصود الآية وغرضها قبل بيان معناها وإيراد أقوال السلف والمفسرين فيها، وهذا جانب من أبرز جوانب التَّدَبُّر؛ كما قال الشاطبي: (التَّدَبُّر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد)[١]، ومن هذا الباب نستطيع القول بأن ابن كثير من أبرز المفسرين عناية بهذا الجانب -أعني:

(١) المرجع السابق (١/٧٣).

(١) الموافقات (٤/٢٠٩).

بيان أغراض الآية ومقصودها-؛ ولعلي أجلي ذلك بالأمثلة:

١- قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة:٢١-٢٢]؛ قال ابن كثير: (شرع تبارك وتعالى في بيان وحدانية ألوهيته، بأنه تعالى هو المنعم على عبيده)[١]؛ فتجد أن ابن كثير ذكر غرض الآية ومقصودها، وهو جانب تدبري له ارتباط بالمناسبات.

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾ [البقرة:٢٣-٢٤]؛ قال ابن كثير في فاتحة كلامه عن الآية: (شرع تعالى في تقرير النبوة بعد أن قرر أنه لا إله إلا هو ...)[٢].

فذكر هنا غرض الآيات وهو أنها في تقرير النبوة. وهذا وإن كان متعلقًا بالمناسبات إلا أنه بيان للغرض من الآية، وهو جانب تدبري.

٣- قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣﴾ [البقرة:٣١-٣٣]؛ قال ابن كثير في فاتحة كلامه عن الآيات: (هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة، بما اختصه به من علم أسماء كل شيء دونهم)[٣].

فنجده بيّن غرض الآية وما تدور حوله قبل تفسيرها، وهو جانب تدبري.

---

(١) تفسير ابن كثير (١/١٩٤).

(٢) تفسير ابن كثير (١/١٩٨).

(٣) المصدر السابق (١/٢٢٢).



اذكر مثالين آخرين من كلام ابن كثير في تفسيره مما يوضح اهتمامه ببيان غرض الآيات ومقصودها:

المثال	نص الآية	كلام ابن كثير
الأول	....	....
الثاني	....	....

ثانيًا: عناية ابن كثير ببيان هدايات الآيات:

مما تميز به ابن كثير استنباطه لدلالات الآية وهداياتها بأنواعها؛ ومنها: الدلالات العقدية، والفقهية، والتربوية، والاجتماعية، وغيرها، وهذا جانب متعلق بالتَّدَبُّر أكثر من تعلقه بالتفسير.

ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة:٢٢]؛ قال ابن كثير: (هذه الآية دالة على توحيده تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، وقد استدل بها كثير من المفسرين كالرازي وغيره على وجود الصانع؛ فقال: وهي دالة على ذلك بطريق الأَوْلى؛ فإن من تأمل هذه الموجودات السفلية والعلوية، واختلاف أشكالها، وألوانها، وطباعها، ومنافعها، ووضعها في مواضع النفع بها محكمة؛ علم قدرة خالقها، وحكمته، وعلمه، وإتقانه، وعظيم سلطانه)[١].

(١) تفسير ابن كثير (١/١٩٧).



فنجده قد علق على الآية ببيان دلالة متعلقة بالعقيدة، وهو جانب تدبري.

٢- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٦]؛ قال ابن كثير في تعليقه على هذه الآية مستنبطًا دلالة دقيقة لطيفة: (وهذه الآية فيها تعريض، بل تصريح؛ بأن عيسى ابن مريم عبد مخلوق، كما خلق الله سائر البشر؛ لأن الله تعالى صوره في الرحم وخلقه، كما يشاء، فكيف يكون إلهًا كما زعمته النصارى -عليهم لعائن الله- ...)[١].

فنجده قد علق على الآية ببيان دلالة متعلقة بالعقيدة، وهو جانب تدبري.

قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُ﴾ [آل عمران:٢٠]؛ قال ابن كثير: (... وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق، كما هو معلوم من دينه ضرورة)[٢].

٣- قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧]؛ قال ابن كثير: (... وفي هذه الآية تنبيه وإرشاد إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ وهذه الأمة؛ لأن الله حول النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي المكي الأمي خاتم الأنبياء على الإطلاق)[٣].

فهذه الأمثلة كلها متضمنة لدلالات وهدايات مستنبطة، غير متعلقة بمعنى الآية التفسيري اللغوي، إنما هي دلالات ما وراء المعنى، وهو جانب تدبري.

---

(١) المصدر السابق (٦/٢).

(٢) المصدر السابق (٢٦/٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٩/٢).

نشاط

باستخدام محركات البحث، والبرامج الحاسوبية؛ استخرج من كلام ابن كثير في تفسيره ثلاثة مواضع تدل على اهتمامه بذكر دلالات الآيات وهداياتها، وقم بتدوينها في الجدول التالي:

الموضع	نص الآية	كلام ابن كثير
الأول	....	....
الثاني	....	....
الثالث	....	....

ثالثًا: بيان ابن كثير الدروس والعبر من القصص:

ابن كثير برز في تفسيره للقصص بذكر الروايات فيها، وهو إمام في السيرة والتاريخ، وله كتاب في التاريخ أيضًا وهو (البداية والنهاية)؛ إلا أننا نجده أحيانًا **يعلق على الآية بذكر مواضع الاقتداء أو الاعتبار فيها**؛ ومن ذلك مثلاً:

١- قوله تعالى عن يوسف: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ۝٥٥﴾ [يوسف:٥٥]؛ قال ابن كثير: (مدح نفسه، ويجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره؛ للحاجة)[١].

(١) المصدر السابق (٤/٣٩٥).

٢- قال تعالى: ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ﴾ [يوسف:٧٢]؛ قال ابن كثير: (وهذا من باب الجعالة، ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢﴾ وهذا من باب الضمان والكفالة)[١].

٣- قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف:٧٦]؛ قال ابن كثير: (وهذا من الكيد المحبوب المراد الذي يحبه الله ويرضاه؛ لما فيه من الحكمة والمصلحة المطلوبة)[٢].

٤- قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧﴾ [آل عمران:١٨٧]؛ قال ابن كثير: (وفي هذا تَحْذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويُسْلكَ بهم مَسْلكهم؛ فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئًا؛ فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: «**من سُئِل عن عِلْم فكَتَمه أُلْجِم يوم القيامة بِلجَامٍ من نار**»[٣][٤].

نشاط

اذكر مثالين آخرين من كلام ابن كثير في تفسيره؛ مما يوضح اهتمامه ببيان الدروس والعبر من القصص القرآني:

المثال	نص الآية	كلام ابن كثير
الأول	....	....

(١) المصدر السابق (٤٠١/٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٤٠١/٤).

(٣) سنن الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم (٢٩/٥) (ح٢٦٤٩). سنن أبي داود، كتاب العلم، باب كراهية منع العلم (٣٢١/٣) (ح٣٦٥٨). مسند الإمام أحمد، مسند المكثرين، مسند أبي هريرة (١٧/١٣) (ح٧٥٧١) وغيرهم. قال العجلوني في كشف الخفاء (٢٥٤/٢): حسنه الحاكم وصححه البيهقي عن أبي هريرة مرفوعًا، وهو عند الحاكم أيضا وغيره وصححه عن ابن عمر. ا.هـ. وكذا صححه الألباني في صحيح الترغيب (١٦٠/١) (ح١٢٠).

(٤) تفسير ابن كثير (١٨١/٢).

	....	....
الثاني	....	....

رابعًا: عنايته ببيان الصور والأمثلة على الآية:

من الجوانب التَّدَبُّرية التي عني بها ابن كثير؛ بيانه بعض الصور والأمثلة التي تؤكد مضمون الآية ودلالتها، وهو جانب تدبري؛ ومن الأمثلة في ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ [فصلت:٣٣]؛ قال ابن كثير: (وهذه عامة في كل من دعا إلى خير، وهو في نفسه مهتدٍ)[١].

٢- قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ۝٣٩﴾ [الشورى:٣٩]؛ قال ابن كثير: (أي: فيهم قوة الانتصار ممن ظلمهم واعتدى عليهم، ليسوا بعاجزين ولا أذلة، بل يقدرون على الانتقام ممن بغى عليهم، وإن كانوا مع هذا إذا قدروا عفوا، كما قال يوسف -عليه السلام- لإخوته: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝٩٢﴾ [يوسف:٩٢] مع قدرته على مؤاخذتهم ومقابلتهم على صنيعهم إليه، وكما عفا رسول الله ﷺ عن أولئك النفر الثمانين الذين قصدوه عام الحديبية، ونزلوا من جبل التنعيم، فلما قدر عليهم منّ عليهم مع قدرته على الانتقام، وكذلك عفوه عن غورث بن الحارث، الذي أراد الفتك به عليه الصلاة والسلام حين اخترط سيفه وهو نائم، فاستيقظ عليه السلام، وهو في يده صلتًا، فانتهره فوضعه من يده، وأخذ رسول الله ﷺ السيف من يده، ودعا أصحابه، ثم أعلمهم بما كان من أمره، وأمر هذا الرجل، وعفا عنه. وكذلك عفا عن لبيد بن الأعصم الذي سحره، ومع هذا لم يعرض له، ولا عاتبه، مع قدرته عليه. وكذلك عفوه عليه الصلاة والسلام عن المرأة اليهودية -وهي زينب أخت مرحب اليهودي الخيبري الذي قتله محمود بن مسلمة-

---

(١) المصدر السابق (١٧٩/٧).

التي سمت الذراع يوم خيبر، فأخبره الذراع بذلك، فدعاها فاعترفت فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: أردت إن كنت نبيًّا لم يضرك، وإن لم تكن نبيًّا استرحنا منك، فأطلقها عليه الصلاة والسلام، ولكن لما مات منه بشر بن البراء قتلها به، والأحاديث والآثار في هذا كثيرة جدًّا، والحمد لله)[(١)].

٣- قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠﴾ [الذاريات:٢٠]؛ قال ابن كثير: (أي: فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات، والمهاد والجبال، والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم، وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات، والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه)[(٢)].

٤- قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾ [غافر:٥١]؛ قال رحمه الله: (وهكذا نصر الله -سبحانه- نبيه ﷺ وأصحابه على مَن خالفه وناوأه، وكذبه وعاداه، فجعل كلمته هي العليا، ودينه هو الظاهر على سائر الأديان، وأمره بالهجرة من بين ظهراني قومه إلى المدينة النبوية، وجعل له فيها أنصارًا وأعوانًا، ثم منحه أكتاف المشركين يوم بدر، فنصره عليهم وخذلهم له، وقتل صناديدهم، وأسر سراتهم، فاستاقهم مقرنين في الأصفاد، ثم مَنّ عليهم بأخذه الفداء منهم، ثم بعد مدة قريبة فتح عليهم مكة، فقرت عينه ببلده، وهو البلد المحرم الحرام المشرف المعظم، فأنقذه الله به مما كان فيه من الشرك والكفر، وفتح له اليمن، ودانت له جزيرة العرب بكمالها، ودخل الناس في دين الله أفواجًا. ثم قبضه الله تعالى إليه لما له عنده من الكرامة العظيمة، فأقام الله أصحابه خلفاء بعده، فبلغوا عنه دين الله، ودعوا عباد الله إلى الله، وفتحوا البلاد، والرساتيق، والأقاليم، والمدائن، والقرى، والقلوب؛ حتى انتشرت الدعوة المحمدية في مشارق الأرض ومغاربها. ثم لا يزال هذا الدين قائمًا منصورًا ظاهرًا إلى قيام الساعة؛ ولهذا؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/٢١١).

(٢) المصدر السابق (٧/٤١٩).

﴿رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾[1].

٥- قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾[الفتح:٢٣]؛ قال ابن كثير: (هذه سنة الله وعادته في خلقه، ما تقابل الكفر والإيمان في موطن فيصل، إلا نصر الله الإيمان على الكفر، فرفع الحق ووضع الباطل؛ كما فعل تعالى يوم بدر بأوليائه المؤمنين، نصرهم على أعدائه من المشركين، مع قلة عدد المسلمين وعددهم، وكثرة المشركين وعددهم)[1].

خامسًا: عنايته بذكر تطبيقات على الآيات وتنزيلها على الواقع:

مما تميز به ابن كثير أنه يورد عند بيانه للآيات تطبيقات عليها من واقع السلف أو غيرهم أو من واقعه، وهذا جانب تدبري ينبغي على القارئ المتدبر للتفسير أن ينتبه له.

ومن الأمثلة الواردة في تفسيره في هذا الجانب:

١- قوله تعالى: ﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾[الزمر:٢٣]؛ قال ابن كثير: (... كما كان الصحابة -رضي الله عنهم- عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله ﷺ؛ تقشعر جلودهم، ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله)[2].

٢- قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ٨٩﴾[الزُّخرُف:٨٩]؛ قال ابن كثير: (هذا تهديد منه تعالى لهم؛ ولهذا؛ أحل بهم بأسه الذي لا يرد، وأعلى دينه وكلمته، وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد، حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب)[3].

٣- قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِ﴾[الأحقاف:١١]؛ قال ابن كثير: (وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة: هو بدعة؛ لأنه لو كان خيرًا لسبقونا إليه؛ لأنهم لم يتركوا

---

(١) تفسير ابن كثير (١٥١/٧).

(١) المصدر السابق (٣٤١/٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٥٥/٧).

(٣) المصدر السابق (٢٤٤/٧).

خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها)[1].

٤- قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ۝٢٩﴾ [الفتح:٢٩]؛ قال ابن كثير: (... وكل من اقتفى أثر الصحابة فهو في حكمهم، ولهم الفضل والسبق والكمال الذي لا يلحقهم فيه أحد من هذه الأمة -رضي الله عنهم- وأرضاهم-، وجعل جنات الفردوس مأواهم، وقد فعل)[1].

نشاط بحث جماعي:

يُقسم الدارسون إلى مجموعات؛ على أن تعمل كل مجموعة على استعراض مقطع من تفسير ابن كثير، ومحاولة استنباط اهتماماته التَّدَبُّرية، سواء مما تم ذكره أو أمور أخرى لم يتم ذكرها.

* * *

(١) المصدر السابق (٧/٢٧٨-٢٧٩).

(١) المصدر السابق (٧/٣٦٣).

النموذج الثالث
ملامح التَّدَبُّر عند الشيخ السعدي (١٣٧٦هـ)
في كتابه: تيسير الكريم الرحمن

يعتبر تفسير الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله -تيسير الكريم الرحمن- من أبرز التفاسير التي ظهر فيها الاعتناء بتدبر القرآن الكريم، بيانًا لحقيقته، وأهميته، والتطبيقات المتعلقة به.

أولاً: حقيقة التَّدَبُّر عند السعدي:

يبين السعدي رحمه الله حقيقة التَّدَبُّر عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢]؛ فيقول مُبينا المراد بالتَّدَبُّر: (يأمر تعالى بتدبر كتابه؛ وهو: **التأمل** في معانيه، **وتحديق** الفِكْرِ فيه، وفي مبادئه وعواقبه، ولوازم ذلك)[١].

ومن الملاحظ أن السعدي رحمه الله بنى تعريفه للتدبر على المعنى اللغوي له؛ ذلك أن التَّدَبُّر في أصل اللغة: هو النظر في عاقبة الأمر والتفكر فيه[٢].

وتدبر الكلام: النظرُ في أوله وآخره، ثم إعادة النظر مرة بعد مرة؛ ولهذا جاء على وزن (التَّفَعُّل) كالتَّجَرُّع والتَّفَهُّم والتَّبَيُّن؛ ولذلك؛ قيل: إنه مشتق من النظر في أدبار الأمور، وهي أواخرها وعواقبها؛ ومنه: تدبر القول؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:٦٨][٣].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص١٨٩).

(٢) لسان العرب (٤/٢٧٣). الفروق اللغوية للعسكري (ص٥٨).

(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم (ص٢١٦).

ثانيًا: المصطلحات المرادفة للتدبر عند السعدي رحمه الله:

استعمل السعدي رحمه الله عددًا من المصطلحات المرادفة للتدبر؛ ومنها: التأمل[١]، والتفكر[٢].

وهذه المصطلحات تدلُّ على أن التَّدَبُّر عند السعدي رحمه الله تعالى عملٌ قلبيٌ بالدرجة الأولى؛ ذلك أنَّ **التأمل**: مراجعة للنظر كرة بعد كرة، حتى يتجلى له وينكشف لقلبه، وتحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله[٣].

والتفكُّر: استعمال الفكرة في ذلك وإحضارها عنده.

وهذان المصطلحات يتعلقان بإعمال القلب في تأمل المعاني واستخراج ما فيها، ولعل هذا الأمر يتضح من خلال النظر في أهمية التَّدَبُّر ومنهجيته عند السعدي رحمه الله.

ثالثًا: أهمية التَّدَبُّر عند السعدي:

هناك عدد من الأمور التي أوردها العلامة السعدي رحمه الله تدلُّ على أهمية التَّدَبُّر؛ ومنها:

١- التَّدَبُّر مفتاح كل خير محصل للعلوم والأسرار:

قال السعدي رحمه الله: (قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝﴾ [يوسف:٢]؛ فأنزله بهذا اللسان لنعقله ونتفهمه، وأمرنا بتدبره، والتفكر فيه، والاستنباط لعلومه؛ وما ذاك إلا لأن تدبره مفتاح كل خير، محصل للعلوم والأسرار)[٤].

وقال رحمه الله: (إن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يستنتج كل خير وتستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته؛ فإنه يعرِّف بالرب المعبود، وما له من صفات الكمال، وما ينزه عنه من سمات النقص، ويعرِّف الطريق الموصلة إليه وصفة أهلها، وما لهم عند القدوم عليه،

---

(١) انظر أمثلة ذلك في: تيسير الكريم الرحمن (ص٢٩٢، ص٥٥٤).

(٢) انظر أمثلة ذلك في: تيسير الكريم الرحمن (ص٣١٣، ص٤٣٧، ص٤٦٨).

(٣) مدارج السالكين (١/٤٥١).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص٢٩).

ويعرِّف العدو الذي هو العدو على الحقيقة، والطريق الموصلة إلى العذاب، وصفة أهلها، وما لهم عند وجود أسباب العقاب)[١].

٢- التَّدَبُّر موصلٌ إلى درجة اليقين:

قال السعدي رحمه الله عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء:٨٢]: (ومن فوائد التَّدَبُّر كتاب الله: أنه بذلك يصل العبد إلى درجة اليقين والعلم بأنه كلام الله؛ لأنه يراه يصدق بعضه بعضًا، ويوافق بعضه بعضًا؛ فترى الحكم والقصة والإخبارات تعاد في القرآن في عدة مواضع، كلها متوافقة متصادقة، لا ينقض بعضها بعضًا؛ فبذلك؛ يعلم كمال القرآن وأنه من عند من أحاط علمه بجميع الأمور؛ فلذلك؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾؛ أي: فلما كان من عند الله لم يكن فيه اختلاف أصلا)[٢].

٣- التَّدَبُّر موصل لإدراك حقيقة الايمان:

قال السعدي رحمه الله: (حقيقة الإيمان: أن يعرف الرب الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته، حتى يبلغ درجة اليقين، وبحسب معرفته بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه؛ ازداد إيمانه، وكلما نقص؛ نقص. وأقرب طريق يوصله إلى ذلك؛ تدبر صفاته وأسمائه من القرآن)[٣].

٤- تدبر القرآن موصل لمعرفة الرسل:

قال السعدي رحمه الله: (فائدة: كما يجب على المكلف معرفته بربه؛ فيجب عليه معرفته برسله، ما يجب لهم ويمتنع عليهم ويجوز في حقهم، ويؤخذ جميع ذلك مما وصفهم الله به في آيات متعددة، منها: أنهم رجال لا نساء، من أهل القرى لا من أهل البوادي، وأنهم مصطفون مختارون، جمع الله لهم من الصفات الحميدة ما به الاصطفاء والاختيار، وأنهم سالمون من كل ما يقدح في رسالتهم من كذب وخيانة وكتمان

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص١٩٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص١٩٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص٣٥).

وعيوب مزرية، وأنهم لا يقرون على خطأ فيما يتعلق بالرسالة والتكليف، وأن الله تعالى خصهم بوحيه؛ فلهذا؛ وجب الإيمان بهم وطاعتهم ومن لم يؤمن بهم؛ فهو كافر، ومن قدح في واحد منهم أو سبه؛ فهو كافر يتحتم قتله، ودلائل هذه الجمل كثيرة، مَن تدبر القرآن؛ تبين له الحق)[(١)].

٥- تدبر القرآن يحفظ صاحبه من حال أهل الكتاب الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني:

نقل السعدي رحمه الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أنه لَمَّا ذَكَرَ هذه الآيات: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٥-٧٩]؛ قال رحمه الله: (فإن الله ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة، على ما أصله من البدع الباطلة. وذم الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني، وهو متناول لمن ترك تدبر القرآن ولم يعلم إلا مجرد تلاوة حروفه، ومتناول لمن كتب كتابًا بيده مخالفًا لكتاب الله، لينال به دنيا، وقال: إنه من عند الله، مثل أن يقول: هذا هو الشرع والدين، وهذا معنى الكتاب والسنة، وهذا معقول السلف والأئمة، وهذا هو أصول الدين، الذي يجب اعتقاده على الأعيان والكفاية، ومتناول لمن كتم ما عنده من الكتاب والسنة؛ لئلا يحتج به مخالفه في الحق الذي يقوله. وهذه الأمور كثيرة جدًّا في أهل الأهواء جملة، كالرافضة، وتفصيلاً مثل كثير من المنتسبين إلى الفقهاء)[(٢)].

٦- التَّدَبُّر طريق استخراج فوائد قصص القرآن الكريم:

قال السعدي رحمه الله بعد أن ساق فوائد قصة يوسف -عليه السلام-: (فهذا ما يَسَّرَ الله من

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص١٠٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٥٦)، وكلام شيخ الإسلام منقول من: درء تعارض العقل والنقل (١/٧٧-٧٨).

الفوائد والعبر في هذه القصة المباركة، ولا بد أن يظهر للمتدبر المتفكر غير ذلك)[(١)].

٧- التَّدَبُّر طريق معرفة فضل كتاب الله تعالى على سائر الكتب:

قال السعدي رحمه الله مبينًا مَن هو الذي يعرف معنى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]: (وهذا إنما يَعْرِفُهُ مَنْ خَبَرَ كتاب الله وتَدَبَّرَهُ، وتَدَبَّرَ غيره من أنواع العلوم، فإنه يجد بينها وبينه فَرْقًا عظيمًا)[(٢)].

٨- التَّدَبُّر هو الطريق الأعظم لتحقيق التوحيد:

قال السعدي رحمه الله مبينًا طرق تحقيق التوحيد: (الطريق الأعظم الجامع لذلك كله تدبر القرآن العظيم والتأمل في آياته؛ فإنه الباب الأعظم إلى العلم بالتوحيد، ويحصل به من تفاصيله وجمله ما لا يحصل من غيره)[(٣)].

رابعًا: كيفية التَّدَبُّر السديدة عند السعدي:

يبين السعدي رحمه الله كيفية التَّدَبُّر الصحيح لكتاب الله تعالى، وأنَّ تفسيره: تيسير الكريم الرحمن فيه كثيرٌ من التَّدَبُّر؛ فيقول: (وتضمن ما شرحه الله وفصله من دعائهم بعد قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ **التنبيه اللطيف على كيفية تدبر كتابه**، وألاّ يكون المتدبر مقتصرًا على مجرد معنى اللفظ بمفرده، بل ينبغي له **أن يتدبر معنى اللفظ**، فإذا فهمه فهمًا صحيحًا على وجهه، **نظر بعقله إلى ذلك الأمر والطرق الموصلة إليه وما لا يتم إلا به وما يتوقف عليه**، وجزم بأن الله أراده، كما يجزم أنه أراد المعنى الخاص الدال عليه اللفظ.

والذي يوجب له الجزم بأن الله أراده أمران:

أحدهما: معرفته وجزمه بأنه من توابع المعنى والمتوقف عليه.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٤١٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٤١٨).

(٣) تيسير اللطيف المنان (ص٢٣).

والثاني: علمه بأن الله بكل شيء عليم، وأن الله أمر عباده بالتَّدَبُّر والتفكر في كتابه.

وقد علم تعالى ما يلزم من تلك المعاني. وهو المخبر بأن كتابه هدى ونور وتبيان لكل شيء، وأنه أفصح الكلام وأجله إيضاحًا؛ فبذلك يحصل للعبد من العلم العظيم والخير الكثير، بحسب ما وفقه الله له وقد كان في تفسيرنا هذا كثير من هذا مَنّ به الله علينا)[(١)].

وهذه نقاط تبين كيفية تدبر القرآن الكريم كما يراه السعدي رحمه الله:

١- إثبات معاني الأسماء والصفات عند قراءة القرآن الكريم بقصد التَّدَبُّر:

قال السعدي رحمه الله: (حقيقة الإيمان: أن يعرف الرب الذي يؤمن به، ويبذل جهده في معرفة أسمائه وصفاته، حتى يبلغ درجة اليقين، وبحسب معرفته بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه؛ ازداد إيمانه، وكلما نقص؛ نقص. وأقرب طريق يوصله إلى ذلك؛ تدبر صفاته وأسمائه من القرآن.

والطريق في ذلك؛ إذا مر به اسم من أسماء الله، أثبت له ذلك المعنى وكماله وعمومه، ونزهه عما يضاد ذلك)[(٢)].

٢- إعمال الفِكْرِ في تدبر الآيات:

قال السعدي رحمه الله عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران:٢٩]: (فيه إرشادٌ إلى تطهير القلوب واستحضار علم الله كل وقت؛ فيستحي العبد من ربه أن يرى قلبه محلاً لكل فكر رديء، بل يشغل أفكاره فيما يقرب إلى الله من تدبر آية من كتاب، أو سنة من أحاديث رسول الله، أو تصور وبحث في علم ينفعه، أو تفكر في مخلوقات الله ونعمه، أو نصح لعباد الله)[(٣)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٧٣٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٣٥).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص١٢٨).

٣- التَّدَبُّر يحتاج لإحضار القلب ليتحقق الانتفاع بالقرآن:

قال السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال:٢]: (ووجه ذلك أنهم: يلقون له السمع ويحضرون قلوبهم لتدبره فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لأن التَّدَبُّر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبين لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكرون ما كانوا نسوه، أو يحدث في قلوبهم رغبةً في الخير، واشتياقًا إلى كرامة ربهم، أو وجلاً من العقوبات، وازدجارًا عن المعاصي؛ وكل هذا مما يزداد به الإيمان)[1].

خامسًا: تطبيقات للتدبر عند السعدي رحمه الله:

(١) تدبر الآيات المتعلقة بالتوحيد:

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦١-٦٥].

قال السعدي رحمه الله: (تدبر هذه الآيات الكريمات الدالة على سعة رحمة الله تعالى وجزيل فضله، ووجوب شكره، وكمال قدرته، وعظيم سلطانه، وسعة ملكه، وعموم خلقه لجميع الأشياء، وكمال حياته، واتصافه بالحمد على كل ما اتصف به من الصفات الكاملة، وما فعله من الأفعال الحسنة، وتمام ربوبيته، وانفراده فيها، وأن جميع التدبير في العالم العلوي والسفلي في ماضي الأوقات وحاضرها، ومستقبلها بيد الله تعالى، ليس لأحد من الأمر شيء، ولا من القدرة شيء؛ فينتج من ذلك؛ أنه تعالى المألوه المعبود وحده، الذي لا يستحق أحد من العبودية شيئًا، كما لم يستحق من الربوبية شيئًا، وينتج من ذلك،

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٣١٥).

امتلاء القلوب بمعرفة الله تعالى ومحبته وخوفه ورجائه، وهذان الأمران -وهما معرفته وعبادته-؛ هما اللذان خلق الله الخلق لأجلهما، وهما الغاية المقصودة منه تعالى لعباده، وهما الموصلان إلى كل خير وفلاح وصلاح، وسعادة دنيوية وأخروية، وهما اللذان هما أشرف عطايا الكريم لعباده، وهما أشرف اللذات على الإطلاق، وهما اللذان إن فاتا، فات كل خير، وحضر كل شر. فنسأله تعالى أن يملأ قلوبنا بمعرفته ومحبته، وأن يجعل حركاتنا الباطنة والظاهرة، خالصة لوجهه، تابعة لأمره، إنه لا يتعاظمه سؤال، ولا يحفيه نوال)[1].

(٢) تدبر الآيات المتعلقة بالمقابلة بين المصالح الدنيوية والأخروية:

قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ١٠٩ ﴾ [النساء:١٠٩].

قال السعدي رحمه الله: (وفي هذه الآية إرشاد إلى المقابلة بين ما يتوهم من مصالح الدنيا المترتبة على ترك أوامر الله أو فعل مناهيه، وما يفوت من ثواب الآخرة أو يحصل من عقوباتها. فيقول من أمرته نفسه بترك أمر الله: ها أنت تركت أمره كسلاً وتفريطًا فما النفع الذي انتفعت به؟ وماذا فاتك من ثواب الآخرة؟ وماذا ترتب على هذا الترك من الشقاء والحرمان والخيبة والخسران؟

وكذلك إذا دعته نفسه إلى ما تشتهيه من الشهوات المحرمة قال لها: هبك فعلت ما اشتهيت؛ فإن لذته تنقضي ويعقبها من الهموم والغموم والحسرات، وفوات الثواب وحصول العقاب- ما بعضه يكفي العاقل في الإحجام عنها. وهذا من أعظم ما ينفع العبدَ تدبرُه، وهو خاصة العقل الحقيقي. بخلاف الذي يدعي العقل، وليس كذلك؛ فإنه بجهله وظلمه يؤثر اللذة الحاضرة والراحة الراهنة، ولو ترتب عليها ما ترتب)[2].

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٧٤١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٢٠٠).

(٣) تدبر الآيات المتعلقة بالأحكام الفقهية:

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [النحل:٩٨]؛ **قال السعدي رحمه الله:** (أي: فإذا أردت قراءة كتاب الله الذي هو أشرف الكتب وأجلها وفيه صلاح القلوب والعلوم الكثيرة؛ فإن الشيطان أحرص ما يكون على العبد عند شروعه في الأمور الفاضلة، فيسعى في صرفه عن مقاصدها ومعانيها. فالطريق إلى السلامة من شره؛ الالتجاء إلى الله، والاستعاذة به من شره، فيقول القارئ: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) متدبرًا معناها، معتمدًا بقلبه على الله في صرفه عنه، مجتهدًا في دفع وساوسه وأفكاره الرديئة مجتهدًا على السبب الأقوى في دفعه، وهو التحلي بحلية الإيمان والتوكل؛ فإن الشيطان ﴿ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ ﴾؛ أي: تسلط ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ وحده لا شريك له، و﴿يَتَوَكَّلُونَ ﴾ فيدفع الله عن المؤمنين المتوكلين عليه شر الشيطان ولا يجعل له عليهم سبيلاً، ﴿ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ ﴾؛ أي: تسلطه ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ ﴾ أي: يجعلونه لهم وليًّا، وذلك بتخليهم عن ولاية الله، ودخولهم في طاعة الشيطان، وانضمامهم لحزبه، فهم الذين جعلوا له ولاية على أنفسهم، فأزَّهم إلى المعاصي أزًّا وقادهم إلى النار قَوْدًا)[١].

(٤) تدبر الآيات المتعلقة بالقصص القرآني:

قال تعالى:﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [المؤمنون:٤٥-٤٩]؛ هذه الآية من الآيات التي وقف عندها السعدي رحمه الله تعالى، وأعمل فيها طريقة التَّدَبُّر للوصول إلى معناها؛ حيث **قال رحمه الله:** (مر عليَّ منذ زمان طويل كلام لأحد العلماء -لا يحضرني الآن اسمه-، وهو أنه بعد بعث موسى ونزول التوراة، رفع الله العذاب عن الأمم؛ أي: عذاب الاستئصال، وشرع للمكذبين المعاندين الجهاد، ولم أدر من أين

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٤٤٩).

أخذه، **فلما تدبرت هذه الآيات، مع الآيات التي في سورة القصص، تبين لي وجهه**؛ أما هذه الآيات؛ فلأن الله ذكر الأمم المهلكة المتتابعة على الهلاك، ثم أخبر أنه أرسل موسى بعدهم، وأنزل عليه التوراة فيها الهداية للناس، ولا يرد على هذا إهلاك فرعون؛ فإنه قبل نزول التوراة، وأما الآيات التي في سورة القصص، فهي صريحة جدًّا؛ فإنه لما ذكر هلاك فرعون قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾[القصص:٤٣]؛ فهذا صريح أنه آتاه الكتاب بعد هلاك الأمم الباغية، وأخبر أنه أنزله بصائر للناس وهدى ورحمة، ولعل من هذا؛ ما ذكر الله في سورة (يونس) من قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾؛ أي: من بعد نوح ﴿رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾[يونس:٧٤-٧٥] الآيات، والله أعلم)[1].

(٥) تدبر الآيات المتعلقة بالأمثال القرآنية:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥]؛ **قال السعدي رحمه الله:** ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الحسي والمعنوي، وذلك أنه تعالى بذاته نور، وحجابه -الذي لولا لطفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه- نور، وبه استنار العرش، والكرسي، والشمس، والقمر، والنور، وبه استنارت الجنة. وكذلك النور المعنوي يرجع إلى الله، فكتابه نور، وشرعه نور، والإيمان والمعرفة في قلوب رسله وعباده المؤمنين نور. فلولا نوره تعالى؛ لتراكمت الظلمات؛ ولهذا؛ كل محل يفقد نوره فثم الظلمة والحصر، ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ الذي يهدي إليه، وهو نور الإيمان والقرآن في قلوب المؤمنين ﴿كَمِشْكَوٰةٍ﴾؛ أي: كوة ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾؛ لأن الكوة تجمع نور المصباح بحيث لا يتفرق ذلك ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ﴾ من صفائها وبهائها، ﴿كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ﴾؛ أي: مضيء إضاءة الدر.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٥٥٢).

﴿ يُوقَدُ ﴾ ذلك المصباح الذي في تلك الزجاجة الدرية ﴿ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيۡتُونَةٍ ﴾؛ أي: يوقد من زيت الزيتون الذي ناره من أنور ما يكون ﴿ لَّا شَرۡقِيَّةٍ ﴾ فقط؛ فلا تصيبها الشمس آخر النهار، ﴿ وَلَا غَرۡبِيَّةٍ ﴾ فقط؛ فلا تصيبها الشمس أول النهار، وإذا انتفى عنها الأمران، كانت متوسطة من الأرض كزيتون الشام؛ تصيبها الشمس أول النهار وآخره، فتحسن وتطيب، ويكون أصفى لزيتها؛ ولهذا قال: ﴿ يَكَادُ زَيۡتُهَا ﴾ من صفائه ﴿ يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞ ﴾ فإذا مسته النار، أضاء إضاءة بليغة ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ ﴾؛ أي: نور النار، ونور الزيت. **ووجه هذا المثل الذي ضربه الله، وتطبيقه على حالة المؤمن، ونور الله في قلبه،** أن فطرته التي فطر عليها، بمنزلة الزيت الصافي، ففطرته صافية، مستعدة للتعاليم الإلهية، والعمل المشروع، فإذا وصل إليه العلم والإيمان، اشتعل ذلك النور في قلبه، بمنزلة اشتعال النار في فتيلة ذلك المصباح، وهو صافي القلب من سوء القصد، وسوء الفهم عن الله، إذا وصل إليه الإيمان، أضاء إضاءة عظيمة، لصفائه من الكدورات، وذلك بمنزلة صفاء الزجاجة الدرية، فيجتمع له نور الفطرة، ونور الإيمان، ونور العلم، وصفاء المعرفة، نور على نوره. ولما كان هذا من نور الله تعالى، وليس كل أحد يصلح له ذلك؛ قال: ﴿ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ ممن يعلم زكاءه وطهارته، وأنه يزكي معه وينمو. ﴿ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِ ﴾؛ ليعقلوا عنه ويفهموا، لطفًا منه بهم، وإحسانًا إليهم، وليتضح الحق من الباطل؛ فإن الأمثال تقرب المعاني المعقولة من المحسوسة؛ فيعلمها العباد علمًا واضحًا، ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾؛ فعلمه محيط بجميع الأشياء، **فلتعلموا أن ضربه الأمثال، ضرب من يعلم حقائق الأشياء وتفاصيلها، وأنها مصلحة للعباد، فليكن اشتغالكم بتدبرها وتعقلها، لا بالاعتراض عليها، ولا بمعارضتها، فإنه يعلم وأنتم لا تعلمون**[1].

وبهذه التطبيقات يتبين لنا أن السعدي رحمه الله تعالى أحاط في تفسيره بجوانب متعددة من التَّدَبُّر، تأصيلاً، وتمثيلاً.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٥٦٨).



استخرج بعض التطبيقات على التَّدَبُّر من كلام السعدي في تفسيره، ودونها في الجدول التالي:

وجه التَّدَبُّر	الآية	كلام السعدي
تدبر الآيات المتعلقة بالتوحيد	....	....
....	....	....
....	....	....
....	....	....
....	....	....

النموذج الرابع
معالم التَّدَبُّر عند الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (١٣٩٣هـ)
في كتابه : أضواء البيان

ويظهر ذلك من خلال النقاط الموجزة التالية:

أولاً : حقيقة التَّدَبُّر لدى الشنقيطي :

قال الشنقيطي رحمه الله عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩]: (من حِكَم إنزاله: أن يتدبر الناس آياته؛ **أي: يتفهمونها ويتعقلونها ويمعنون النظر فيها**، حتى يفهموا ما فيها من أنواع الهدى)[١].

ومن هذا يتبين أن مفهوم التَّدَبُّر مرتبط –عند الشنقيطي رحمه الله– بالتفهم والتعقل وإمعان النظر في المعاني، وهذا يدلُّ أن التَّدَبُّر يُقصَدُ به المعنى ابتداءً.

وفي موضع آخر يجعل الشنقيطي رحمه الله **العملَ بمقتضى القرآن داخلاً في حقيقة تدبُّره**؛ فيقول: (**معلوم أنَّ كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم؛ أي: تصفحها وتفهمها، وإدراك معانيها والعمل بها؛ فإنه معرض عنها**، غير متدبر لها؛ فيستحق الإنكار والتوبيخ المذكور في الآيات إن كان الله أعطاه فهمًا يقدر به على التَّدَبُّر)[٢].

ثانيًا : مصطلحات دالة على التَّدَبُّر عنده :

---

(١) أضواء البيان (٦/٣٤٤).

(٢) المصدر السابق (٧/٢٥٧).

من المصطلحات التي يستخدمها الشنقيطي بمعنى التَّدَبُّر: التَّفكُّر[١]، والتَّفهُّم[٢]، والتَّعَقُّل[٣].

ثالثًا: حُكمُ التَّدَبُّر لديه:

يذهب الشنقيطي رحمه الله إلى وجوب التَّدَبُّر؛ فيقول بعد أن أورد عددًا من الآيات التي تحثُّ على التَّدَبُّر: (وهذه الآيات المذكورة تدل على أن تدبر القرآن وتفهمه وتعلمه والعمل به، أمر لا بد منه للمسلمين. وقد بين النبي ﷺ أن المشتغلين بذلك هم خير الناس؛ كما ثبت عنه ﷺ في الصحيح من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: خيركم من تعلم القرآن وعلمه. وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩].

فإعراض كثير من الأقطار عن النظر في كتاب الله وتفهمه والعمل به وبالسنة الثابتة المبينة له؛ من أعظم المناكر وأشنعها، وإن ظن فاعلوه أنهم على هدى. ولا يخفى على عاقل أن القول بمنع العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ اكتفاء عنهما بالمذاهب المدونة، وانتفاء الحاجة إلى تعلمهما لوجود ما يكفي عنهما من مذاهب الأئمة- من أعظم الباطل، وهو مخالف لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة ومخالف لأقوال الأئمة الأربعة، فمرتكبه مخالف لله ولرسوله ولأصحاب رسوله جميعًا وللأئمة رحمهم الله)[٤].

وقال رحمه الله: (أدلة الكتاب والسنة دالةٌ على وجوب تَدَبُّرِ الوحي وتَفَهُّمِه وتَعَلُّمِه والعمل بكل ما علم منه، علمًا صحيحًا قليلاً كان أو كثيرًا)[٥].

---

(١) المصدر السابق (٣٨٠/٢).

(٢) المصدر السابق (٣٤٤/٦)، (٢٥٧/٧).

(٣) المصدر السابق (٣٤٤/٦).

(٤) المصدر السابق (٢٥٧/٧).

(٥) المصدر السابق (٣٠٤/٧).

مسألةٌ تتعلق بحكم التَّدَبُّر:

مناقشته قول بعض الأصوليين: إن التَّدَبُّر لا يجوز لغير المجتهدين:

قال الشنقيطي رحمه الله: (اعلم أن قول بعض متأخري الأصوليين: إن تدبر هذا القرآن العظيم، وتَفَهُّمَهُ والعمل به لا يجوز إلا للمجتهدين خاصةً، وإنّ كل من لم يبلغ درجة الاجتهاد المطلق بشروطه المقررة عندهم، التي لم يستند اشتراط كثير منها إلى دليل من كتاب ولا سنة ولا إجماع ولا قياس جلي ولا أثر عن الصحابة- **قولٌ لا مستند له من دليل شرعي أصلاً**؛ بل الحق الذي لا شك فيه؛ أن **كل من له قدرة من المسلمين، على التعلم والتفهم، وإدراك معاني الكتاب والسنة، يجب عليه تعلمهما، والعمل بما علم منهما**، أما العمل بهما مع الجهل بما يعمل به منهما؛ فممنوع إجماعًا. وأما ما علمه منهما علمًا صحيحًا ناشئًا عن تعلم صحيح؛ فله أن يعمل به. ولو آية واحدة أو حديثًا واحدًا. ومعلوم أن **هذا الذم والإنكار على من لا يتدبر كتاب الله؛ عام لجميع الناس.**

ومما يوضح ذلك أن المخاطبين الأولين به الذين نزل فيهم هم المنافقون والكفار، ليس أحد منهم مستكملاً لشروط الاجتهاد المقررة عند أهل الأصول، بل ليس عندهم شيء منها أصلاً.

فلو كان القرآن لا يجوز أن ينتفع بالعمل به والاهتداء بهديه إلا المجتهدون بالاصطلاح الأصولي لما وبخ الله الكفار وأنكر عليهم عدم الاهتداء بهداه، ولما أقام عليهم الحجة به حتى يحصلوا شروط الاجتهاد المقررة عند متأخري الأصوليين، كما ترى ...، فتخصيص جميع تلك النصوص بخصوص المجتهدين، وتحريم الانتفاع بهدي الكتاب والسنة على غيرهم تحريمًا باتًّا يحتاج إلى دليل من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، ولا يصح تخصيص تلك النصوص بآراء جماعات من المتأخرين المقرين على أنفسهم بأنهم من المقلدين)[(١)].

رابعًا: أدلة التَّدَبُّر لدى الشنقيطي:

قال الشنقيطي رحمه الله: (قوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ ﴾؛ يتضمن حضهم على تدبر هذا القول

(١) المصدر السابق (٧/٢٥٨-٢٥٩).

الذي هو القرآن العظيم؛ لأنهم إن تدبروه تدبرًا صادقًا؛ علموا أنه حق، وأن اتباعه واجب وتصديق من جاء به لازم. **وقد أشار لهذا المعنى في غير هذا الموضع**؛ كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، وقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]، وقوله في هذه الآية الكريمة ﴿ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٦٨])[١].

خامسًا: أهمية التَّدَبُّر عند الشنقيطي:

وقد تجلى في مواضع؛ أهمها:

١- تدبر القرآن ببيان حِكَمِ إنزال القرآن الكريم:

قال الشنقيطي رحمه الله: (وقد ذكر جل وعلا في هذه الآية حكمتين من حكم إنزال القرآن على النبي ﷺ:

إحداهما: أن يبين للناس ما نزل إليهم في هذا الكتاب من الأوامر والنواهي، والوعد والوعيد، ونحو ذلك، وقد بين هذه الحكمة في غير هذا الموضع أيضًا؛ كقوله: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [النحل:٦٤]، وقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [النساء:١٠٥].

الحكمة الثانية: هي التفكر في آياته والاتعاظ بها؛ كما قال هنا: ﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤]، وقد بين هذه الحكمة في غير هذا الموضع أيضًا؛ كقوله: ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ [ص:٢٩]، وقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، وقوله: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]، إلى غير ذلك من الآيات)[٢].

وقال رحمه الله: (وأما كون تدبر آياته من حكم إنزاله؛ فقد أشار إليه في بعض الآيات، **بالتحضيض على تدبره، وتوبيخ من لم يتدبره**؛ كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]،

---

(١) المصدر السابق (٥/٣٣٩).

(٢) المصدر السابق (٢/٣٨٠).

وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء:٨٢]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٦٨])[١].

٢- ربط آيات القرآن بواقع الناس:

إنّ من أهم المزايا التي تزيد من قيمة التفسير؛ إظهار العلاقة بين الآية المفسَّرة وواقع الناس الذي يعيشونه، كأنْ يجلِّي المفسر خطأ فعل من الأفعال الاجتماعية معتمدًا في ذلك على الاستنباط من القرآن، أو يقوم المفسر بتصحيح بعض القيم أو المفاهيم بناءً على استنباطات قرآنية، أو يقوم بإبراز المواقف السياسية الصحيحة في قضايا الأمة المعاصرة مستدلاً على ذلك بإشارات القرآن، وكثيرًا ما كان الشيخ الأمين -رحمه الله- يربط التفسير بواقع الناس الذي يعيشونه، ويعالج قضايا الأمة من خلال تفسير القرآن، وإليك أمثلة على ذلك:

عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩]؛ قال رحمه الله: (وهذه الآية الكريمة أجمل اللَّه جلَّ وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطّرق وأعدلها وأصوبها؛ فلو تتبَّعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدُّنيا والآخرة، ولكنَّنا إن شاء اللَّه تعالى سنذكر جملاً وافرة في جهات مختلفة كثيرة من هدى القرآن للطَّريق الّتي هي أقومُ بيانًا لبعض ما أشارت إليه الآية الكريمة، تَنبيهًا بِبعضِه على كلِّه من المسائل العظام، والمسائل التي أنكرها الملحدون من الكفَّار، وطعَنُوا بسببها في دين الإسلام، لقصور إدراكهم عن معرفة حكمها البالغة ...؛ فمن ذلك: توحيدُ اللَّه جلَّ وعلا. ومن هدي القرآن للَّتي هي أقومُ: جعلُه الطَّلاق بيد الرَّجل. ومن هدي القرآن للَّتي هي أقومُ: إباحتُه تعدُّدَ الزَّوجات إلى أربَع. ومن هدي القرآن للَّتي هي أقومُ: تفضيلُه الذَّكر على الأنثى في الميراث. ومن هدي القرآن للَّتي هي أقومُ: مِلكُ الرَّقيق المعَبَّرِ عنه في القرآن بملك اليمين في آيات كثيرة. ومن هدي القرآن للَّتي هي أقومُ: القِصاصُ. ومن هدي القرآن للَّتي

---

(١) المصدر السابق (٣٤٥/٦).

هي أقومُ: قَطعُ يد السَّارق. ومن هدي القرآن للَّتي هي أقومُ: رجمُ الزَّاني المحصَنِ ذكرًا كان أو أنثى، وجلدُ الزَّاني البكر مائةَ جلدة ذكرًا كان أو أنثى. ومن هدي القرآن للَّتي هي أقومُ: هديه إلى أنَّ التَّقدُّمَ لا يُنافي التَّمسُّكَ بالدّين؛ فما خيَّلَه أعداءُ الدّين لضِعاف العقول ممَّن ينتمي إلى الإسلام من أنَّ التَّقدُّم لا يمكن إلا بالانسِلاخ من دين الإسلام، باطلٌ لا أساس له، والقرآن الكريم يدعو إلى التَّقدُّم في جميع الميادين الَّتي لها أهمِّيَّةٌ في دنيا أو دينٍ، ولكنَّ ذلك التَّقدُّمَ في حدود الدّين، والتَّحلّي بآدابه الكريمة، وتعاليمه السَّماويَّة. ومن هدي القرآن للَّتي هي أقومُ: هديه إلى حلِّ المشاكل العالميَّة بأقوم الطُّرق وأعدلها، ونحن دائمًا في المناسبات نُبيِّن هَديَ القرآن العظيم إلى حلِّ ثلاث مُشْكِلات، هي من أَعظم ما يُعانيه العالَمُ في جميع المعمورة ممَّن ينتمي إلى الإسلام؛ تَنبيهًا بها على غيرها:

المشكلة الأولى: هي ضعفُ المسلمين في أقطار الدُّنيا في العَدد والعِدد عن مُقاومة الكفَّار.

المشكلة الثانية: هي تَسلِيطُ الكفَّار على المؤمنين بالقتل والجراح وأنواع الإيذاء، مع أنَّ المسلمين على الحقِّ، والكفَّارَ على الباطل.

المشكلة الثالثة: هي اختلاف القلوب الَّذي هو أعظم الأسباب في القضاء على كيان الأمَّة الإسلاميَّة)[1].

فهذه جملة من القضايا التي تتعلق بواقع الناس وما يحتاجونه، استطاع الشيخ –رحمه الله– أن يربطها في تفسيره بآية من آيات القرآن الكريم[2].

٣– تدبر القرآن يبين عدم الاختلاف والتناقض فيه:

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهف: ١]: (ما ذكره جل وعلا هنا من أنه لا اعوجاج فيه؛ بينه في مواضع أخر كثيرة كقوله: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر:٢٧–

(١) المصدر السابق (٣/١٧–٥٣).

(٢) وعالج قضايا اقتصادية في تفسيره، ينظر: أضواء البيان (٦/٧٦).

٢٨]، وقوله: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: ١١٥]؛ فقوله (صدقًا) أي: في الأخبار، وقوله: (عدلاً) أي: في الأحكام، وكقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، والآيات بمثل هذا كثيرة جدًّا)[١].

سادسًا: موانع التَّدَبُّر عند الشنقيطي:

١- الاشتغال بإقامة الألفاظ عن التَّدَبُّر للمعاني:

نقل الشنقيطي رحمه الله تعالى عن المرسي رحمه الله[٢] أنه قال: (جمع القرآن علوم الأولين والآخرين، بحيث لم يحط بها علمًا حقيقة إلا المتكلم به، ثم رسول الله ﷺ، خلا ما استأثر الله به سبحانه، ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم؛ مثل الخلفاء الأربعة، ومثل ابن مسعود، وابن عباس حتى قال: لو ضاع لي عقال بعير لوجدته في كتاب الله. ثم ورث عنهم التابعون لهم بإحسان، ثم تقاصرت الهمم، وفترت العزائم، وتضاءل أهل العلم، وضعفوا عن حمل ما حمله الصحابة والتابعون من علومه وسائر فنونه؛ فنوعوا علومه، وقامت كل طائفة بفن من فنونه.

فاعتنى قوم بضبط لغاته، وتحرير كلماته، ومعرفة مخارج حروفه وعددها، وعد كلماته وآياته، وسوره وأجزائه، وأنصافه وأرباعه، وعدد سجداته، إلى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة، والآيات المتماثلة، **من غير تعرض لمعانيه، ولا تدبر لما أودع فيه؛** فسموا القراء.

واعتنى النحاة بالمعرب منه والمبني من الأسماء والأفعال، والحروف العاملة وغيرها، وأوسعوا الكلام في الأسماء وتوابعها، وضروب الأفعال، واللازم والمتعدي، ورسوم خط الكلمات، وجميع ما يتعلق به؛ حتى إن بعضهم أعرب مشكله، وبعضهم أعربه كلمة كلمة.

واعتنى المفسرون بألفاظه؛ فوجدوا منه لفظًا يدل على معنى واحد، ولفظًا يدل على معنيين، ولفظًا يدل على أكثر؛ فأجروا الأول: على حكمه، وأوضحوا الخفي منه، وخاضوا إلى ترجيح أحد محتملات

---

(١) أضواء البيان (١٩٢/٣).

(٢) نقل هذا القول عن تفسير المرسي السيوطي في الإتقان (٣٠/٤-٣٦)، ثم قال: انتهى ملخصًا.

ذي المعنيين أو المعاني، وأعمل كل منهم فكره، وقال بما اقتضاه نظره.

واعتنى الأصوليون بما فيه من الأدلة العقلية، والشواهد الأصلية والنظرية؛ مثل قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء:٢٢]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة؛ **فاستنبطوا منه أدلة على وحدانية الله ووجوده**، وبقائه وقدمه، وقدرته وعلمه، وتنزيهه عما لا يليق به؛ **وسموا هذا العلم: (أصول الدين)**.

وتأملت طائفة معاني خطابه؛ فرأت منها ما يقتضي العموم، ومنها ما يقتضي الخصوص، إلى غير ذلك؛ فاستنبطوا منه أحكام اللغة من الحقيقة والمجاز، وتكلموا في التخصيص والإضمار، والنص والظاهر، والمجمل والمحكم والمتشابه، والأمر والنهي والنسخ، إلى غير ذلك من أنواع الأقيسة، واستصحاب الحال والاستقراء؛ **وسموا هذا الفن: (أصول الفقه)**.

وأحكمت طائفة صحيح النظر، وصادق الفكر فيما فيه من الحلال والحرام، وسائر الأحكام، فأسسوا أصوله وفروعه، وبسطوا القول في ذلك بسطًا حسنًا؛ **وسموه: (علم الفروع) أو (الفقه)**.

وتلمحت طائفة ما فيه من قصص القرون السابقة، والأمم الخالية، ونقلوا أخبارهم، ودونوا آثارهم ووقائعهم؛ حتى ذكروا بدء الدنيا، وأول الأشياء؛ **وسموا ذلك: (التاريخ والقصص)**.

وتنبه آخرون لما فيه من الحكم والأمثال، والمواعظ التي تقلقل قلوب الرجال، وتكاد تدكدك الجبال؛ فاستنبطوا مما فيه من الوعد والوعيد، والتحذير والتبشير، وذكر الموت والمعاد، والنشر والحشر، والحساب والعقاب، والجنة والنار، فصولاً من المواعظ، وأصولاً من الزواجر؛ **فسُموا بذلك: (الخطباء والوعاظ)**.

واستنبط قوم مما فيه من أصول التعبير؛ مثل ما ورد في قصة يوسف: من البقرات السمان، وفي منامي صاحبي السجن، وفي رؤية الشمس والقمر والنجوم ساجدات؛ **فسموه (تعبير الرؤيا)**؛ واستنبطوا تفسير كل رؤيا من الكتاب، فإن عز عليهم إخراجها منه، فمن السنة التي هي شارحة الكتاب، فإن عسر

فمن الحكم والأمثال، ثم نظروا إلى اصطلاح العوام في مخاطباتهم، وعرف عاداتهم الذي أشار إليه القرآن بقوله: ﴿ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وأخذ قوم مما في آيات المواريث من ذكر السهام وأربابها، وغير ذلك (علم الفرائض)، واستنبطوا منها من ذكر النصف والثلث، والربع والسدس والثمن (حساب الفرائض)، ومسائل العول؛ **واستخرجوا منه أحكام الوصايا**.

ونظر قوم إلى ما فيه الآيات الدالات على الحكم الباهرة في الليل والنهار، والشمس والقمر ومنازله، والنجوم والبروج، وغير ذلك؛ **فاستخرجوا (علم المواقيت)**.

ونظر الكتاب والشعراء إلى ما فيه من جزالة اللفظ وبديع النظم، وحسن السياق والمبادئ، والمقاطيع والمخالص والتلوين في الخطاب، والإطناب والإيجاز، وغير ذلك؛ **فاستنبطوا منه (علم المعاني والبيان والبديع)**[(١)].

٢- الإعراض عن التَّدَبُّر:

قال الشنقيطي رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤ ﴾ [محمد:٢٤]: (ما تضمنته هذه الآية الكريمة من التوبيخ والإنكار على من أعرض عن تدبر كتاب الله، جاء موضحًا في آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴾ [النساء:٨٢]، وقوله تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٦٨]، وقوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩].

وقد ذم جل وعلا المعرض عن هذا القرآن العظيم في آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا ﴾ [الكهف:٥٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعۡرَضَ عَنۡهَآ ﴾ [السجدة:٢٢]؛ **ومعلوم أن كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم؛ أي: تصفحها وتفهمها،**

---

(١) أضواء البيان (٤٢٩/٢-٤٣١).

وإدراك معانيها والعمل بها؛ فإنه معرض عنها، غير متدبر لها؛ فيستحق الإنكار والتوبيخ المذكور في الآيات إن كان الله أعطاه فهمًا يقدر به على التَّدَبُّر)[1].

سابعًا: تطبيقات على التَّدَبُّر:

١- التَّدَبُّر للآيات المتعلقة بالعقيدة:

قال الشنقيطي رحمه الله عند تفسيره قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ [مُحَمَّد: ٢٨]: (اعلم أن كل مسلم، يجب عليه في هذا الزمان تأمل هذه الآيات من سورة مُحَمَّد وتدبرها، والحذر التام مما تضمنته من الوعيد الشديد؛ لأن كثيرًا ممن ينتسبون للمسلمين داخلون بلا شك فيما تضمنته من الوعيد الشديد؛ لأن عامة الكفار من شرقيين وغربيين كارهون لما نزل الله على رسوله مُحَمَّد ﷺ وهو هذا القرآن وما يبينه به النبي ﷺ من السنن؛ فكل مَن قال لهؤلاء الكفار الكارهين لما نزله الله: سنطيعكم في بعض الأمر، فهو داخل في وعيد الآية، وأحرى من ذلك من يقول لهم: سنطيعكم في الأمر كالذين يتبعون القوانين الوضعية مطيعين بذلك للذين كرهوا ما نزل الله، فإن هؤلاء لا شك أنهم ممن تتوفاهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، وأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه، وأنه محبط أعمالهم.

فاحذر كل الحذر من الدخول في الذين قالوا: سنطيعكم في بعض الأمر)[2].

٢- تدبُّر الآيات المتعلقة بالأمثال القرآنية:

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:١٩]: (قد ضرب الله في هذه الآية مثلاً لما جاء به مُحَمَّد ﷺ من الهدى والعلم بالمطر؛ لأن بالعلم والهدى حياة الأرواح، كما أن بالمطر حياة

---

(١) أضواء البيان (٧/٢٥٦-٢٥٧).

(٢) أضواء البيان (٧/٣٨٣-٣٨٤).

الأجسام، وأشار إلى وجه ضرب هذا المثل بقوله جل وعلا: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف:٥٨]. وقد أوضح ﷺ هذا المثل المشار إليه في الآيتين في حديث أبي موسى رضي الله عنه المتفق عليه؛ حيث قال ﷺ: (إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب أرضًا؛ فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء؛ فنفع الله بها الناس فشربوا منها، وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأً؛ فذلك مثل مَن فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به؛ فعلم وعلم، ومثل مَن لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)[1].

٣- تدبُّر الآيات المتعلقة بأحوال المسلمين المعاصرة:

قال الله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [الروم:٦]؛ قال الشنقيطي رحمه الله: (اعلم أنه يجب على كل مسلم في هذا الزمان أن يتدبر آية (الروم) هذه تدبرًا كثيرًا، ويبين ما دلت عليه لكل من استطاع بيانه له من الناس؛ وإيضاح ذلك أن **من أعظم فتن آخر الزمان التي ابتلى الله بها ضعاف العقول من المسلمين شدة إتقان الإفرنج لأعمال الحياة الدنيا**، ومهارتهم فيها على كثرتها، واختلاف أنواعها مع عجز المسلمين عن ذلك، فظنوا أن من قدر على تلك الأعمال أنه على الحق، وأن من عجز عنها متخلف وليس على الحق، وهذا جهل فاحش، وغلط فادح، وفي هذه الآية الكريمة إيضاح لهذه الفتنة، وتخفيف لشأنها أنزله الله في كتابه قبل وقوعها بأزمان كثيرة، فسبحان الحكيم الخبير ما أعلمه، وما أعظمه، وما أحسن تعليمه.

فقد أوضح جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن أكثر الناس لا يعلمون، ويدخل فيهم أصحاب هذه العلوم الدنيوية دخولاً أوليًّا، فقد نفى عنهم جل وعلا اسم العلم بمعناه الصحيح الكامل؛ لأنهم لا يعلمون شيئًا عمن خلقهم، فأبرزهم من العدم إلى الوجود، ورزقهم، وسوف يميتهم، ثم يحييهم، ثم يجازيهم على

(١) أضواء البيان (١/١٣-١٤).

أعمالهم، ولم يعلموا شيئًا عن مصيرهم الأخير الذي يقيمون فيه إقامة أبدية في عذاب فظيع دائم، ومن غفل عن جميع هذا فليس معدودًا من جنس من يعلم؛ كما دلت عليه الآيات القرآنية المذكورة، ثم لما نفى عنهم جل وعلا اسم العلم بمعناه الصحيح الكامل، أثبت لهم نوعًا من العلم في غاية الحقارة بالنسبة إلى غيره. وعاب ذلك النوع المذكور من العلم، بعيبين عظيمين؛ أحدهما: قلته وضيق مجاله؛ لأنه لا يجاوز ظاهرًا من الحياة الدنيا، والعلم المقصور على ظاهر من الحياة الدنيا في غاية الحقارة وضيق المجال بالنسبة إلى العلم بخالق السماوات والأرض جل وعلا والعلم بأوامره ونواهيه، وبما يقرب عبده منه، وما يبعده عنه، وما يخلد في النعيم الأبدي والعذاب الأبدي من أعمال الخير والشر.

والثاني منهما: هو دناءة هدف ذلك العلم، وعدم نبل غايته؛ لأنه لا يتجاوز الحياة الدنيا، وهي سريعة الانقطاع والزوال، ويكفيك من تحقير هذا العلم الدنيوي أن أجود أوجه الإعراب في قوله: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا ﴾ [الروم:٧]، أنه بدل من قوله قبله: ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾؛ فهذا العلم كلا علم لحقارته)[1].

وقفة ختامية:

نختم هذا البحث بدعاء للشيخ الشنقطيي رحمه الله، له تَعَلُّقٌ بالتَّدَبُّر؛ دعا به في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٠]؛ وهو: (**نرجو الله تعالى القريب المجيب أن تغمرنا بركات هذا الكتاب العظيم المبارك بتوفيق الله تعالى لنا لتدبر آياته، والعمل بما فيها من الحلال والحرام، والأوامر والنواهي، والمكارم والآداب، امتثالاً واجتنابًا، إنه قريب مجيب**)[2].

وقد ظهر ذلك في سيرته رحمه الله؛ نذكر منها نوعين:

أ/ التأثر والبكاء عند تفسير القرآن الكريم:

إنّ الإنسان إذا خالط القرآن بشاشة قلبه، وتدبره وتمعن في معانيه؛ ازداد إيمانه ولا يملك العبرة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

---

(١) أضواء البيان (٦/١٦٦).

(٢) أضواء البيان (٤/١٦٢).

[الأنفال:٢]، وكما قال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم:٥٨] فالتأثر بالقرآن والبكاء عند سماعه دليل على تدبره، والشيخ الأمين -رحمه الله- كان يبكي عند تفسيره القرآن؛ ومن الأمثلة على ذلك: عند تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف:٥٦]؛ في درسه في المسجد النبوي، بعد صلاة المغرب، عندما شرع في تفسير هذه الآية تأثر وغلبته العبرة، فبكى ولم يستطع التوقف عن البكاء حتى أُذن لصلاة العشاء[١].

فهذا الموقف يدل على شدة تأثر الشيخ -رحمه الله- بالقرآن؛ لأنّ الإنسان -في الغالب- إذا خلصت نيته لا يبكي في الملأ إلا إذا غلبه البكاء، فبكاء الشيخ الشديد أمام الناس، وعدم القدرة على إكمال الدرس؛ فيه دلالة على شدة تأثر الشيخ بالقرآن، هذا ما ظهر للناس، فكيف إذا كان في خلوته، فلا شك أنّ العبرة تكون أقرب وأسرع، هذا ما توحيه الدلائل وما يحكيه عنه تلاميذه وأبناؤه.

ب/ ظهور أثر القرآن الكريم في حياة الشيخ:

إنّ من أهم ثمرات تدبر القرآن الكريم أن يمتثل المسلم ما جاء في القرآن، ويلتزم به، فالتَّدَبُّر الكامل هو الذي يظهر أثره على العبد، وذلك بامتثال أوامر القرآن واجتناب نواهيه، والشيخ الأمين -رحمه الله- كل من تتلمذ على يديه أو جالسه أو رافقه يلحظ تأثره وتعظيمه للقرآن، وأسوق بعض الجوانب التي يظهر فيها أثر القرآن على الشيخ:

الجانب الأول: زهده في الدنيا: قال عنه ابنه الدكتور عبدالله -حفظه الله-: (كان رحمه الله لا يريد الدنيا، ولا يهتم بها، ويقول: الذي يفرحنا أن الدنيا لو كانت ميتة لأباح الله منها سد الخلة، وكان يقول: لم أقترض قط لأحد، ولم أبع، وترك لي والدي ثروة فكنت أعيش منها، وكان عندي كنز عظيم أرجو الله ألاّ يضيع مني؛ هو القناعة). وقال أيضًا: (وقد أخبرني أيضًا: أنه كان في المدينة، وكان لا يوجد عنده أي مال، وقد وعده أحد جيرانه أن يقترض له مالاً، ولما أراد الشيخ أن يأتيه وجده يشتغل، وعليه ملابس مبتذلة، فرجع عنه وكأنه وجد في نفسه قليلاً أنه في عازة، قال: ولم أشعر حتى خررت ساجدًا في الطريق

(١) هذه القصة ذكر الشيخ صالح المغامسي -الداعية المعروف- أنه حضرها، وسمعتُها منه غير مرة.

في الغبار، ورفعت رأسي وعندي فرح ونشوة لا يعلمها إلا الله إكرامًا لما أعطاني من العلم، فكيف أريد دنيا وربي أكرمني بالعلم، وبفهم كتاب الله، فذهبت إلى البيت وكأن الدنيا كملت لي لاستشعاري نعمة الله عليّ بما أعطاني من فهم القرآن، وقد سد الله لي تلك الحاجة من غير أن أسأل أحدًا إكرامًا منه وفضلاً).

وقال أيضًا: (كان رحمه الله يخاف من الدنيا، ويكلمني بقوله: (احذر من الدنيا؛ فإنها كالماء المالح، والشيطان يكذب عليك ويقول: اجمع الأموال لتتصدق بها، وتبني بها المدارس، وتعمل بها الأربطة، وهو يكذب عليك، يريد أن يضيع وقتك، فإذا جمعت المال لا أنت تعطيه للناس، ويشغلك عن عبادة الله، فهذا شيطان يريد أن يصرفك عما هو خير لك، وأنا أقدر الناس على أن أكون أغنى الناس، وتركت الدنيا لأني أعلم أنه إذا تلطخ بها العبد لا ينجو منها إلا من عصمه الله، ولم يوجب الله عليك أن تجمع الأموال لكي تتصدق بها على الناس، فاحذر يا ولدي من الدنيا، واعلم أنها كالماء المالح، وأن أهل الدنيا في شغل وتعب؛ فصاحب الدنيا النهار يشتغل في البضاعة والتجارة، وفي الليل يفكر فيها، ويموت عنها، وقد لا يترحم عليه الورثة، يقولون: هذا ماله مات عنه، فاحذر يا بني من الدنيا)[(١)].

الجانب الثاني: اجتنابه الغيبة: الغيبة من أكثر الأدواء انتشارًا بين المسلمين، وهي كبيرة من كبائر الذنوب، ومع ذلك استسهلها كثير من الناس، وأطلقوا لألسنتهم العنان، فخسروا أجورهم وتحملوا أوزار غيرهم، ولم يكن الشيخ الأمين -رحمه الله- يغتاب أحدًا، ولا يسمح بغيبة أحد في مجلسه، وكثيرًا ما يقول لإخوانه: (تكايسوا)؛ أي: من الكياسة والتحفظ من خطر الغيبة، ويقول: (إذا كان الإنسان يعلم أنّ كل ما يتكلم به يأتي في صحيفته، فلا يأتي فيها إلا الشيء الطيب)[(٢)].

قال في رحلته: (ثم جئنا آخر النهار للقرية المسماة (آتية) فالتمسنا عربيًا نبيت عنده، فدعانا رجل عربي، والله ما سألت عن اسمه ولا اسم أبيه خوفًا من الغيبة، فأنزلنا في مكان يعوي منه الكلب وأغلقه

(١) ينظر: جهود الشيخ في تقرير عقيدة السلف (١/٣٨-٣٩).

(٢) ينظر: جهود الشيخ في تقرير عقيدة السلف (١/٤٠).

علينا من الخارج ...)[١].

وقال عنه ابنه الدكتور عبدالله -حفظه الله-: (كان يكره الكلام في الناس، أو التكلم في الدنيا، وكان لا يرضى من طلابه، ولا من جلسائه أن يغتابوا أحدًا، ويقول لهم: يا أبنائي وإخواني، إن قتل الأولاد وأخذ الأموال يهون، لكن أخذ حسناتي وأنا شايب فهذا لا سكوت عليه، هذا خور وضعف، وأنا رجل مؤمن وهذه البقعة ملكنيها الله فلا يكون لأحد الغيبة فيها، ولا تأكلوا لي أعراض الناس، والله لو أخذتم مالي لتغاضيت عنكم، ولكن تأخذوا لي حسناتي وأنا شايب، هذا لا صبر لي عليه).

وقال أيضًا: (وقد كنت يومًا أنا وأحد الطلاب، وكان عنده شيخ يصحح عليه تأليفًا له، وكنا في مكة، فقال أحد الجلوس: ويُكره التأليف من مقصِّر، فضحكت أنا، فغضب، وقال: يا بني، ماذا فعلت لك؟ كيف تأكل الغيبة في المسجد الحرام)[٢].

الجانب الثالث: ورعه عن الفتيا: قال عنه ابنه الدكتور عبدالله -حفظه الله-: (إنه في آخر حياته أصبح لا يتكلم إلا في كتاب أو سنة، ويقول: كلام الناس لا أضعه في ذمتي. إذا كان عندي على المسألة نص من كتاب أو سنة أقول بها، وإذا لم يكن عندي نص أقول: "الله أعلم؛ لأن الله يقول: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء:٣٦]. وفي يوم من الأيام جاءه طلبة من الكويت، وسألوه عن مسائل من الأمور المستحدثة؛ فقال الشيخ: أجيبكم من كتاب الله تعالى. فاشرأبت أعناق الحضور لسماع هذه الإجابة من كتاب الله تعالى، فقال: أقول لكم: الله أعلم، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾؟ والله لا أعلم فيها شيئًا من كتاب ولا سنة، وكلام الناس لا أضعه في ذمتي، اذهبوا إلى غيري)[٣].

---

(١) رحلة الحج (ص٨٧).

(٢) ينظر: جهود الشيخ في تقرير عقيدة السلف (١/٤٠).

(٣) ينظر: جهود الشيخ في تقرير عقيدة السلف (١/٤١).

النموذج الخامس
ملامح التَّدَبُّر عند الشيخ ابن عاشور (١٣٩٤هـ)
في كتابه: التحرير والتنوير

أولاً: حقيقة التَّدَبُّر عند ابن عاشور:

يعرِّف ابن عاشور رحمه الله التَّدَبُّر من حيث اللغة؛ فيقول رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء:٨٢] "التَّدَبُّر مشتق من الدَبَر، أي: الظهر، اشتقوا من الدَبَرِ فِعْلاً، فقالوا: تَدَبَّرَ: إذا نَظَرَ في دُبُر الأمر، أي في غائبه أو في عاقبته، فهو من الأفعال التي اشتقت من الأسماء الجامدة.

والتَّدَبُّر يتعدى إلى المتأمل فيه بنفسه؛ يقال: تَدَبَّرَ الأمر.

فمعنى ﴿ يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ ﴾: يتأملون دلالته؛ وذلك يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يتأملوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين؛ أي: تدبر تفاصيله.

وثانيهما: أن يتأملوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنه من عند الله، وأن الذي جاء به صادق.

وسياق هذه الآيات يرجِّحُ حَمْلَ التَّدَبُّر هنا على المعنى الأول؛ أي: لو تأملوا وتدبروا هدي القرآن لحصل لهم خير عظيم، ولَمَا بَقَوْا على فتنتهم التي هي سبب إضمارهم الكفر مع إظهارهم الإسلام.

وكلا المعنيين صالح بحالهم، إلا أن المعنى الأول أشدُّ ارتباطًا بما حُكِيَ عنهم من أحوالهم)[١].

التَّدَبُّر اصطلاحًا:

يبين ابن عاشور رحمه الله المعنى الاصطلاحي للتَّدَبُّر بقوله: (والتَّدَبُّر: إعمال النظر العقلي في

---

(١) التحرير والتنوير (١٣٧/٥-١٣٨).

دلالات الدلائل على ما نصبت له)[1].

وفي موضع آخر يقول رحمه الله مبينًا معنى التَّدَبُّر ومكانه: (والتَّدَبُّر: التفكر والتأمل الذي يبلغ به صاحبه معرفة المراد من المعاني، وإنما يكون ذلك في كلام قليل اللفظ كثير المعاني التي أودعت فيه؛ بحيث كلما ازداد المتدبر تدبرًا انكشفت له معانٍ لم تكن بادية له بادئ النظر)[2].

ويؤكد ابن عاشور أن التَّدَبُّر عملٌ العقول؛ فيقول رحمه الله: (الجماعات إذا سمعوا القرآن سمعوه سماعًا متساويًا، وإنما يتفاوتون في تَدَبُّرِه، **والتَّدَبُّر من عَمَلِ العُقُولِ**)[3].

ولكون التَّدَبُّر عَمَلاً عقليًا؛ فإنَّه يتطلب التمهل والتأني في القراءة؛ قال ابن عاشور رحمه الله ناقلاً معنى الدرس: (وقالوا: دَرَسَ الكتاب: إذا قَرَأَهُ بتَمَهُّلٍ لحفظه، أو للتَّدَبُّرِ)[4].

والحاصل: أنَّ التَّدَبُّر عند ابن عاشور رحمه الله هو: إعمال النظر العقلي في دلالات الدلائل على ما نصبت له، وهو عمل عقلي تقوم به العقول بتمهل، ولا يظهر من كلام ابن عاشور رحمه الله أنَّه يعتبر التَّدَبُّر من أعمال القلوب، كما يرى عدد من أهل العلم.

التَّدَبُّر ليس شرطًا للثواب:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠﴾ [فاطر: ٢٩-٣٠].

قال ابن عاشور رحمه الله: (وفي الآية ما يشمل ثواب قراء القرآن، فإنهم يصدق عنهم أنهم من الذين يتلون كتاب الله ويقيمون الصلاة ولو لم يصاحبهم التَّدَبُّر في القرآن؛ فإن للتلاوة حظها من الثواب والتنور

---

(١) المصدر السابق (١٨/٨٧).

(٢) المصدر السابق (٢٣/٢٥٢).

(٣) المصدر السابق (١/٢٥٦).

(٤) المصدر السابق (٣/٢٩٥).

بأنوار كلام الله)[١].

ثانيًا: المصطلحات المرادفة للتَّدَبُّر عند ابن عاشور رحمه الله:

يستخدم ابن عاشور رحمه الله في سياق حديثه عن التَّدَبُّر عددًا من الألفاظ ذات الصلة؛ مثل: التأويل[٢]، والتفهُّم[٣]، والتأمل[٤]، والتفسير[٥]، والنَّظَر[٦]. وبالنظر لهذه المصطلحات ودلالاتها عند علماء علوم القرآن؛ نجد أنَّ التَّدَبُّر عند ابن عاشور رحمه الله أوسع دلالة من التفسير والتأويل، حيث يشملها جميعًا مع التفهُّم والاستنباط ونحوها.

ثالثًا: أهمية التَّدَبُّر عند ابن عاشور:

١- تدبر القرآن وتفهُّمِه من آداب التلاوة:

قال ابن عاشور رحمه الله: (ذكر فقهاؤنا في آداب قراءة القرآن أن التفهم مع قلة القراءة أفضل من كثرة القراءة بلا تفهم. قال الغزالي في (الإحياء): (التَّدَبُّر في قراءته إعادة النظر في الآية، والتفهم أن يستوضح من كل آية ما يليق بها كي تتكشف له من الأسرار معانٍ مكنونة لا تتكشف إلا للموفقين). قال: (ومن موانع الفهم أن يكون قد قرأ تفسيرًا واعتقد أن لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس وابن مجاهد، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي؛ فهذا من الحجب العظيمة)[٧].

٢- تدبر القرآن الكريم فيه توصُّلٌ لهدايته العامة للأمة:

قال ابن عاشور رحمه الله: (جعل الله القرآن كتاب الأمة كلها وفيه هديها، ودعاهم إلى تدبره وبذل

---

(١) التحرير والتنوير (٢٢/٣٠٨).

(٢) انظر مثالاً: التحرير والتنوير (١/٣١).

(٣) انظر مثالاً: التحرير والتنوير (١/٢٩).

(٤) انظر مثالاً: التحرير والتنوير (١/٩٧)، (٦/٧٦).

(٥) انظر مثالاً: التحرير والتنوير (١/٣٠).

(٦) انظر مثالاً: التحرير والتنوير (١٥/٦٣).

(٧) التحرير والتنوير (١/٢٩).

الجهد في استخراج معانيه في غير ما آية كقوله تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن:١٦]، وقوله: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء:٨٣]، وقوله: ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [العنكبوت:٤٩]، وغير ذلك)[١].

٣- تدبر القرآن مفيد لليقين بأنه من عند الله:

قال ابن عاشور رحمه الله: (ما يشتمل عليه القرآن إذا تدبر فيه المتدبر وجده مفيدًا اليقين بأنه من عند الله)[٢].

٤- تدبر القرآن طريق للهدى الشرعي:

قال ابن عاشور رحمه الله: (الهدى الشرعي هو: الإرشاد إلى ما فيه صلاح العاجل الذي لا ينقض صلاح الآجل. وأثر هذا الهدى هو الاهتداء؛ فالمتقون يهتدون بهديه، والمعاندون لا يهتدون؛ لأنهم لا يتدبرون)[٣].

٥- تدبر القرآن يوصل إلى معرفة إعجازه البلاغي والتشريعي والعلمي:

قال ابن عاشور رحمه الله: (القرآن قد اشتطت ألفاظه ومعانيه على ما لو تَدَبَّرَهُ العقل السليم لجزم بكونه من عند الله تعالى؛ **فإنه جاء على فصاحة وبلاغة ما عهدوا مثلهما** من فحول بلغائهم، وهم فيهم متوافرون متكاثرون، حتى لقد سجد بعضهم لبلاغته واعترف بعضهم بأنه ليس بكلام بشر. **وقد اشتمل من المعاني على ما لم يطرقه شعراؤهم وخطباؤهم وحكماؤهم**، بل على ما لم يبلغ إلى بعضه علماء الأمم. **ولم يزل العلم في طول الزمان يظهر خبايا القرآن** ويبرهن على صدق كونه من عند الله، فهذه الصفات كافية لهم في إدراك ذلك، وهم أهل العقول الراجحة والفطنة الواضحة التي دلت عليها أشعارهم وأخبارهم وبداهتهم ومناظرتهم، والتي شهد لهم بها الأمم في كل زمان، فكيف يبقى بعد ذلك

---

(١) التحرير والتنوير (٩٤/١).

(٢) التحرير والتنوير (٢٢٤/١).

(٣) التحرير والتنوير (٢٢٥/١).

كله مسلك للرَّيْبِ فيه إليهم فضلاً عن أن يكونوا منغمسين فيه؟!)[١].

٦- عدم التَّدَبُّر طريقٌ لوُقُوع الأُمَّةِ في الجهالة والتناقضات:

قال ابن عاشور رحمه الله: (الأُمَّة إذا انغمست في الجهالة وصارت عقائدها غرورًا ومن دون تدبر؛ اعتقدت ما لا ينتظم مع الدليل واجتمعت في عقائدها المتناقضات)[٢].

٧- التَّدَبُّر طريق لمعرفة الفروق بين الحلال والحرام:

قال ابن عاشور رحمه الله: (وقوله: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ [البقرة:٢٧٥] من كلام الله تعالى جواب لهم وللمسلمين، فهو إعراضٌ عن مُجَادلتهم؛ إذ لا جدوى فيها؛ لأنهم قالوا ذلك كفرًا ونفاقًا؛ فليسوا ممن تشملهم أحكام الإسلام، وهو إقناع للمسلمين بأن ما قاله الكفار هو شبهة محضة، وأن الله العليم قد حرم هذا وأباح ذلك، وما ذلك إلا لحكمة وفروق معتبرة **لو تَدَبَّرَهَا أهل التَّدَبُّر لأدركوا الفَرْقَ بين البيع والربا)**[٣].

٨- التَّدَبُّر عاصمٌ من الضلال والوقوع في المتشابهات وترك المحكمات:

قال ابن عاشور رحمه الله: (وقد علم من تعقيب قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [آل عمران:٧] الآيات، بقوله: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ [آل عمران:٨]؛ أنَّ من جملة ما قصد بوصف الكتاب بأن منه محكمًا ومنه متشابهًا، **إيقاظ الأمة إلى ذلك لتكون على بصيرة في تدبر كتابها؛ تحذيرًا لها من الوقوع في الضلال** الذي أوقع الأمم في كثير منه وجود المتشابهات في كتبها، وتحذيرًا للمسلمين من اتباع البوارق الباطلة؛مثل: ما وقع فيه بعض العرب من الردة والعصيان، بعد وفاة الرسول ﷺ، لتوهم أن التدين بالدين إنما كان لأجل وجود الرسول بينهم)[٤].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٣٦/١).

(٢) التحرير والتنوير (٧٤٧/١).

(٣) التحرير والتنوير (٨٤/٣).

(٤) التحرير والتنوير (١٦٩/٣).

وفي موضع آخر يقول رحمه الله: (اعلم أنَّ قوله تعالى: ﴿أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:٢٠] كلمةٌ جامعةٌ لمعاني كُنْهِ الإسلام وأصوله أُلْقِيَتْ إلى الناس ليتدبروا مطاويها فيهتدي الضالون، ويزداد المسلمون يقينًا بدينهم)[١].

٩- التَّدَبُّر في صدق الرسول ﷺ من أنفع أسباب الفوز في العاجل والآجل:

قال ابن عاشور رحمه الله متكلمًا عن المشركين وعدم إيمانهم: (لما أعرضوا عن التَّدَبُّر في صدق الرسول -عليه الصلاة والسلام-؛ فقد أضاعوا عن أنفسهم أنفع سبب للفوز في العاجل والآجل، فكان ذلك سبب ألا يؤمنوا بالله والرسول واليوم الآخر؛ فعدم الإيمان مسبب عن حرمانهم الانتفاع بأفضل نافع)[٢].

١٠- التَّدَبُّر من الأعمال المترتبة على تعاقب الليل والنهار:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان:٦٢].

قال ابن عاشور رحمه الله في معنى الآية الكريمة: (فالمعنى: جعل الليل خِلْفَةً والنهار خِلْفَةً؛ أي: كل واحد منهما خلفة عن الآخر؛ أي: **فيما يعمل فيها من التَّدَبُّر في أدلة العقيدة والتعبد والتذكر)**[٣].

١١- التَّدَبُّر مفتاح معرفة خصائص ونِكَات الآيات القرآنية:

قال ابن عاشور رحمه الله: (فكم من خصائص ونكت تنهال على المتدبر من آيات القرآن التي لا يحيط بها إلا الحكيم العليم!)[٤].

١٢- تَدَبُّرُ القرآن سببٌ لنيل الحكمة:

قال ابن عاشور رحمه الله: (مَن تَدَبَّرَ القرآن وعَمِلَ به وفَهِمَ خفاياه؛ نَالَ الحكمة)[٥].

---

(١) التحرير والتنوير (٣/٢٠٢).

(٢) التحرير والتنوير (٧/١٥٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٩/٦٥).

(٤) التحرير والتنوير (٢٥/٢٦٩).

(٥) التحرير والتنوير (٢٨/٢٠٩).



بأسلوبك؛ يمكن بيان (أهمية التَّدَبُّر) من خلال الجمع بين كلام ابن عاشور وكلام السعدي في النقاط التالية:

(١) ....

(٢) ....

(٣) ....

(٤) ....

(٥) ....

(٦) ....

(٧) ....

(٨) ....

(٩) ....

(١٠) ....

رابعًا: ضوابط للتَّدَبُّر السليم من كلام ابن عاشور:

١- الحذر من التفسير بمبادئ الرأي دون تدبُّر القرآن:

أورد ابن عاشور رحمه الله آثار القائلين بمنع التفسير بالرأي، ووجَّه تلك الآثار بعدة توجيهات؛ ومنها توجيهان متعلقان بالتَّدَبُّر.

قال ابن عاشور رحمه الله في التوجيه الأول: (ألا يتدبر القرآن حق تدبره؛ فيفسره بما يخطر له من بادئ الرأي دون إحاطة بجوانب الآية ومواد التفسير، مقتصرًا على بعض الأدلة دون بعض؛ **كأن يعتمد على ما يبدو من وجه العربية فقط**؛ كمن يفسر قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٧٩] الآية، على ظاهر معناها؛ يقول: إن الخير من الله والشر من فعل الإنسان، بقطع النظر على الأدلة

الشرعية التي تقتضي ألا يقع إلا ما أراد الله، غافلاً عما سبق من قوله تعالى: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٧٨].

أو بما يبدو من ظاهر اللغة دون استعمال العرب؛ كمن يقول في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾ [الإسراء:٥٩]؛ فيفسر ﴿مُبۡصِرَةٗ﴾ بأنها ذات بصر لم تكن عمياء، فهذا من الرأي المذموم لفساده)[١].

وقال رحمه الله في التوجيه الثاني: (أن يكون القَصْدُ من التَّحْذِيْرِ أخذَ الحِيْطَةِ في التَّدَبُّر والتأويل ونبذ التسرع إلى ذلك، وهذا مقامٌ تفاوت العلماء فيه، واشتد الغلو في الورع ببعضهم؛ حتى كان لا يذكر تفسير شيء غير عازيه إلى غيره)[٢].

٢- استخراج التَّدَبُّرات من الآيات عامة، ولو كانت من الآيات التي نزلت في الكفار:

قال ابن عاشور رحمه الله: (قال في (الكشاف): وكم من آية أنزلت في شأن الكافرين وفيها أوفر نصيب للمؤمنين تدبرًا لها واعتبارًا بموردها[٣]. **يعني:** أنها في شأن الكافرين من دلالة العبارة، وفي شأن المؤمنين من دلالة الإشارة)[٤].

٣- التَّدَبُّر يستدعي قَبُول المعاني التي يحتملها التركيب القرآني جميعها:

قال ابن عاشور رحمه الله: (وإنك لتَمُرُّ بالآية الواحدة فتتأملها وتتدبرها؛ فتنهال عليك معانٍ كثيرة يسمح بها التركيب على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي، وقد تتكاثر عليك فلا تلك من كثرتها في حصر، ولا تجعل الحمل على بعضها منافيًا للحمل على البعض الآخر إن كان التركيب سمحًا بذلك)[٥].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠/١).

(٢) التحرير والتنوير (٣١/١).

(٣) الكشَّاف (٣٠٢/٣).

(٤) التحرير والتنوير (٣٧/١).

(٥) التحرير والتنوير (٩٧/١).

٤- نزول القرآن مُنَجَّمًا أعون على تدبره:

قال ابن عاشور رحمه الله: (إن نزوله منجمًا أعون لحفاظه على فهمه وتدبره)[١].

وهذا الصنيع في تنجيم القرآن لتحقيق الفهم والتَّدَبُّر يمكن أن يأخذ منه طالب العلم ضابطًا مهمًّا في التَّدَبُّر؛ وهو: تقسيم السور المراد تدبرها إلى مقاطع متعددة، تمثل وحدات موضوعية، تعين على تحقيق تدبر القرآن.

٥- اجتماع الأفهام المختلفة معينٌ على التَّدَبُّر:

قال ابن عاشور رحمه الله: (إذا اجتمع أصحاب الأفهام على مدارسته وتدبره بدت لجموعهم معانٍ لا يحصيها الواحد منهم وحده)[٢].

٦- صلاة الليل تعين على تَدَبُّر القرآن الكريم:

قال ابن عاشور رحمه الله: (قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل:٥]؛ فالمعنى: أن صلاة الليل أعون على تذكر القرآن والسلامة من نسيان بعض الآيات، وأعون على المزيد من التَّدَبُّر)[٣].

٧- تدَبُّر الآيات القرآنية هو جهد الناظر، ولا يلزم أن يكون هو كل معنى الآية الكريمة:

قال ابن عاشور رحمه الله: (ما يبين من الخصائص البلاغية في القرآن ليس يريد من يبينه أن ما لاح له ووفق إليه هو قصارى ما أودعه الله في نظم القرآن من الخصائص والمعاني، **ولكنه مبلغ ما صادف لوحه للناظر المتدبر**، والعلماء متفاوتون في الكشف عنه على قدر القرائح والفهوم، فقد يفاض على أحد من إدراك الخصائص البلاغية في بعض الآيات ولا يفاض عليه مثله أو على مثله في غيرها)[٤].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٠/١٩).

(٢) التحرير والتنوير (١٨٩/٢٧).

(٣) التحرير والتنوير (٢٦٣/٢٩).

(٤) التحرير والتنوير (٣٢/١٨).

نشاط

من خلال دراسة هذه الضوابط التي نص عليها ابن عاشور، والضوابط المذكورة في (الوحدة.........)؛ يمكن الجمع بينها في النقاط التالية:

(١) ....

(٢) ....

(٣) ....

(٤) ....

(٥) ....

(٦) ....

(٧) ....

(٨) ....

(٩) ....

(١٠) ....

خامسًا: موانع التَّدَبُّر عند ابن عاشور:

١- الاستكبار:

قال ابن عاشور رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣] (الاستكبار: الإعراض في قلة اكتراث، فبهذا المعنى يتعدى إلى الآيات، أو أريد من الآيات التأمل فيها فيكون الاستكبار على حقيقته؛ أي: **تستكبرون عن التَّدَبُّر في الآيات وترون أنفسكم أعظم من صاحب تلك الآيات)**[1].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٨٠/٧).

٢- تعطيل المواهب المعينة على التَّدَبُّر سلوكًا لطريق الصدِّ عن سبيل الله:

قال ابن عاشور رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ﴾ [إبراهيم:٣]: (والصَدُّ عن سبيل الله: مَنْعُ الداخلين في الإسلام من الدخول فيه، شُبِّهَ ذلك بمن يمنع المارَّ من سلوك الطريق، وجعل الطريق طريق الله لأنه موصل إلى مرضاته فكأنه موصل إليه. أو: **يصدُّون أنفسهم عن سبيل الله؛ لأنهم عطلوا مواهبهم ومداركهم من تدبر آيات القرآن**، فكأنهم صدوها عن السير في سبيل الله ويبغون السبيل العوجاء، فعلم أن سبيل الله مستقيم؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ ﴾ [الأنعام:١٥٣])[(١)].

٣- الاستهزاء واللمز:

قال ابن عاشور رحمه الله عند كلامه عن أغراض سورة الدخان: (أشبه افتتاح هذه السورة؛ فاتحة سورة الزخرف من التنويه بشأن القرآن وشرفه وشرف وقت ابتداء نزوله؛ ليكون ذلك مؤذنًا أنه من عند الله ودالاًّ على رسالة مُحَمَّد ﷺ، **وليتخلص منه إلى أن المعرضين عن تدبر القرآن ألهاهم الاستهزاء واللمز عن التَّدَبُّر**؛ فحق عليهم دعاء الرسول بعذاب الجوع، إيقاظًا لبصائرهم بالأدلة الحسية حين لم تنجع فيهم الدلائل العقلية)[(٢)].

٤- إنكار البعث:

قال ابن عاشور رحمه الله عند كلامه عن أغراض سورة الدخان: (وإذا كان إنكار البعث وإحالته من أكبر الأسباب التي أغرتهم على إهمال التَّدَبُّر في مراد الله تعالى؛ انتقل الكلام إلى إثباته والتعريف بما يعقبه من عقوبة المعاندين ومثوبة المؤمنين ترهيبًا وترغيبًا)[(٣)].

---

(١) التحرير والتنوير (١٣/١٨٤).

(٢) التحرير والتنوير (٢٥/٢٧٦).

(٣) التحرير والتنوير (٢٥/٢٧٦).

سادسًا: تطبيقات في التَّدَبُّر من تفسير ابن عاشور:

(١) تَدَبُّر الآيات المتعلقة بخلق السماوات والأرض:

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩﴾ [ق:٦-٩].

قال ابن عاشور رحمه الله معلقًا على الآيات: (أي: ألم يتدبروا في شواهد الخليقة)[١].

(٢) تَدَبُّر الآيات المتعلقة الأحكام:

قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٣٢ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣٣ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٣٤﴾ [النور: ٣٢-٣٤]

قال ابن عاشور رحمه الله مُفَسِّرًا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۝٣٤﴾: (ذيلت الأحكام والمواعظ التي سبقت؛ بإثبات نفعها وجدواها لما اشتملت عليه مما ينفع الناس، ويقيم عمود جماعتهم، ويميز الحق من الباطل، ويزيل من الأذهان اشتباه الصواب بالخطأ فيعلم الناس طرق النظر الصائب والتفكير الصحيح، **وذلك تنبيه لما تستحقه من التَّدَبُّر فيها ولنعمة الله على الأمة بإنزالها ليشكروا الله حق شكره)**[٢].

وهكذا يربط ابن عاشور رحمه الله بين الانتفاع بالأحكام والتَّدَبُّر، فالتَّدَبُّر طريقٌ للانتفاع بالأحكام.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٦/٢٨٥).

(٢) التحرير والتنوير (١٨/٢٢٨).

(٣) تَدَبُّر الآيات المتعلقة بالآداب:

قال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور:٦٣].

قال ابن عاشور رحمه الله: (قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ﴾ [النور:٦٢] الآية؛ نهوا عن أن يدعوا الرسول عند مناداته كما يدعو بعضهم بعضًا في اللفظ أو في الهيئة.

فأما في اللفظ؛ فبألاّ يقولوا: يا محمد، أو يا ابن عبدالله، أو يا ابن عبدالمطلب؛ ولكن يا رسول الله، أو يا نبي الله، أو بكنيته يا أبا القاسم.

وأما في الهيئة؛ فبألاّ يدعوه من وراء الحجرات، وألاّ يلحوا في دعائه إذا لم يخرج إليهم، كما جاء في سورة الحجرات؛ لأن ذلك كله من الجلافة التي لا تليق بعظمة قدر الرسول ﷺ. فهذا أدب للمسلمين وسد لأبواب الأذى عن المنافقين، **وإذ كانت الآية تحتمل ألفاظها هذا المعنى صحَّ للمتدبر أن ينتزع هذا المعنى منها**؛ إذ يكفي أن يأخذ مَن لاح له معنى ما لاح له)[١].

وهكذا يكون للتدبر دوره في إدراك المزيد من الآداب التي تدلُّ عليها الآيات الكريمة.

(٤) تَدَبُّر الآيات المتعلقة بالأمثال القرآنية:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾[الزمر:٢٧، ٢٨].

قال ابن عاشور رحمه الله: (وخصت أمثال القرآن بالذكر من بين مزايا القرآن؛ لأجل لفت بصائرهم للتدبر في ناحية عظيمة من نواحي إعجازه؛ وهي: بلاغة أمثاله، فإن بلغاءهم كانوا يتنافسون في جودة الأمثال وإصابتها المحز[٢] من تشبيه الحالة بالحالة)[٣].

---

(١) التحرير والتنوير (٣٠٩/١٨)، و هذا مثال جيد في الجمع بين الآيات المتعلقة بموضوع الآية نفسها.

(٢) يقال: تكلم فأصاب المحز: أى تكلم فأقنع.

(٣) التحرير والتنوير (٣٩٧/٢٣).

(٥) تَدَبُّر الآيات المتعلقة بالتاريخ:

قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف:٨٣]؛ **قال ابن عاشور رحمه الله:** (وهذه القصة القرآنية تعطي صفات لا محيد عنها:

إحداها: أنه كان ملكًا صالحًا عادلاً.

الثانية: أنه كان ملهمًا من الله.

الثالثة: أن ملكه شمل أقطارا شاسعة.

الرابعة: أنه بلغ في فتوحه من جهة المغرب مكانًا كان مجهولاً؛ وهو عين حمئة.

الخامسة: أنه بلغ بلاد يأجوج ومأجوج، وأنها كانت في جهة مما شمله ملكه غير الجهتين الشرقية والغربية فكانت وسطًا بينهما، كما يقتضيه استقراء مبلغ أسبابه.

السادسة: أنه أقام سدًا يحول بين يأجوج ومأجوج وبين قوم آخرين.

السابعة: أن يأجوج ومأجوج هؤلاء كانوا عائثين في الأرض فسادًا، وأنهم كانوا يفسدون بلاد قوم موالين لهذا الملك.

الثامنة: أنه كان معه قوم أهل صناعة متقنة في الحديد والبناء.

التاسعة: أن خبره خفي دقيق لا يعلمه إلا الأحبار علمًا إجماليًا، كما دل عليه سبب النزول.

وأنت إذا تَدَبَّرْتَ جميعَ هذه الأحوال؛ نَفَيْتَ أن يكون ذو القرنين إسكندر المقدوني؛ لأنه لم يكن ملكًا صالحًا، بل كان وثنيًا؛ فلم يكن أهلاً لتلقي الوحي من الله وإن كانت له كمالات على الجملة، وأيضًا فلا يعرف في تاريخه أنه أقام سدًا بين بلدين)[١].

وهكذا يتوصل ابن عاشور رحمه الله من خلال التَّدَبُّر في الآيات إلى إبطال ما شاع عند بعض المفسرين من كون الإسكندر المقدوني هو ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم.

(١) التحرير والتنوير (١٦/٢٠)، ويستفاد من هذا المثال إضافة طريقة في التَّدَبُّر؛ وهي: المقارنة بين القول وبين مجموع الآيات، ثم الحكم عليه صحةً وضعفًا من خلال ذلك.



استخرج بعض التطبيقات على التَّدَبُّر من كلام ابن عاشور في تفسيره، ودونها في الجدول التالي:

وجه التَّدَبُّر	الآية	كلام ابن عاشور
تَدَبُّر الآيات المتعلقة بخلق السماوات والأرض	....	....
....	....	....
....	....	....
....	....	....
....	....	....

الموضوع الثاني

نماذج من مؤلفي كتب التَّدَبُّر

معالم التَّدَبُّر في كتاب (المعين على تدبر الكتاب المبين)
للشيخ/ مجد بن أحمد مكي (حفظه الله)

تبرز في كتاب (المعين) الجوانب التطبيقية لتدبر القرآن الكريم من خلال النظر في التطبيقات التفسيرية التي تعين على تدبر القرآن الكريم، بناء على القواعد التي أوردها المؤلف في مقدمة كتابه، وذكر أنه التزم بها في هذا التفسير التَّدَبُّري، ورتبه على ترتيب المصحف.

وهذا بيان لأبرز المعالم المتعلقة بالجانب التطبيقي للتدبر في هذا الكتاب:

أولاً: حمل النصوص القرآنية على كل المعاني المحتملة إذا لم يكن بينها تناقض:

من المعلوم عند أهل التفسير أنه يرد في القرآن الكريم نصوص وألفاظ تحتمل أكثر من معنى، ويُنقل في تفسيرها عن السلف أقوال يختلف معناها دون أن يكون بينها تناقض.

وقد قعّد علماء التفسير قاعدة من أهم قواعد التفسير وأوسعها تطبيقًا، وهي: (إذا احتمل اللفظ معاني عدة ولم يمتنع إرادة الجمع؛ حمل عليها).

قال المؤلف في مقدمة كتابه تحت ما عنون له بـ(أهم القواعد التي التزمت بها في هذا التفسير): (حمل النص على كل المعاني إذا كانت الكلمات أو الجمل القرآنية تدل على أكثر من معنى، وعدم قصر النصِّ على واحد منها دون غيره، تمشيًّا مع عطاء القرآن الثَّر، الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنضب معانيه)(١).

ومن التطبيقات التفسيرية على هذا المعلم:

الأول: تفسير قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة:٢].

---

(١) المعين على تدبر الكتاب المبين [المقدمة: ط]، هذا مأخوذ عن حبنكة وسبق نسبته إليه.

قال المؤلف في تفسيره المعين: (ذلك الكتاب الكامل في الهداية والحكمة، لا شك في أنه من عند الله، وأنه الحق والصدق)[1].

فقول الله تعالى: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ يحتمل معنيين: أحدهما: لا شك في أنه منزل من عند الله. والثاني: لا يوجد فيه ريب ولا شك، بل كل ما فيه حق وصدق. وقد جمع المؤلف بين هذين المعنيين في تفسيره للآية.

الثاني: تفسير ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء: ٢٩]

قال المؤلف: (ولا يقتل الإنسان نفسه، ولا يقتل بعضكم بعضًا؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة، وقتلُ واحد منكم للآخر قتل لأنفسكم)[2].

فحمل هذا النهي على المعنيين اللذين يحتملهما.

الثالث: تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج: ٨]

قال المؤلف: (وما علموا فيهم عيبًا، ولا كرهوا منهم إلا إيمانهم بالله القوي الغالب القاهر الذي لا يُغالب ولا يُدافع، المحمود الذي يستحق أن يحمد ويثنى عليه، وهو أهل لذلك، والحامد الذي يحمد عباده على ما يكون منهم مما يستحق الحمد)[3].

وقد اجتمع في هذا التفسير تطبيقين لهذا المَعلم؛ وهما:

الأول: تفسير (العزيز)؛ حيث يجمع هذا اللفظ عدة معانٍ صحيحة؛ وهي: القوة والغلبة والقهر؛ فأتى بها كلها وفسر هذا الاسم بما يقتضيه من المعاني.

---

(١) المرجع السابق (ص٢).

(٢) المرجع السابق (ص٨٣).

(٣) المرجع السابق (ص٥٩٠).

الثاني: تفسير (الحميد)؛ فهو يحتمل أن يكون بمعنى المحمود وبمعنى الحامد؛ فأتى بالمعنيين جميعًا.

وتطبيقات هذا المعلم كثيرة جدًّا، ولا شك أن مراعاته مما يعين على تدبر القرآن الكريم على الوجه الأكمل والأحسن.

ثانيًا: تكثير معاني النصوص بحمل ما يحتمل التأسيس والتوكيد على التأسيس:

إذا دار المعنى في لفظ أو آية بين التوكيد والتأسيس؛ فحمله على التأسيس أولى؛ لأن في ذلك إضافة لمعنى جديد، وتوسيعًا لدلالات الآية.

قال المؤلف مبينًا ما التزم به في تفسيره من القواعد: (استبعاد احتمال التكرير لمجرد التأكيد ما أمكن؛ لتكامل النصوص القرآنية، ولأن التأسيس في كل نص منها مقدّم على التأكيد)[(١)].

وهذا المعلم لم يطّرد تطبيق المؤلف له في تفسيره هذا، بل طبّقه في مواضع وأهمله في مواضع أخرى. فمن التطبيقات التي التزم فيها بهذا المعلم:

التطبيق الأول: تفسير قول الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧]

قال المؤلف في تفسير الآية: (من عمل صالحًا ابتغاء مرضاة الله ذكرًا كان أو أنثى، وهو مؤمن إيمانًا صحيحًا صادقًا، فلنحيينه في الدنيا حياة طيبة بالقناعة، وحلاوة الطاعة، والرزق الحلال، والرضا بما قدّر الله له، ولنجزينّهم في الجنة بأحسن ما كانوا يعملون في الدنيا من عمل صالح)[(٢)].

فقد حمل المؤلف الحياة الطيبة في الآية على ما يكون في الدنيا، مع حملها على جميع المعاني التي يحتملها لفظ الحياة الطيبة، وذلك لأنها لو حملت على نعيم الجنة لكان ما بعدها تأكيدًا لها؛ والتأسيس أولى من التوكيد[(١)].

(١) المرجع السابق [المقدمة: ط].

(٢) المرجع السابق (ص٢٧٨).

(١) ينظر تقرير هذا القاعدة وتطبيقها على هذا المثال في أضواء البيان للشنقيطي (٣/٤٢٣–٤٢٧).

التطبيق الثاني: تفسير قول الله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٥﴾ [القيامة:٣٤، ٣٥]

قال المؤلف: (قاربك ما تكره من أنواع العذاب، فيتبعها نوع آخر، ثم يتبعه نوع ثالث من العذاب، فيتبعه نوع رابع في عذاب أبدي في جهنم)[(١)].

وهذا الذي قرره المؤلف في تفسير هاتين الآيتين قلّ من نبّه عليه وذكره بهذا التفصيل من المفسرين، وأكثرهم يقول: وعيد بعد وعيد، وتهديد بعد تهديد[(٢)].

التطبيق الثالث: تفسير قول الله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ [النبأ:٤، ٥]

قال المؤلف في تفسير هاتين الآيتين: ("... سيعلمون عند نزع أرواحهم عاقبة تكذيبهم حين تنكشف لهم مقاعدهم في جهنم دار العذاب، ثم عند البعث سيعلمون أن ما كانوا يكذبون به من أحوال الآخرة حق لا ريب فيه)[(٣)].

فمن المفسرين من جعل ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ مؤكدة لـ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤﴾، والراجح ما قرره المؤلف من حمل الآية الثانية على معنى غير المعنى الذي دلت عليه الآية الأولى.

ويؤيد حمل الآية الثانية على التأسيس أنها عطفت على الثانية بـ(ثم) التي تفيد التراخي، فوقت علمهم الثاني، بعد وقت علمهم الأول.

وقريب من هذا ما أورده المؤلف في تفسير قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التكاثر:٣، ٤][(١)].

---

(١) المعين على تدبر الكتاب المبين (ص٥٧٨).

(٢) بيّن القرطبي أن هاتين الآيتين اشتملتا على أربعة أنواع من الوعيد، مقابل أربعة أنواع من أعمال أبي جهل المنكرة؛ فقد أخبر الله قبلها عنه بقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢﴾ [القيامة: ٣١،٣٢]؛ (فَتَرْكُ التَّصْدِيقِ خَصْلَةٌ، وَالتَّكْذِيبُ خَصْلَةٌ، وَتَرْكُ الصَّلَاةِ خَصْلَةٌ، وَالتَّوَلِّي عَنِ اللَّهِ تَعَالَى خَصْلَةٌ، فَجَاءَ الْوَعِيدُ أَرْبَعَةً مُقَابِلَةً لِتلك الْخِصَالِ الْأَرْبَعَةِ). الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١١٤/١٩).

(٣) المعين على تدبر الكتاب المبين (ص٥٨٢).

(١) المرجع السابق (ص٦٠٠).

ثالثًا: العناية بما يهدف إليه النص القرآني من أغراض تربوية وتعليمية:

وهذا المعلم من أهم معالم تدبر القرآن الكريم؛ لأنه يتفق مع مفهوم التَّدَبُّر وأهدافه؛ فالتَّدَبُّر هو: التفكر في الآية وإعادة النظر فيها؛ لاستخراج أغراضها ومقاصدها.

قال المؤلف في بيان القواعد التي التزم بها عند كتابة هذا التفسير التَّدَبُّري: (بيان بعض ما يشتمل عليه النص القرآني من أوجه، وما يهدف إليه من أغراض تربوية وتعليمية)[1].

ومن التطبيقات على هذا المعلم:

التطبيق الأول: بعد تفسيره قول الله تعالى -في سياق ذكر خصال اليهود السيئة وأفعالهم القبيحة-: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾ [البقرة:٧٨]؛ قال:

(... فطعنكم -أيها المؤمنون- في إيمان جمهور اليهود في غير محلّه؛ لأن الظاهرات الاجتماعية تدلّ على أن هداية جمهورهم أمر ميؤوس منه، ولا مطمع فيه، فوجِّهوا جهودكم الدعوية لمجتمعات أخرى يكون بذل المجهود فيها أنفع وأجدى)[2]. فتبين أنّ الدعوة شيء واجب لكل أحد، ولكن انتظار الاستجابة والتعلق بها شيء آخر هو المنهي عنه.

وهذا البيان والتنبيه من المؤلف له أهمية كبيرة للدعاة والمصلحين والمربين، وهو مما يدخل تحت ما يسمى اليوم بـ(فقه الأولويات)، الذي يعدّ من أعلى صور الفقه وأهمها.

وقد جاء التنبيه على هذا التوجيه في صدر سورة (عبس) كما هو معلوم.

التطبيق الثاني: في تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء:١٦٣] قال: (... ولم يذكر موسى في هذه الآية؛ لأن الله أنزل عليه التوراة جملة واحدة. والمقصود بذكر من ذكر من الأنبياء في الآية أنه لم ينزل على أحد منهم كتابًا جملة واحدة، فلما لم يكن

(١) المعين على تدبر الكتاب المبين [المقدمة: ط].

(٢) المرجع السابق باختصار (ص١٢).

عدم إنزال الكتاب جملة واحدةً قادحًا في نبوتهم، فكذلك لم يكن إنزال القرآن على محمد ﷺ مفرقًا قادحًا في نبوته، بل قد أنزل عليه كما أنزل عليهم)[1].

وهذا تنبيه لطيف المأخذ في بيان المقصود بالآية، وفيه تقرير مخالف لما اشتهر من كون الكتب السابقة قد نزلت جملة واحدة[2].

والعجيب أن المؤلف -وفقه الله- لم يتنبه لما قرره هنا لما فسّر قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان:٣٢]، بل ذكر ما يفيد نزول الكتب السابقة دفعة واحدة، حيث قال في تفسيره لهذه الآية: (وقال الذين كفروا: هلاَّ أنزل القرآن على محمد دفعة واحدة مجتمع الآيات والسور، كما أنزلت التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والزبور على داود! قال الله تعالى: أنزلنا ما نزل من القرآن منجمًا، وسننزل ما بقي من القرآن منجمًا كذلك التنزيل الذي اعترضوا عليه، واقترحوا خلافه لثلاث حكم..."[3].

التطبيق الثالث: في تفسير قول الله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الكهف:٢٢]، نبّه المؤلف على أمور مهمة تهدف إليها هذه الآية

---

(١) المرجع السابق (ص١٠٤).

(٢) وقد بحث هذه المسألة كل من الباحثين: عايش علي محمد لبابنة، ويحيى ضاحي شطناوي؛ في بحث بعنوان (انفراد القرآن الكريم بالتنزيل المنجم- دراسة وتحقيق)، نشر في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية (١٤٢٨هـ)، وانتهى الباحثان إلى أن الكتب السماوية السابقة قد نزلت منجمة كالقرآن الكريم، وأن منهج التنجيم هو المنهج العام في تنزيل الكتب السماوية لحكم كثيرة مشتركة بين جميع الرسالات والرسل. **تنبيه**: وممن قرر ما توصل إليه الباحثان العلامة ابن عاشور؛ حيث قال: (وأزيد أن التوراة والإنجيل نزلا مفرقين كشأن كل ما ينزل على الرسل في مدة الرسالة، وهو الحق؛ إذ لا يعرف أن كتابًا نزل على رسول دفعة واحدة) انتهى من تفسيره التحرير والتنوير في تفسيره الآية (٣) من سورة (آل عمران).

(٣) المعين على تدبر الكتاب المبين (ص٣٦٢).

في باب الظن والاعتماد على خبر الغير[١].

نشاط

انقل من كلام المصنف ما يوضح الأهداف التربوية والتعليمية في النص القرآني.

....

....

....

التطبيق الرابع: في تفسير قول الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ:٢٤]؛ بيّن المؤلف معنى الآية ثمّ نبه على ما يلزم الداعي[٢].

نشاط

انقل من كلام المصنف ما يوضح الأهداف التربوية والتعليمية في النص القرآني.

....

....

....

رابعًا: العناية بخواتم الآيات ومراميها، وما تشتمل عليه من القضايا الكلية:

من الأمور المهمة في التعامل مع آيات القرآن الكريم، والتي لها صلة قوية بالتَّدَبُّر: الوقوف مع خواتم الآيات وإعادة النظر فيها مرة بعد أخرى. ووجه صلة الوقوف مع أواخر الآيات بالتَّدَبُّر أن آخر كل آية هي دبرها؛ لأن دبر الشيء يطلق على آخره كما يطلق على ما بعده.

فأواخر الآيات، وأواخر السور، وأواخر القرآن من الأهمية بمكان، ولها تعلق كبير بالتَّدَبُّر من جهة المعنى

(١) المرجع السابق (ص٢٩٦).

(٢) المرجع السابق (ص٤٣١).

اللغوي.

قال المؤلف في سياق تعداده القواعد التي التزم بها في كتابة هذا التفسير: (عُنيت بخواتم الآيات ومراميها، وما تشتمل عليه من قضايا كلية ترتبط بما جاء قبلها بمضمون الآية)(١).

ومع هذا؛ فإني لم أجد في هذا التفسير عناية تتناسب مع أهمية هذا المعلم، وغالب ما أورده من تفسيره لخواتم الآيات لم يخرج عند دائرة التفسير والبيان المعتاد.

وسأكتفي بتطبيقين على هذا المعلم:

التطبيق الأول: قول الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء:٣٤]؛ قال المؤلف في بيانه معنى الاسمين اللذين ختمت الآية بهما: (... إن الله كان من الأزل إلى الأبد عليًّا كبيرًا، له كمال العلو وكل غاياته، والكبير الذي ليس في الوجود كله مثل وصفه بالكبر؛ فهو سبحانه أعلى منكم سلطانًا، وأكبر قدرةً، فإذا تجاوزتم حدودكم فيمن جعل الله تحت أيديكم، فإن الله أقدر على عقوبتكم، وسلطانه أعلى من سلطانكم) (٢).

التطبيق الثاني: ما أورده المؤلف في تعليقه على خاتمة قول الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥]، حيث قال عن هذه الآية وما قبلها: (وهذه الآيات وإن نزلت في أهل التوراة والإنجيل، كما تدل على ذلك أسباب النزول، والسياقُ نفسه، لكن خواتيم الآيات: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم﴾؛ جاءت بصيغة العموم؛ فالعبرة بعموم

---

(١) المرجع السابق [المقدمة: ط].

(٢) المرجع السابق (ص٨٤). وقد ذكر الرازي أن ختم الآية بهاتين الصفتين في غاية الحسن، وذكر خمسة وجوه في مناسبة ذكر هذين الاسمين في هذا الموضع. ينظر مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٧٣/١٠).

اللفظ، ولا يجوز قصر أحكامها على غير المسلمين من أهل الكتاب)[١].

نشاط هات من كلام المصنف تطبيقين آخرين على هذا النوع من التَّدَبُّر.

التطبيق الأول:

....

....

....

التطبيق الثاني:

....

....

....

خامساً: التنبيه على المعاني العميقة والدلالات الدقيقة للنصوص القرآنية:

وهذا المعلم يتعلق بالتَّدَبُّر العميق الذي سبق التعريف به في أنواع التَّدَبُّر.

قال المؤلف عند ذكره القواعد التي التزم بها في كتابة هذا التفسير التَّدَبُّري: (ملاحظة العمق القرآني، والتنبيه إلى كثيرٍ من المعاني العميقة والدلالات الدقيقة التي لم يرد في النص ألفاظ صريحة تدل عليها دلالة واضحة، كالمحاذيف التي تحذف للإيجاز، ويقتضيها معنى النص، واللوازم الفكرية والكنايات البعيدة، وقد أمعنتُ النظر في استنباط المضامين الفكرية التي تستفاد من النَّص عن طريق اللزوم الفكري، أو الإشارات الضمنيَّة للكلام، بما فيها من تلويح، أو تلميح، أو تعريض، أو كناية، أو غير ذلك؛ إذ إنَّ الكثير من المعاني تُستفاد من النص لزومًا أو يقتضيها النصُّ اقتضاءً، كسؤال ذُكر جوابه بدون أن يُذكر، وجوابٍ ذكر سؤاله دون أن يذكر، واعتراض ردَّ النص عليه دون أن يُذكر في اللفظ، لكنه ملاحظٌ ذهنًا، وتتمات

(١) المعين على تدبر الكتاب المبين (ص١١٥).

يستدعيها اللزوم العقلي، وقد سكت النصُّ عنها، كما راعيتُ ظاهرة التضمين، وهو أن تذكر كلمة ذات معنى، وتُضمَّن مع معناها كلمة أخرى، ثم يبنى عليها كلامٌ على أساس معنى الكلمة الأخرى)[(١)].

وهذا المعلم اعتنى به المؤلف كثيرًا، وأجاد في تطبيقه، وذكر من الدلالات والاستنباطات ما يستحق الإشادة.

وسأكتفي بذكر نماذج تطبيقية مختارة لهذا المعلم.

التطبيق الأول: قول الله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٨٢﴾ [البقرة:١٨٢]؛ استنبط المؤلف من هذه الآية حكمين؛ أحدهما: دلالة الآية عليه ظاهرة. والثاني: في دلالة الآية عليه نوع خفاء. قال: (وفي الآية دليل على أن من وقف على جور في الوصية -من جهة العمد أو الخطأ- سواء أكان وصيًّا أم حاكمًا أم وارثًا أن يردها إلى العدل. (وهذا الحكم ظاهر)، وفيه دلالة على جواز الاجتهاد والعمل بغالب الظن؛ لأن الخوف من الميل يكون في غالب ظن الخائف)[(٢)].

التطبيق الثاني: تعليقه على قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨﴾ [التوبة: ٣٨]؛ حيث قال -وما أحسن ما قال-: (ويدل توجيه هذا الخطاب إلى المؤمنين عامة على أن الجيش في الإسلام هو كل الأمة، ولا يُعفى من الجندية سوى الضعفاء لعجز أو شيخوخة أو مرض. وهذا الإنكار على جماعة المؤمنين في إخلادهم إلى الأرض حين دعوتهم إلى الجهاد؛ تعليمٌ عام، وإرشاد شامل لجميع المسلمين في كل مكان وفي كل عصر، في وجوب مسارعتهم لدعوة الجهاد، وعدم الإخلاد إلى الأرض. على أن خطاب المؤمنين في ذلك الوقت، وفيهم مَن لبّى الدعوة، وبذل المال دون أن يتثاقل، دليل واضح على التضامن الذي يجب أن يكون بين المؤمنين، وعلى أن تثاقل نفر منهم محسوب على الجميع، وأن جماعتهم مسؤولة عن أفرادهم، وهذا هو الشأن العام في التكاليف الإلهية. ومقتضى هذا

---

(١) المعين على تدبر الكتاب المبين [المقدمة: ط].

(٢) المرجع السابق (ص٢٨).

وجوب تعهد الجماعة لمن يبدو عليه من أفرادها شيء من أمارات الضعف والتخاذل بما يقويه ويرفع من معنوياته)[1].

التطبيق الثالث: لما فرغ المؤلف من تفسير قول الله تعالى -في سياق قصة يوسف -عليه السلام-: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف:٣٧]؛ قال: (لم يشغل السجنُ وضيقُه يوسفَ عن الدعوة إلى الله تعالى، وهكذا يجب أن يكون الداعي مهتمًا بدعوته، لا يفكر إلا بها، ولا يبخل عليها بشيء من وقته وجهده، ولا يشغل عنها شاغل حتى في أحرج الساعات، وأضيق الحالات، وحتى عند ابتلائه بالمصائب والنكبات)[2].

وهكذا نرى المؤلف -وفقه الله-؛ يحرص على التنبيه على هذه الدلالات النافعة التي تؤخذ من وراء النص، وتعين المتدبرين على الانتفاع بالقرآن والاهتداء به على الوجه الأكمل والأمثل.

هذا وفي مناهج العلماء وتطبيقاتهم الجمَّ الغفير من الفوائد والفرائد.

* * *

(١) المرجع السابق (ص١٩٣).

(٢) المرجع السابق (ص٢٣٩).

نشاط بنفس منهجية عرض النموذج السابق، اذكر نموذجا آخر من نماذج المؤلفين الذين اعتنوا بالتصنيف في التدبر، على أن تذكر:

- اسم الكتاب.
- اسم مؤلفه.
- نبذة تعريفية بمؤلف الكتاب.
- أبرز المعالم المتعلقة بالجانب التطبيقي للتدبر في الكتاب.

* * *

جهد التعلم / ملف الإنجاز:

يمكن أن يقوم الدارس بالجهد التالي:

أ- يكتب بحثًا مختصرًا في معالم التَّدَبُّر عند أحد مفسري السنة والجماعة؛ مثل: الطبري، القصاب، السمعاني، ابن تيمية، ابن القيم، الشوكاني، وغيرهم.

ب- يستخرج تطبيقات أخرى مماثلة للمذكورة في الوحدة، من الكتب الثمانية المذكورة فيها.

مصادر التعلم:

- انشراح الصدور في تدبر سورة النور، أ.د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، دار العاصمة بالرياض.
- تحليل مناهج معاصرة للتدبر وتقويمها، د. نايف الزهراني، بحث منشور ضمن بحوث الملتقى الثاني للتدبر بالرياض (١٤٣١هـ).
- تدارك بقية العمر في تدبر سورة النصر، أ.د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، دار العاصمة بالرياض.
- تدبر في أمثال القرآن، مصطفى عبدالله حسين أحمد، القاهرة.
- التَّدَبُّر في سور القرآن الكريم: سورة الفاتحة وسورة البقرة، سامية طنطاوي، دار الكتاب الحديث بالقاهرة.
- تفسير سورة الحمد مع تطبيق عملي لقواعد تدبر القران الكريم، منى مُحَمَّد الشافعي، دار اليسر بالقاهرة.
- حتى نتدبر منهاج الله، د. عدنان علي رضا النحوي، دار النحوي الرياض.
- الحدائق الحسان في تدبر آي القرآن، عبدالمحسن بن إبراهيم العمران، مطابع الفسطاط الحديثة بالرياض.
- الحرز الأمين في تدبر سورة الإخلاص والمعوذتين، أ.د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، دار العاصمة بالرياض.

- ربح أيام العمر في تدبر سورة العصر، أ.د. سليمان بن إبراهيم اللاحم، دار العاصمة بالرياض.
- في رحاب القرآن، مُحَمَّد مصطفى أمين أبو هاشم، دار النور المبين بعمَّان.
- في رحاب تدبر القرآن الكريم، مختار شاكر كمال، دار الفاروق بعمَّان.
- قبسات من الكتاب والسنة (تدبر وظلال)، د. عدنان علي رضا النحوي، (٣) أجزاء، دار النحوي بالرياض.
- قبسات من تدبر القرآن الكريم، مختار شاكر كمال، دار الفاروق بعمَّان.
- القرآن الكريم والأصول في تدبره (تمعنات في تعاليمه وخصائصه)، د. مُحَمَّد حسين صفوري، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ببيروت.
- الكنز الثمين من تدبر العلامة مُحَمَّد بن صالح العثيمين، ناصر القطامي، مجموعة آيات للإعلام القرآني بالرياض.
- مضمون القرآن الكريم، مُحَمَّد أبو ريدة (١٩٩٢م)، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت.
- ملامح تدبر القرآن عند الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي، د. محمود علي البعداني، غير منشور.
- منهج الشيخ مُحَمَّد بن عبدالوهاب في تدبر القرآن الكريم، د. مُحَمَّد بن بكر آل عابد، دار الطرفين ومكتبة الفرقان بمكة.

* * *

قائمة المراجع والمصادر



- الاتجاهات العقلانية المعاصرة (أصولها ومناهجها)، د. ناصر عبدالكريم العقل، نشر: دار الفضيلة بالرياض (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، وأصل هذا الكتاب رسالة ماجستير بجامعة الإمام.
- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري (٨٤٠هـ)، تحقيق: دار المشكاة للبحث العلمي، بإشراف: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن بالرياض، ط. الأولى (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، تحقيق: أ. مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٤م).
- أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، د. عبدالله بن عبدالرحمن الجربوع، نشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط. الأولى (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
- أثر القرآن في سلوك المجتمع المسلم، د. عبدالقدوس السامرائي، ط. دائرة الشئون الإسلامية والعمل الخيري، دبي.
- الآحاد والمثاني، أحمد بن عمرو بن الضحاك (أبو بكر الشيباني)، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، نشر: دار الراية بالرياض، ط. الأولى (١٤١١هـ/١٩٩١م).
- أحكام القرآن، مُحَمَّد بن عبدالله (المعروف بابن العربي)، تحقيق: علي بن مُحَمَّد البجاوي، دار المعرفة ببيروت.

- أحكام القرآن، أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: مُحَمَّد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٤٠٥هـ).
- إحياء علوم الدين، أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي، ط. دار المعرفة، بيروت.
- أخلاق أهل القرآن، الآجري (مُحَمَّد بن الحسين) (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: مُحَمَّد عمرو، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الرابعة (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح الحنبلي (ت٧٦٣هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط. الأولى (د.ت.).
- الأدب المفرد، مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري، دار الصدّيق، ط. الأولى (١٤٢١هـ).
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود بن مُحَمَّد العمادي الحنفي (ت٩٨٢هـ)، تحقيق: عبدالقادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، مطبعة السعادة بمصر.
- أسانيد التفسير، عبدالعزيز بن مرزوق الطريفي، محاضرة مفرغة ألقيت عام (١٤٢٧هـ)، بدون بيانات النشر، ومدرجة في المكتبة الشاملة وملتقى أهل التفسير.
- الاستدلال الخاطئ بالقرآن والسنة على قضايا الحرية (دراسة نقدية)، د. إبراهيم بن مُحَمَّد الحقيل، مجلة البيان، ط. الأولى (١٤٣٤هـ).
- الإسلام وتنمية العلم والبحث العلمي، يوسف السلطان (١٩٩٨م)، معهد الكويت للأبحاث العلمية.
- الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق: علي بن مُحَمَّد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط. الأولى (١٤١٢هـ).
- الأصلان، أ.د. مُحَمَّد عبدالمنعم القيعي، نشر: المؤلف، القاهرة، ط. الرابعة (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر، بيروت (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

- الاعتصام، الإمام الشاطبي (ت٧٩٠هـ)، ط. الثانية، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الدار الأثرية، الأردن، (١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم الجوزية، تحقيق: أ. طه سعد، ط. دار الجيل، بيروت (١٩٧٣م).
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، تحقيق: مُحَمَّد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط. الثانية (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).
- الأغاني، أبو الفرج الأصبهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط. الثانية.
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: د. ناصر عبدالكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، ط. السابعة (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).
- الإكليل في استنباط التنزيل، عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، تحقيق: سيف الدين عبدالقادر الكاتب، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٠١هـ/١٩٨١م).
- الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله، د. عبدالله بن عبدالرحمن الجربوع، نشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط. الأولى (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
- الأمثال من الكتاب والسنة، مُحَمَّد بن علي بن الحسن بن بشر (أبو عبدالله الحكيم الترمذي) (٣٢٠هـ)، تحقيق: د. السيد الجميلي، نشر: دار ابن زيدون ببيروت، دار أسامة بدمشق.
- انفراد القرآن الكريم بالتنزيل المنجم، دراسة وتحقيق: عايش علي مُحَمَّد لبابنة، ويحي ضاحي شطناوي، نشر في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية (١٤٢٨هـ).
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (المشهور بـ: تفسير البيضاوي)، أبو الخير عبدالله بن عمر البيضاوي، دار الفكر (١٤٠٢هـ).
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، ط. الخامسة (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).

- البحر المحيط (تفسير أبي حيّان)، مُحَمَّد بن يوسف أبو حيان الأندلسي الغرناطي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط. الثانية (١٤١٣هـ/١٩٩٢م).
- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (٧٧٤هـ)، ط. دار هجر بمصر، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط. الأولى (١٤١٨هـ).
- بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن القيم الجوزية، ابن القيم الجوزية، جمع وتحقيق: يسري مُحَمَّد، دار ابن الجوزي، الدمام، ط. الأولى (١٤١٤هـ).
- بدائع الفوائد، ابن القيم الجوزية، تحقيق: هشام عبدالعزيز عطا، عادل عبدالحميد العدوي، أشرف أحمد الحج، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط. الأولى (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (ابن الملقن) (٨٠٤هـ)، تحقيق: مصطفى أبو الغيط، وعبدالله بن سليمان، وياسر بن كمال، نشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط. الأولى (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين مُحَمَّد بن عبدالله الزركشي (٧٩٤هـ)، تحقيق: أ. مُحَمَّد أبو الفضل، ط. الحلبي بالقاهرة (١٩٥٧م).
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين مُحَمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: أ. مُحَمَّد النجار، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة (١٩٩٦م).
- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، أبو الوليد مُحَمَّد بن أحمد بن رشد القرطبي (٤٥٠هـ)، تحقيق: د. مُحَمَّد حجي وآخرين، نشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط. الثانية (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- تاج العروس من جواهر القاموس، مُحَمَّد مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية بالقاهرة (١٣٠٦هـ).
- التاريخ الكبير، أبو عبدالله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (٢٥٦هـ)، طبع بعناية: مُحَمَّد عبدالمعيد خان، ط. دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ط. الأولى (١٣٦٠هـ).

- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تاريخ دمشق، ابن عساكر (٥٧١هـ)، تحقيق: محب الدين العمروي وآخرين، دار الفكر، ط. الأولى (١٩٩٧م).
- التبيان في آداب حملة القرآن، لأبي زكريا يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي (٦٧٦هـ)، حققه وخرّج أحاديثه: بشير محمَّد عيون، ط. الأولى (١٤١٣هـ/١٩٩١م)، مكتبة المؤيد بالطائف، مكتبة دار البيان بدمشق.
- التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- التحرير والتنوير، محمَّد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر بتونس، (١٩٨٤م).
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمَّد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تحقيق الوصال بين القلب والقرآن، د. مجدي الهلالي، ط. مؤسسة اقرأ، القاهرة، ط. الأولى (١٤٢٩هـ).
- تخريج الأحاديث المرفوعة المسندة في كتاب التاريخ الكبير للبخاري، محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة البخاري (٢٥٦هـ)، إعداد: د. محمَّد بن عبدالكريم بن عبيد، نشر: مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط. الأولى (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين عبدالله بن يوسف بن محمَّد الزيلعي، تحقيق: عبدالله بن عبدالرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط. الأولى (١٤١٤هـ).
- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، ابن رجب الحنبلي، ط. مكتبة المؤيد، السعودية، ط. الثانية (١٤٠٨هـ).
- تدبر القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، رقية طه جابر العلواني، (بدون)، ط. الخامسة (٢٠٠٨م)، عبر الموقع: www.drrugaia.com

- تدبر القرآن فريضة الأمة، مقال على موقع طريق الإسلام، انظر: http://ar.islamway.net/article/
- تدبر القرآن (مفهومه وأساليبه)، د. فهد بن مبارك الوهبي، بحث منشور بمجلة الدراسات القرآنية الصادرة عن الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه (تبيان)، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود بالرياض، العدد الثامن (١٤٣٢هـ).
- تدبّر القرآن، د. سليمان السنيدي، ط. الثانية، ضمن سلسلة المنتدى الإسلامي (٢٠٠٢م).
- تدبر القرآن (الحكم والحكمة)، د. أحمد بن عبدالله الفريح، مجلة الأزهر، (١٤٣٠هـ).
- التدمرية (تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع)، شيخ الإسلام ابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: مُحَمَّد بن عودة السعوي، نشر: مكتبة العبيكان، الرياض، ط. السادسة (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- ترجمة معاني القرآن الكريم بين التأييد والتحريم، للباحث: السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، مجلة البحوث الإسلامية، الرياض، السعودية، (ع ١٢).
- التعريفات، علي بن مُحَمَّد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط. دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٥هـ).
- تعليم تدبر القرآن الكريم (أساليب عملية ومراحل منهجية)، د. هاشم بن علي الأهدل، مركز الشاطبي للدراسات والمعلومات القرآنية، (١٤٢٨ هـ).
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، مُحَمَّد رشيد رضا، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٠م).
- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن مُحَمَّد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. الأولى (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- تفسير القرآن العظيم، عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد مُحَمَّد الطيب، مكتبة نزار مصطفي الباز، مكة المكرمة، ط. الأولى (١٤١٧هـ).

- تفسير القرآن الكريم على الطريقة الصوفية: دراسة وتحقيق (حقائق التفسير) لأبي عبدالرحمن مُحَمَّد ابن الحسين الأزدي السلمي (٤١٢هـ)، إعداد: سلمان نصيف جاسم التكريتي، مكتبة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة (١٩٧٥م).
- التفكير فريضة إسلامية، عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، د (ط، ت).
- تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، تحقيق: مُحَمَّد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط. الأولى (١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م).
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف، أبو الحجاج جمال الدين القضاعي الكلبي المزي (٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط. الأولى (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
- تهذيب اللغة لأبي منصور مُحَمَّد بن أحمد الأزهري (٣٧٠ هـ)، تحقيق: مُحَمَّد عوض، ط. إحياء التراث، بيروت (٢٠٠١م).
- التوابين، عبدالله بن أحمد بن مُحَمَّد بن قدامة المقدسي، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- التوقيف على مهمات التعاريف، مُحَمَّد عبدالرؤوف المناوي، تحقيق: د. مُحَمَّد رضوان، ط. دار الفكر، بيروت (١٤١٠هـ).
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى (١٤١٦هـ/١٩٩٦م).
- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط. الأولى (١٤٢٢هـ).

- جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد بن الأثير الجزري، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، (ط. بدون)، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، (١٣٩١هـ/١٩٧١م).
- جامع البيان عن تفسير آي القرآن، مُحَمَّد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، القاهرة، ط. الأولى (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- جامع البيان في تأويل القرآن، مُحَمَّد بن جرير الطبري، المحقق: أحمد مُحَمَّد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط. الأولى (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
- جامع الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد مُحَمَّد شاكر، ومُحَمَّد فؤاد عبدالباقي وإبراهيم عطوة عوض، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط. الثانية (١٩٧٥م).
- الجامع الصحيح المختصر، مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط. الثالثة (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- جامع العلوم والحكم لأبي الفرج عبدالرحمن البغدادي، تحقيق: طارق عوض الله، نشر وطباعة: دار ابن الجوزي، ط. الأولى (١٤١٥هـ).
- جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبدالبرّ النمري (٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط. الأولى، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
- الجامع في طلب العلم الشريف، عبدالقادر بن عبدالعزيز، ط. الثانية، ذو الحجة (١٤١٥هـ).
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، (١٤٠٣هـ).

- جهود الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، د. عبدالعزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان، نشر: مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط. الأولى (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).
- حديث علي بن حجر السعدي (٢٤٤هـ) عن إسماعيل بن جعفر المدني (١٨٠هـ)، تحقيق: د. عمر بن رفود بن رفيد السفياني، وأصله رسالة ماجستير، نشر: مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الرابعة (١٤٠٥هـ).
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: أ. مُحَمَّد علي النجار، ط. عالم الكتب، بيروت.
- خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام، يحيى بن شرف النووي، تحقيق: حسين الجمل، ط. الأولى، مؤسسة الرسالة.
- خلق أفعال العباد، أبو عبدالله مُحَمَّد بن إبراهيم بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، نشر: دار المعارف السعودية، الرياض، (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).
- الخواطر (تفسير الشعراوي)، مُحَمَّد متولي الشعراوي (ت١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، مصر، ط. الأولى (١٩٩٧م).
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات الإسلامية والعربية، القاهرة، ط. الأولى (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
- درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية، تحقيق: د. مُحَمَّد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، مُحَمَّد عبدالخالق عضيمة (١٤٠٤هـ)، تصدير: محمود مُحَمَّد شاكر، نشر: دار الحديث، القاهرة، (ط. بدون).

- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع الشيخ: عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم، ط. المكتب الإسلامي، بيروت، من مطبوعات دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية، وقد طبع بأمر جلالة الملك فيصل، ط. الثانية (١٣٨٥هـ).
- دعوة إلى تدبر القرآن الكريم، مختار شاكر كمال، ط. دار البشير، عمان، ط. الأولى (١٤١٥هـ).
- دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير من خلال تفسير ابن جرير، د. عبدالحكيم القاسم، ط. جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- دلالة السياق، د. ردة الله الطلحي، ط. جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية ببيروت، دار الريان للتراث بالقاهرة، ط. الأولى (١٤٠٨هـ).
- ذم الكلام وأهله، أبو إسماعيل عبدالله بن مُحَمَّد بن علي الأنصاري الهروي (٤٨١هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن عبدالعزيز الشبل، نشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، ط. الأولى (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
- رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، مُحَمَّد الأمين الجكني الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، ط. الأولى (١٤٠٣هـ)، دار الشروق، جدة.
- الرد على الزنادقة والجهمية، أحمد بن حنبل الشيباني (٢٤١هـ)، تحقيق: مُحَمَّد حسن راشد، نشر: المطبعة السلفية، القاهرة، (١٣٩٣هـ).
- الرسالة، للإمام الشافعي، تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الرقة والبكاء، أبو بكر عبدالله بن مُحَمَّد بن عبيد بن أبي الدنيا (٢٨١هـ)، تحقيق: مُحَمَّد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، (١٤١٦هـ).

- روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، زين الدين عبدالرحمن بن أحمد بن رجب ابن الحسن السَلامي البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي (٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن مُحَمَّد، نشر: دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط. الأولى (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، دار الفكر، بيروت، (ط. ١٤٠٣هـ).
- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، المحقق: مُحَمَّد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الرابعة (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- زاد المهاجر إلى ربه (المسماة بـ: الرسالة التبوكية)، لابن القيم الجوزية (٧٥١هـ)، تحقيق: د. مُحَمَّد جميل غازي، نشر: مكتبة المدني، جدة، السعودية، (ط. بدون).
- الزهد، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، نشر: دار الريان للتراث، (١٤٠٨هـ) القاهرة.
- الزهد والرقائق، عبدالله بن المبارك (١٨١هـ)، ويليه (ما رواه نُعَيم بن حمَّاد في نسخته زائدًا على ما رواه المروزي عن ابن المبارك في كتاب الزهد)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. أثبت محقق طبعة دار الكتب العلمية زيادات ابن صاعد والمروزي على ابن المبارك، كما هي في أماكنها في نسخة الأصل.
- سبل السلام، مُحَمَّد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط. الرابعة (١٣٧٩هـ/١٩٦٠م).
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير (تفسير الشربيني)، شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد الشربيني المصري (ت٩٧٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. الأولى (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، مُحَمَّد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر، الرياض، (ط. ١٤١٦،١هـ/١٩٩٦م).

- السنَّة، عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني (٢٨٧هـ)، تحقيق: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى، (١٤٠٠هـ).
- السنَّة، أبو عبدالله مُحَمَّد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (٢٩٤هـ)، تحقيق: أبو مُحَمَّد سالم بن أحمد السلفي، ط. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط. الأولى (١٤٠٨هـ).
- سنن ابن ماجه، ابن ماجه (٢٧٣هـ)، ترقيم: مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، (١٤١٩هـ/١٩٨٩م)، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥هـ)، ترقيم: مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، (١٤١٩هـ/١٩٨٩م)، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
- سنن الدارمي، عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (٢٥٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (ط. بدون)، (التاريخ: بدون).
- السنن الكبرى، النسائي (٣٠٣هـ)، تحقيق: د. عبدالغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى (١٤١١هـ/١٩٩١م).
- السنن الكبرى، البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: مُحَمَّد عبدالقادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
- سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة، د. حسين شرفة، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت ط. الأولى (١٤٢٩هـ).
- سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، ترقيم: عبدالفتاح أبو غدة، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، (١٤١٩هـ/١٩٨٩م)، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية.
- سنن سعيد بن منصور، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (٢٧٧هـ)، تحقيق: سعد بن عبدالله آل حميد، ط. دار الصميعي، الرياض، ط. الأولى (١٤١٧هـ).

- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط. مؤسسة الرسالة (١٤٠٥هـ).
- السيرة النبوية، عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (٢١٣هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط. الثانية (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م).
- شرح سنن أبي داود، عبدالمحسن العباد، مذكرة مفرغة من دروس المسجد النبوي، المكتبة الشاملة.
- شرح شافية ابن الحاجب للشيخ محمد بن الحسن الاستراباذي، ط. دار العلمية، بيروت.
- شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبدالملك بن بطال البكري القرطبي (٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم مكتبة الرشد، الرياض، ط. الثانية، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
- شرح صحيح مسلم: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (٦٧٦هـ)، تحقيق: عبدالله أحمد أبو زينة، ط. الشعب، القاهرة.
- شعب الإيمان، البيهقي (٤٥٨هـ)، حققه وخرجه: د. عبدالعلي عبدالحميد حامد، نشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط. الأولى (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبدالغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الرابعة (يناير/١٩٩٠م).
- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي أبو حاتم الدارمي البُستي (٣٥٤هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف، (١٩٥٢م).
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن لبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي أبو حاتم، الدارمي البُستي (٣٥٤هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت. ط. الثانية (١٤١٤هـ).
- صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري (٣١١هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، نشر: المكتب الإسلامي، بيروت، (١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).

- صحيح الأدب المفرد، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، الجبيل، ط. الثانية (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
- صحيح الترغيب والترهيب، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط. الخامسة.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- صحيح سنن ابن ماجة، ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربية لدول الخليج الرياض، ط. الثالثة (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- صحيح سنن أبي داود، ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربية لدول الخليج الرياض، ط. الثالثة (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- صحيح سنن الترمذي، ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربية لدول الخليج الرياض، ط. الثالثة (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- صحيح سنن النسائي، ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربية لدول الخليج الرياض، ط. الثالثة (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ضعيف الترغيب والترهيب، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض.
- ضعيف سنن ابن ماجة، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- ضعيف سنن الترمذي، مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الأولى (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- الطبقات الكبرى، أبو عبدالله مُحَمَّد بن سعد بن منيع الزهري البصري (٢٣٠هـ)، تحقيق: إحسان عباس،

دار صادر، بيروت، ط. الأولى (١٩٦٨م).

- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، مُحَمَّد الأمين بن مُحَمَّد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي (١٣٩٣هـ)، جمع وتحقيق: د. خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبدالله أبو زيد، نشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط. الثانية (١٤٢٦هـ).
- علم التفكير معمار، صلاح صالح، دار ديبونو للطباعة والنشر، عمان، ط. الأولى (٢٠٠٦م).
- علوم القرآن الكريم، د. نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، (١٩٩٦م).
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدرالدين مُحَمَّد بن أحمد العيني الحنفي (٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، مُحَمَّد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الثانية (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي وآخر، ط. دار الهلال بالقاهرة.
- الغاية في القراءات العشر، للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران، تحقيق: مُحَمَّد غياث الجنباز، ط. شركة العبيكان، الرياض (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، رقّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي، القاهرة، دار الريان للتراث، (١٤٠٧هـ).
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي (الشهير بـ: ابن رجب)، دار ابن الجوزي، السعودية، الدمام، (١٤٢٢هـ).
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، طبعة دار الفكر ودار الكلم الطيب، بيروت، لبنان، ط. الأولى (١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

- الفرق بين التأمل والتَّدَبُّر والتفكر، أ. خالد الديهان، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية، ورابطه:
http://www.bestlifeco.net/index.php?option=com_content&view=article&id= .
- الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (٣٩٥هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي. ط. دار الباز، مكة المكرمة، (١٤٠١هـ).
- فضائل القرآن لأبي بكر جعفر الفريابي، تحقيق: د. يوسف عثمان، مكتبة الرشد، الرياض، ط. الثالثة (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).
- فضائل القرآن لأبي عبدالله مُحَمَّد بن الضريس البجلي، تحقيق: غزوة بدير، دار الفكر، سوريا، ط. الأولى (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- فضائل القرآن لأبي العباس المستغفري، ط. دار ابن حزم، بيروت، ط. الأولى (٢٠٠٨م).
- فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلاّم، تحقيق: مروان العطية وآخرين، ط. دار ابن كثير، بيروت، (١٤٢٠هـ).
- الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي، دار ابن الجوزي بالسعودية، (١٤٢١هـ).
- الفوائد، ابن القيم الجوزية، تحقيق: مُحَمَّد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الثالثة (١٤١٥هـ).
- الفوز الكبير في أصول التفسير، أحمد بن عبدالرحيم (المعروف بـ: ولي الله الدهلوي) (١١٧٦هـ)، عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، نشر: دار الصحوة، القاهرة، ط. الثانية (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م).
- القاموس المحيط للفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة مُحَمَّد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط. الثامنة (١٤٢٦هـ).
- قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: خليل محي الدين الميس، ط.

الأولى (١٤٠٥هـ)، المكتب الإسلامي.

- قواعد التفسير جمعًا ودراسةً، د. خالد بن عثمان السبت، ط. ابن عفان، الخبر، السعودية، ط. الأولى (١٤١٧هـ).
- قواعد وضوابط التَّدَبُّر، أ.د. عمر بن عبدالله المقبل، شارك به في الندوة التي نظمتها وزارة الشؤون الإسلامية في (١٤٣٢/٢/٥هـ) بالرياض، http://www.almoslim.net/node/139579
- كتاب السُّنة، عبدالله بن أحمد بن حنبل، تحقيق: د. مُحَمَّد بن سعيد بن سالم القحطاني، نشر: دار ابن القيم، السعودية، ط. الأولى (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
- كتاب القدر، أبو بكر جعفر بن مُحَمَّد بن الحسن بن المسْتَفاض الفِرْيابِي (٣٠١هـ)، المحقق: عبدالله بن حمد المنصور، نشر: أضواء السلف، الرياض، ط. الأولى (١٤١٨ هـ/١٩٩٧م).
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (تفسير الزمخشري)، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعارف، بيروت.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن مُحَمَّد العجلوني الجراحي (ت١١٦٢هـ)، نشر: مكتبة القدسي، لحسام الدين القدسي، القاهرة، (١٣٥١هـ).
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، نشر: دار الوطن، الرياض، ب ت.
- الكليات (معجم المصطلحات والفروق اللغوية)، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومُحَمَّد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، (١٩٩٣م).
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي (الشهير بـ: المتقي الهندي) (٩٧٥هـ)، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، نشر: مؤسسة الرسالة، ط. الخامسة (١٤٠١هـ/١٩٨١م).

- كيف ننتفع بالقرآن، د. مجدي الهلالي، بحث منشور بمنتديات (مكتوب) بشبكة المعلومات الدولية، على الرابط التالي: http://majdah.maktoob.com/vb/majdah١٢٥٨١
- لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، علي بن مُحَمَّد بن إبراهيم الشيحي (الخازن)، دار الفكر، بيروت، لبنان، (١٣٩٩هـ).
- لباب التأويل في معاني التنزيل، المسمى (تفسير الخازن)، علاء الدين علي بن مُحَمَّد بن إبراهيم البغدادي الخازن، دار الفكر، بيروت، لبنان، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- لسان العرب، مُحَمَّد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط. الأولى.
- لطائف المعارف فيما لمواسم من اللطائف، عبدالرحمن ابن رجب الحنبلي (٧٩٥هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر، لبنان، ط. الأولى (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م).
- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل صالح السامرائي، جامعة الشارقة، بحث منشور على الشبكة في موقع صيد الفوائد والمكتبة الشاملة.
- المبسوط في القراءات العشر، أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران الأصبهاني، تحقيق: سبيع حمزة حاكمي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- متن الجزرية (المقدمة فيما على قارئه أن يعلمه)، ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، وبهامشها شرح الأنصاري: (الدقائق المحكمة في شرح المقدمة)، زكريا بن مُحَمَّد بن أحمد بن زكريا الأنصاري (٩٢٦هـ)، ط. مُحَمَّد علي صبيح، القاهرة، (١٩٥٦م).
- المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر أحمد بن مروان بن مُحَمَّد الدينوري (٣٣٣هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية (البحرين، أم الحصم)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط. الأولى (١٤١٩هـ).
- مجلة البحوث الإسلامية، إعداد: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، مجلة دورية محكمة تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار السعادة، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، ط. الثالثة (١٤٠٢هـ).
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم ومساعده ابنه (مُحَمَّد)، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين، المملكة العربية السعودية، (١٤٠٤هـ).
- محاسن التأويل، مُحَمَّد جمال الدين القاسمي، ط. دار الفكر، لبنان، ط. الثانية (١٣٩٨هـ).
- المحرر الوجيز في الكتاب العزيز، عبدالحق بن عطية الأندلسي، مؤسسة دار العلوم، الدوحة، ط. الأولى (١٣٩٨هـ/١٩٧٧م).
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي مُحَمَّد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى (١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
- المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة (دراسة الأسباب رواية ودراية)، د. خالد ابن سليمان المزيني، نشر: دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط. الأولى (١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م).
- المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: د. عبدالحميد هنداوي، ط. دار العلمية (٢٠٠٠م).
- مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر (قيام الليل للمروزي)، أبو عبدالله مُحَمَّد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (٢٩٤هـ)، اختصره: العلامة أحمد بن علي المقريزي، نشر: حديث أكادِمِي، فيصل آباد، باكستان، ط. الأولى (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
- مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، لأبي عبدالله مُحَمَّد بن نصر المَرْوَزِيّ، اختصار: أحمد ابن علي المقريزي، ط. فيصل آباد، باكستان (١٤٠٨هـ).
- مختصر منهاج القاصدين، لأبي العباس أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي (ت٦٨٩هـ)، تحقيق: عبدالحميد مُحَمَّد الدرويش، ط. الأولى (١٤١٩هـ/١٩٩٩م).

- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق: الشيخ مُحمَّد حامد الفقي، ط. دار الكتاب العربي، بيروت، (١٣٩٣هـ).
- المستدرك على الصحيحين، مُحمَّد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى (١٤١١هـ/١٩٩٠م).
- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، ط. الرسالة، بيروت، (١٤٢١هـ).
- مسند البزار (البحر الزخار)، أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار، حققه: محفوظ الرحمن زين الله وآخرين، ط. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط. الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).
- مسند الدارمي (سنن الدارمي)، أبو مُحمَّد عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبدالصمد الدارمي التميمي السمرقندي (٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، نشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط. الأولى (١٤١٢هـ/٢٠٠٠م).
- مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني (٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الأولى (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م).
- مشكاة المصابيح، مُحمَّد بن عبدالله الخطيب العمري التبريزي (٧٤١هـ)، تحقيق: مُحمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثالثة (١٩٨٥م).
- مشكل الآثار، أبو جعفر أحمد بن مُحمَّد الطحاوي، ط. مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، ط. الأولى (١٣٣٣هـ).
- المصحف الميسر، عبدالجليل بن عيسى بن حرب الأزهري (١٤٠١هـ)، دار الشروق، القاهرة، ط. الرابعة.
- المصنف، أبو بكر عبدالرزاق بن همام الصنعاني (٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط. الثانية (١٤٠٣هـ).

- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبدالله بن مُحَمَّد بن أبي شيبة الكوفي (٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط. الأولى (١٤٠٩هـ).
- مضمون القرآن الكريم، مُحَمَّد أبو ريدة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، (١٩٩٢م).
- معالم أصول الدين، مُحَمَّد بن عمر الرازي (٦٠٦هـ)، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط. الأولى (١٩٩٢م).
- معالم التنزيل، أبو مُحَمَّد الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: مُحَمَّد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. الرابعة (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- معاني القرآن وإعرابه، لإبراهيم بن السري الزجاج (٣١١هـ)، تحقيق: د. عبدالجليل شلبي، ط. عالم الكتب، بيروت، (١٩٨٨م).
- معايير القبول والرد لتفسير النص القرآني، عبدالقادر مُحَمَّد الحسين، رسالة دكتوراه، دمشق: دار الغوثاني للدراسات القرآنية، (١٤٣٣هـ).
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، أ.د. مُحَمَّد حسن جبل، ط. مكتبة الآداب بالقاهرة، (٢٠١٠م).
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط. الثانية (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م).
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي، ط. دار الكتب المصرية بالقاهرة، (١٩٤٥م).
- المعجم الوجيز لمجمع اللغة العربية، نشر: مجمع اللغة العربية، القاهرة، (١٩٨٩م).
- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، تحقيق: أ. إبراهيم مصطفى وآخرين، ط. دار الدعوة بالقاهرة.
- معجم مقايس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام مُحَمَّد

هارون، طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، (١٩٧٠م).

- معرفة الثقات، للإمام الحافظ أبي الحسن أحمد بن عبدالله بن صالح العجلي الكوفي (٢٦١هـ)، ترتيب: الهيثمي والسبكي، تحقيق: عبدالعليم البسنوي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط. الأولى (١٤٠٥هـ).
- معرفة القراء الكبار، شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، ط. الأولى (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- المعين على تدبر الكتاب المبين، مجد بن أحمد مكي، نشر: دار نوادر المكتبات للنشر والتوزيع، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، (١٤٣١هـ/٢٠١٠م).
- مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، د. خالد بن عبدالكريم اللاحم، ط. الثانية، سفير بالرياض، (١٤٢٨هـ).
- مفاتيح التعامل مع القرآن، د. صلاح الخالدي، ط. دار القلم بدمشق، (١٤١٥هـ).
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، للإمام ابن القيم الجوزية، ط. العلمية، بيروت.
- مفردات ألفاظ القرآن، الحسين بن مُحَمَّد بن المفضل (المعروف بـ: الراغب الأصفهاني)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم، دمشق، ودار الشامية، بيروت، ط. الأولى (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- المفسر (شروطه وآدابه ومصادره)، للباحث: أحمد قشيري سهيل، رسالة ماجستير، مكتبة الرشد، ط. الأولى (١٤٢٩هـ).
- مفهوم التَّدَبُّر عند اللغويين، د.عويض العطوي (ص٣٠)، ورقة عمل مطبوعة ضمن كتاب: مفهوم التَّدَبُّر (تحرير وتأصيل).
- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتَّدَبُّر والمفسر، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطَّيَّار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط. الثانية (١٤٢٧هـ).
- معالم تدبر القرآن عند الشيخ مُحَمَّد الأمين الشنقيطي، د. محمود علي البعداني، (غير منشور).
- مناقب عمر بن الخطاب، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن مُحَمَّد الجوزي (٥٩٧هـ)، ط.

السعادة، القاهرة، (١٩٤١م).

- المنتخب من مسند عبد بن حميد، عبدالحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال: الكَشّي (٢٤٩هـ)، تحقيق: مصطفى العدوي، نشر: دار بلنسية للنشر والتوزيع، ط. الثانية (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
- منهاج السنة النبوية للإمام ابن تيمية، تحقيق: د. مُحَمَّد رشاد سالم، ط. مؤسسة قرطبة، ط. الأولى.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. الثانية (١٣٩٢هـ).
- المنهج النبوي في التعليم القرآني، د. عبدالسلام المجيدي، ط. جمعية المحافظة على القرآن، الأردن، ط. الأولى (٢٠٠٥هـ).
- الموافقات، للشاطبي (ت٧٩٠هـ)، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط. الأولى، دار ابن عفان (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبدالقادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.
- الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر، (١٤٢٣ هـ/٢٠٠٢ م).
- موسوعة شروح الموطأ، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مركز هجر، القاهرة، ط. الأولى (١٤٢٦هـ).
- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، دار إحياء التراث العربي، مصر، مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي، بدون تاريخ.
- موطأ مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: مُحَمَّد فؤاد عبدالباقي، المكتبة الثقافية، بيروت، (١٤٠٨هـ).

- النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، تحقيق: علي مُحَمَّد الضباع (شيخ المقارئ بالديار المصرية)، مكتبة الباز، مكة (١٤٢٣هـ).
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بهاء الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط. الثانية (١٤١٣هـ).
- نقض المنطق، لابن تيمية (٧٢٨هـ)، تحقيق: الشيخ مُحَمَّد عبدالرزاق حمزة والشيخ سليمان الصنيع، تصحيح: مُحَمَّد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- النكت والعيون، أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن حبيب الماوردي، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب الثقافية، بيروت ط. الأولى (١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن مُحَمَّد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود مُحَمَّد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)
- نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، مُحَمَّد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبدالله الحكيم الترمذي (٣٢٠هـ)، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، نشر: دار الجيل، بيروت، (١٩٩٢م).
- نواهد الأبكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي)، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، نشر: جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين، المملكة العربية السعودية (ثلاث رسائل دكتوراه)، (١٤٢٤ هـ/٢٠٠٥م).
- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبدالفتاح بن السيد عجمي المرصفي، ط. مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط. الثانية.

* * *